عصر الغيبة

الوظائف والواجبات

تأليف

الشيخ علي الشطري العبادي



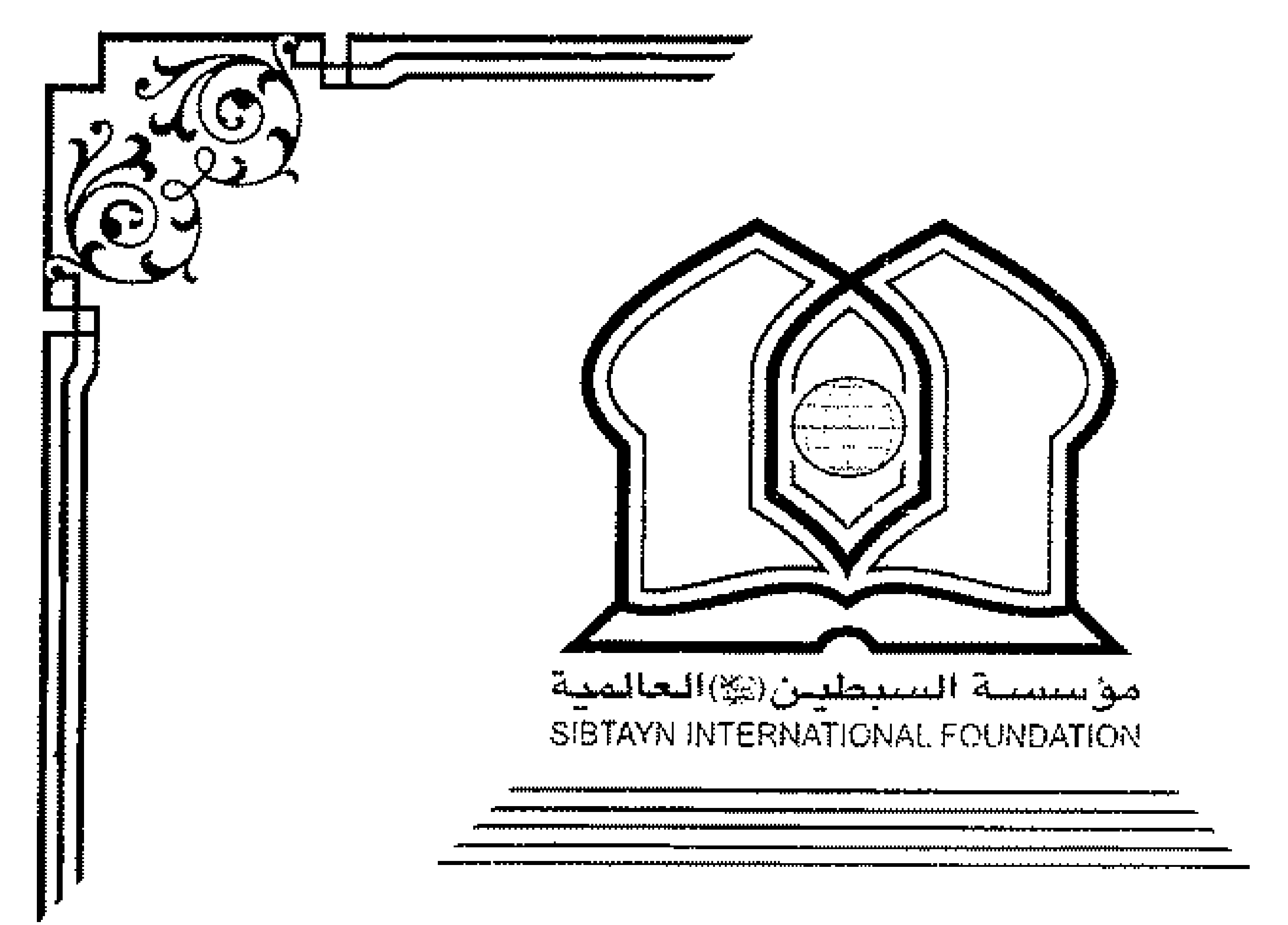
مراجعة وتصحيح

مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية

عصر الغيبة
الوظائف والواجبات

تأليف
الشيخ علي الشطري العبادي

مراجعة وتصحيح
مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية



ايران ـ قم ـ شارع انقلاب ـ زقاق ٣٦ ـ رقم ٤٧ و ٤٩
هاتف: ٧٧٠٣٣٣٠ ـ فاكس: ٧٧٠٦٢٣٨
URL: *www.sibtayn.com*
E-mail: *sibtayn@sibtayn.com*

هوية الكتاب

كتاب: .... عصر الغيبة، الوظائف والواجبات
تأليف: .... الشيخ علي الشطري العبادي
مراجعة وتصحيح: .... مؤسسة السبطين (ع) العالمية
الناشر: .... مؤسسة السبطين (ع) العالمية
الطبعة: .... الأولى
المطبعة: .... محمّد
التاريخ: .... ١٤٢٧هـ.ق / ١٣٨٥ هـ.ش
الكمية: .... ١٥٠٠ نسخة
السعر: .... ١٥٠٠ تومان

شابک: ٢ـ ٢٥ـ ٨٧١٦ـ ٩٦٤ـ ٩٧٨
ISBN: 978-964-8716-25-2


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤسسة

يسرّ مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية أن تقدّم إلى القارئ كتاباً جديداً عن ظاهرة (عصر الغيبة) من حيث الواجبات أو الوظائف التي ينبغي على الشخصية الإسلامية المنتظرة لظهور الإمام عليه السلام ومهمته الاصلاحية للمجتمعات أن تضطلع بها، حيث تكفّل الكتاب المشار إليه بابراز هذا الجانب، في القسم الثاني منه، بينما تناول القسم الأوّل منه: الحديث عن شخصية الإمام وغيبته...

وبهذين القسمين من الدراسة تكتمل الرؤية بالنسبة إلى شخصية الإمام عليه السلام وغيبته، وانتظار ظهوره، وما يترتّب على ذلك من وقوف القارئ على هذه الظاهرة، والافادة منهما في تحديد ما ينبغي من المنتظر حيال عصر الغيبة، ومن ثمّ ما نتطلع إليه من حيث المهمة الاصلاحية للإمام عليه السلام.

وعلى هذا الأساس بادرت مؤسسة السبطين منطلقة من أهدافها المرسومة في الدفاع عن حريم الرسالة الإسلامية ومذهب أهل البيت عليهم السلام

بمراجعة وتصحيح هذا الكتاب الماثل بين يديك، الذي سعى مؤلفه أن يبيّن أهم الوظائف والتكاليف في عصر الغيبة، مستضيئاً بأنوار أهل بيت العصمة والطهارة، في كل دليل أو تحليل.

وفي الوقت الذي نشكر فيه جهود مؤلفه الفاضل نقدّر ونثمن جهود الأخوة المحققين في المؤسسة لمراجعتهم الكتاب وتقويم نصوصه وتدقيق المصادر.

ختاماً: والله نسأل القبول والتوفيق والسداد إنّه نعم المولى ونعم النصير.

مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية
شهر رمضان المبارك ١٤٢٧ هـ.ق

المُقَدَّمَةُ

بســـم الله الرّحمن الرّحـيـم

الحمد لله بجميع محامده كلّها على جميع نعمه كلّها، وصلواته المباركة الدائمة على أفضل المخلوقات محمّدٍ وآله الطاهرين.

لا ريب أنّ المنظومة الدينية التي جاء بها الإسلام، ما هي في مجملها وحقيقتها بكلّ جوانبها إلّا خطة إلهية متكاملة أُعدت بإحكام ووضعت خصيصاً لترشيد الجنس البشري للأقوم والسعادة في الدارين.

وقد وعد الله تعالى البشرية المؤمنة التي عانت في طول حياتها من الظلم والجور وبذلت من التضحيات الشيء الكثير أن يستخلفهم في الأرض، بمعنى أنّه يوفقهم للسلطة الفعلية على البشرية بقيادة الإمام المهدي عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[1].

---

١ ـ النور: ٥٥.

إلّا أن تحقّق هذا الهدف يتوقف على توفر شرائطه التي شاء الله تعالى بحكمته أن تكون بشكل طبيعي لا بشكل إعجازي.

وفي ضوء هذا جاءت غيبة إمامنا المهدي عليه السلام جزءاً من هذا التخطيط الإلهي؛ لكي تكتمل باقي الشرائط وتتولّد في أحضان الغيبة، من توفر الأنصار المخلصين، وإعداد البشرية لاستقبال ذلك اليوم الموعود؛ لتتحمل مسؤوليتها في الدولة العالمية بقيادة إمامها المهدي عليه السلام.

ومن هنا كانت الغيبة حالة استثنائية في حياة الأمة الإسلامية ـ لأنّ الحالة الطبيعية هو وجود الإمام الحجّة بين أشياعه وأتباعه ويتعاطى معهم بشكل مباشر ـ وبذلك مرّت الأُمّة في عصر الغيبة بألوان من ظروف قاهرة ظالمة نتيجة التمحيص والاختبار الإلهي لكي تعطي الغيبة ثمارها وغايتها المرسومة لها.

وعلى أثر هذا التمحيص الشديد انتشر الظلم والجور والفساد في ربوع الأرض، وهذا واضح بالوجدان حيث نشاهده ونطّلع عليه بالحس والعيان في كلّ صوب وحدب.

ولقد كان ما نشاهده ونلمسه من جرّاء هذا الظلم مطابقاً لما تنبّأ به نبينا صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار «ستملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»[1].

إلّا أنّ الشيء الذي يسترعي الالتفات هو أنّ أغلب الروايات الواردة

---

١ ـ فرائد السمطين: ٢/٣١٠/٥٦١، غيبة الطوسي: ١٧٩ ح١٣٧، عنه بحار الأنوار: ٥١/٧٤/٢٤.

عن أهل البيت عليهم السلام والتي تنبّأت بانتشار وشيوع ألوان المظالم والفتن جاءت مشفوعة بعلاج تلك الأمراض والانحرافات التي أفرزها التمحيص الشديد في عصر الغيبة.

وفي ضوء ما سلف وتأسيساً عليه وجدت نفسي أن أبدأ بهذه المحاولة المتواضعة للكتابة حول أهم الواجبات والوظائف التي تقع على عاتقنا في عصر الغيبة.

فوجدت نفسي مندفعاً أن أبدأ بهذا العمل متوكلاً على الله تعالى فيه، ومستمداً العون منه، راجياً التوفيق في إخلاص النية والصدق والهداية في العمل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1].

ولا يفوتني أن أذكر بأنّ الضرورة والسبب الذي ألجأني للخوض في كتابة هذا البحث هو إحساسي بالحاجة الفعلية الملحّة إليه؛ نظراً لما تعيشه بلادنا الإسلامية من تحدّيات صعبة من قبل أعداء الإسلام الذين يسعون بكافة الوسائل والأجهزة الإعلامية الحديثة والمتطورة من أجل الحيلولة دون التمسك والعمل بالتعاليم الإسلامية، فقد امتدّت مخالب الاستعمار وخصوصاً في هذه الأيام التي تضاعفت أحقاده علينا، ووصلوا إلى أعماق البلاد الإسلامية، كلّ ذلك من أجل القضاء على الإسلام وعلى مقدساتنا وكرامتنا.

---

١ ـ الطلاق: ٣.

وعلى هذا الأساس تنبثق أهمية هذه الكتابة كمحاولة متواضعة تسعى لشقّ طريقها مستضيئة بأنوار أهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام للوقوف على أبرز وأهم وظائفنا وواجباتنا في هذا العصر.

وقد انطلقت منهجية البحث بتقسيمه إلى بابين، يضطلع الباب الأول ببحث تمهيدي مكوّن من فصلين، يتضمّن الفصل الأول خصوصيات الإمام المهديعليه السلام، ويدور الكلام في الفصل الثاني حول غيبتهعليه السلام.

بينما كُرِّس الباب الثاني للبحث عن أبرز الوظائف والواجبات، ويحتوي علىسبعة فصول.

يتضمّن الفصل الأول واجباتنا في المجال العقائدي مع الإشارة إلى أهمية المعرفة وخصوصاً معرفة الإمامعليه السلام في عصر الغيبة.

ويشتمل الفصل الثاني الوظائف والواجبات في الجانب المعنوي، من قبيل المودّة والولاية والتقوى ونحوها، مع الإشارة إلى أهميتها في عصر الغيبة.

ويحتوي الفصل الثالث على بحث بشأن الواجبات في الجانب النفسي الذي يكون محور الحديث فيه حول الانتظار.

ويتناول الفصل الرابع واجباتنا في الجانب الثقافي.

ويشتمل الفصل الخامس على واجباتنا في الجانب الاجتماعي وأهميتها في عصر الغيبة.

ويتضمن الفصل السادس واجباتنا في الجانب السياسي.

واعتنى الفصل السابع بالواجبات في الجانب الأمني.

وأما الفصل الثامن فقد تناول أوضاع العالم قبيل الظهور.

وقد حذفت الإسناد في الروايات مراعاةً للاختصار، وحاولت الاعتماد على عدد من النصوص التي توجِد في النفس الوثوق بها لتكرّر مضمونها.

ولا يفوتني أن أذكر أنّ المراد بالواجبات والوظائف في البحث هو أعم من الواجب الشرعي والمستحب.

وأُشير إلى أنّ كلّ محاولة تستهدف مثل هذه المواضيع المهمّة قد تقترن عادة ببعض الأخطاء والزلّات والعيوب، أسأله تعالى أن يتجاوز عن ذلك، كما أسأله جلّ شأنه القبول والتوفيق، وأن تكون هذه المحاولة موضع رضا سيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

وفي الختام لابدّ أن أُسجل شكري وتقديري لمؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية التي تولي اهتماماً بالغاً في نشر وترويج العلوم والمعارف الإسلامية لاسيما ما يرتبط بتراث أهل البيت عليهم السلام لإبداء ملاحظاتها الهامّة وتقبلها بطبع ونشر هذا الجهد.

والله وليّ التوفيق وهو المسدِّد للصواب.

الشيخ
علي الشطري العبادي
شهر شعبان ١٤٢٧ هـ.ق

التمهيد

مفهوم الإمامة:

إنّ مفهوم الإمامة في الثقافة الإسلامية العامة وفي الذهنية العامة قد يتبادر منه الحكومة فقط، إلّا أنّ هذا الفهم لمفهوم الإمامة يمثّل تصوراً خاطئاً، وهذا ما نلمسه واضحاً عند أدنى مراجعة للقرآن الكريم والسنّة النبوية التي تعتبر أفضل مصدر لفهم مدلول (الإمامة). ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا: إنّ أفضل نصٍّ يمكن أن نتعرف من خلاله على مفهوم الإمامة هو قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

وهذا النص القرآني يكشف عن وجود عدة أبعاد لمفهوم الإمامة:

البعد الأول: أنّ الإمامة تمثل هداية الناس إلى الله تعالى من خلال تقدمهم المسيرة الربانية، وهذا البعد يلتقي مع المفهوم اللغوي للامامة.

وتعضده مجموعة من الآيات الكريمة التي قرنت الإمامة بالهدى، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾[2]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾[3].

---

١ ـ البقرة: ١٢٤.

٢ ـ الأنبياء: ٧٣.

٣ ـ السجدة: ٢٤.

والذي يبدو من هذه الآيات المباركة أنّ الهداية ليست مجرد الموعظة والإرشاد وبيان الحقائق الإلهية، وإنّما هي الهداية التي تقع بأمر الله تعالى الذي إذا قال لشيء: كن، فيكون كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] ولعله لهذا السبب كانت الإمامة مجعولة من قبله تعالى: ﴿... إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً﴾.

البعد الثاني: أنّ الإمامة عهد إلهي لثلّة معينة من الناس وهم عباده الصالحون، كما هو مقتضى تصريح قوله تعالى: ﴿... قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾، ومن هنا يمكن أن نفهم أنّ الاصطفاء والاجتباء في الإمامة والنبوّة هو لأجل قيامهم بالمهمات الخاصة التي عهدها إليهم، كالهداية وإبلاغ الرسالات والبشارة والانذار والتزكية والتعليم والشهادة...

البعد الثالث: إن الإمام يجب أن لا يكون ظالماً، كما هو مقتضى قوله تعالى: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾، ولابدّ أن يكون انتفاء الظلم منه بأعلى درجة؛ لأن مَن اتصف بالظلم ولو بأدنى درجاته لا يمكن أن يكون إماماً، كما هو مقتضى إطلاق قوله تعالى المذكور: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾ الذي نفى كلّ درجات الظلم عن الإمام.

البعد الرابع: ان الإمامة منصب عالمي لكل الناس، وليست مختصة بجماعة أو طائفة خاصة، كما هو مقتضى قوله تعالى: ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً...﴾.

❋ ❋ ❋

---

١ ـ يس: ٨٢ ـ ٨٣.



ويشتمل على فصلين تمهيديين للبحث

الفصل الأوّل: في الأدلة على وجود الإمام المهدي عليه السلام

الفصل الثاني: في غيبته عليه السلام

الفَصلُ الأوّلُ

في الأدلة على وجود الإمام المهدي عليه السلام

إنّ المهدي عليه السلام (ليس تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصيانة لإلهام فطري، أدرك الناس من خلاله ـ على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب ـ أنّ للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض تحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي)[1].

فالبشرية الآن بمختلف تياراتها تنتظر هذا المصلح لينقذها من الظلم والجور الذي تعيشه.

والأمر الذي ينبغي الإشارة إليه أنّ بعض أبناء العامة ـ على الرغم من اعتقادهم بظهور هذا المصلح وأنّه المهدي، كما هو اعتقاد الشيعة ـ يذهبون إلى أنّ المهدي سيُولد في آخر الزمان، ونحن لا نريد الدخول في الأسباب والخلفيات التي تقف وراء هذا الرأي، إلّا أنّنا نريد أن نلفت النظر إلى ما تواترت عليه النصوص الشريفة من أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عما

---

١ ـ بحث حول المهدي، الشهيد السيد محمدباقر الصدر رحمه الله: ٩.

ورد من طريق أبناء العامة في ذلك، وهو اعتقاد كثير من علمائهم، وأنّه ﷺ «ولد ولا زال حياً»، كما سيتضح إن شاء الله.

أولاً: الأدلة القرآنية على وجود الإمام المهدي ﷺ:

يوضّح القرآن الكريم هذه المسألة بأروع بيان، كاشفاً عن ضرورة وجود الحجة المتمثل بالإمام المهدي ﷺ بأدق وجه، حيث نجد عدداً من الآيات القرآنية التي تشير لهذا المعنى:

الآية الأُولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١].

وهذه الآية المباركة تشير إلى قضيتين أساسيتين:

الأُولى: ضرورة وجود خليفة عن الله تعالى:

ومعنى الخليفة: هو مَن يخلف غيره فيه يرجع إلى المستخلِف ـ بالكسر ـ فما دامت الأرض مسكونة من قبل المكلفين لابد من وجود خليفة، ولا وجه لاختصاصه بمدة حياة آدم ﷺ، ولذا نجد أنّ الله تعالى يخاطب داود ﴿يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾.

وفي هذا الميدان يقول الفخر الرازي: (الخليفة! مَن يخلف غيره ويقوم مقامه)[٢].

---

١ ـ البقرة: ٣٠.

٢ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي: ٢/١٦٥.

مَن هو المستخلِف:

يكشف النص القراني عن هوية المستخلِف، وأنّه ليس مطلق الإنسان؛ حتى أولئك الذين عبّر عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ...﴾[1]، وإنّما هو ذلك الإنسان الكامل الذي أصبح مسجود الملائكة، ومظهراً لأسماء الله تعالى وصفاته، وبتعبير أحدهم، في معنى هذه الخلافة التي تسلّمها ذلك الخليفة الأرضي والتي لم تستطع الملائكة النهوض بها: (ويفهم من كلام القوم ـ قدّس الله أسرارهم ـ أنّ المراد من الآية بيان الحكمة في الخلافة على أدق وجه وأكمله، فكأنّه قال جلّ شأنه: أريد الظهور بأسمائي وصفاتي ولم يكمل ذلك بخلقهم [أي الملائكة]، فإنّي أعلم ما لا تعلمون؛ لقصور استعدادكم ونقصان قابليتكم، فلا تصلحون لظهور جميع الأسماء والصفات فيكم، فلا تتمّ بكم معرفتي، ولا يظهر عليكم كنزي، فلابدّ من إظهار مَن تمّ استعداده وكملت قابليته؛ ليكون مجلىً لي ومرآةً لأسمائي وصفاتي، ومظهراً للمتقابلات فيَّ، ومظهراً لما خفي عندي وبي، يسمع وبي يبصر، وبي...)[2].

الثانية: دوام الخلافة:

من النقاط المهمة التي تشير الآية المباركة إليها هي مسألة دوام خلافة الإنسان الكامل، وأنّ لهذا الخليفة وجوداً ممتداً في المكان والزمان إلى أن يرث الله الأرض.

حيث تحمل الآية المباركة في طيّاتها عدة مؤشّرات تدل على هذه

---

1 ـ الأعراف: 179.

2 ـ روح المعاني في تفسير التراث العظيم والسبع المثاني للآلوسي: 1/223.

الحقيقة، منها: الوضع اللغوي للآية، فالجملة الاسمية التي ابتدأت بـ «إنّ» التي تفيد التأكيد، وكذا كلمة «جاعل» صيغة فاعل التي هي بمنزلة الفعل المضارع الذي يفيد الدوام والاستمرار على ما هو المعروف عند أهل اللغة، ولذا يذكر الفخر الرازي في تفسيره أنّ (جاعل من جعل، له مفعولان)،[١] كما يذكر الآلوسي في «روح المعاني»: (جاعل اسم فاعل من الجعل بمعنى التصيير، فيتعدّى لاثنين)[٢].

إذن تبين أنّ الجعل الاستخلافي الإلهي ليس امراً مؤقتاً ينحصر في بُرهة زمنية معينة أو بقعة مكانية خاصة، وانما هو جعل مستمر دائم في كل زمان ومكان.

وقد جاء في تفسير هذه الحقيقة قول أحد المفسرين للآية المباركة ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ حيث يقول: (ولم تزل تلك الخلافة في الإنسان الكامل إلى قيام الساعة وساعة القيام، بل متى فارق هذا الإنسان العالم؛ مات العالم؛ لأنّه الروح الذي به قوامه، فهو العماد المعنوي للسماء، للدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه... والله سبحانه الفعّال لما يريد، ولا فاعل في الحقيقة سواه)[٣].

إذن الآية المباركة صريحة القول بوجود الإنسان الكامل (الخليفة)، وعدم خلوّ أيّ مقطع زماني ومكاني منه.

وهذا الإنسان الكامل خليفة الله في أرضه يستحيل صدقه على غير

---

١ ـ التفسير الكبير: ٢/١٦٥.

٢ ـ روح المعاني: ١/٢٢٠.

٣ ـ روح المعاني: ١/٢٢٠ ـ ٢٢١.

الإمام الثاني عشر الحجة عليه السلام.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[1].

والذي يعطيه النظر الصحيح فيما تقتضيه الآية المباركة هو وجود هادٍ لكلّ زمان، ثمّ إنّ الهادي لا يكون هادياً إلى الدين إلّا إذا كان عالماً بجميع الدين أُصولاً وفروعاً، ولا يكون عالماً إلّا إذا كان معصوماً آخذاً علمه من الوحي أو من النبي صلى الله عليه وآله.

وقد ورد في تفسير العامة[2] والخاصة: أنّ المنذر هو الرسول صلى الله عليه وآله: والهادي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفي كل زمان إمام يهديهم إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله.

وفي بعضها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية: «*والله ما ذهبت منّا، وما زالت فينا إلى الساعة*»[3].

وعن أبي عبدالله عليه السلام في تفسير الآية قال: «*كل إمامٍ هادٍ لكلّ قومٍ في زمانهم*»[4] وغيرها مما يعضدها في المعنى تؤكد على ضرورة وجود هادٍ في كل عصر، وهو إمام معصوم.

وقد تظافرت الروايات من العامة والخاصة على أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الهداة.

فقد جاء في ينابيع المودة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام «..ونحن من رحمة الله

---

١ ـ الرعد: ٧.

٢ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي: ٥/٢٧١، تفسير ابن كثير: ٢/٥١٦.

٣ ـ الكافي: ١/١٩٢/٤، عنه البحار: ٣٥/٤٠٢/١٤.

٤ ـ المستدرك للحاكم: ٣/١٢٩، تفسير الشوكاني: ٣/٥٧٠.

على خلقه، وبنا يفتح وبنا يختم، ونحن الأئمة الهداة والدعاة إلى الله، ونحن مصابيح الدجى ومنار الهدى...»[١].

وعن أميرالمؤمنينعليه السلام في خطبة له قال: «وإنّ الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لايدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولايدخل النار من أنكرهم وأنكروه»[٢].

والملاحظة الجديرة بالذكر أنّ تخصيص الرسولصلى الله عليه وآله الهادي بعليّ بن أبي طالب إنّما كان بلحاظ فترة حياة الإمام عليعليه السلام، لاسيما بملاحظة الروايات الأُخرى التي تشهد وتؤكد على أنّ أهل البيتعليهم السلام هم الأئمة الهداة.

وعند إلقاء الضوء على ما ورد من روايات في هذا السياق نجد أنّها تتضمن خصائص ومواصفات الأئمة الهادين، تصف كونهم أماناً لأهل الأرض، وأنّ قوام الدين بهم إلى قيام الساعة، وأنّ وجودهم مستمر إلى آخر الدهر، وصلاح الأُمّة والناس بهم، وأنّهم كلّهم يعمل بالهدى ودين الحق.

ومن الواضح أنّ من يتّصف بهذه المواصفات والخصوصيات يكون هو الهادي لاغير، ومن هذه الروايات:

ما ورد عن النبيصلى الله عليه وآله أنّه قال: «في كل خلوف من أُمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين

---

١ ـ شواهد التنزيل، للحسكاني: ١/٢٩٣.

٢ ـ ينابيع المودة: ١/٨٣/٢٤.

ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجل فانظروا بمن توفدون»[١].

وروي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «*لاتهلك هذه الأمة حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق*»[٢] وغيرها من الروايات.

ومن ذلك يتضح معنى الروايات المفسِّرة للاهتداء بالهداية إلى ولاية الإمام المعصوم في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾.

إذن فالآية المباركة واضحة الدلالة على ضرورة وجود المعصوم في زماننا، وهو الإمام المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام ولو بقرينة الروايات الأخرى.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٣].

وحاصل الاستدلال بها: لمّا ثبت أنّ دين الإسلام مستمر وباقٍ إلى قيام الساعة فذلك يستلزم أن يكون إمام للمتدين في كل زمان يأتم به؛ لئلّا يكون أُناس ليس لهم إمام، ولا يكون للآية الشريفة تطبيق وتجسيد في زماننا إلّا بإمامة الإمام المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام ولو بمساعدة الروايات الواردة في هذا السياق.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ

---

١ ـ الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي: ١٥٠، ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ١٧.

٢ ـ تاريخ بغداد: ٣/٢٧٢، فتح الباري: ١٣/١٧٩.

٣ ـ الاسراء: ٧١ ـ ٧٢.

أَجْمَعِينَ ﴾(١).

والآية صريحة في ضرورة وجود معصومٍ إلى آخر زمان التكليف؛ لإقامة الحجة التي تعني بلوغ التكليف إلى المكلفين، ومن الواضح عدم تمامية الحجة بغير إمام معصوم.

وممّا يدعم ذلك: وجود عدد آخر من الروايات التي تصرح بضرورة عدم خلوّ الأرض من حجة، وستأتي لاحقاً.

ولا يمكن إيجاد تطبيق واقعي للآية إلّا بوجود الإمام المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٢).

والآية المباركة تكشف عن دور وأثر المعصوم ـ سواء كان النبي أو الإمام ـ على درء الفساد.

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وآله إلى وجود هذا المعنى من أهل بيته عليهم السلام وأنّهم أمان لأهل الأرض كما هو صلى الله عليه وآله أمان لهم. وهذا المعنى يلتقي مع روايات متظافرة تشهد وتؤكد على أنّ أهل البيت عليهم السلام أمان لأهل الأرض، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله قوله: «*النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف*»(٣)، و «*إذا ذهبوا ماجت الأرض بأهلها*»(٤)، أو «*لساخت الأرض بأهلها*»(٥)، وغيرها من الروايات الكثيرة التي تشاركها في المضمون.

---

١ ـ الانعام: ١٤٩.

٢ ـ الأنفال: ٣٣.

٣ ـ مستدرك الحاكم: ٣/١٤٩، وقال: (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه).

٤ ـ كنز العمال: ١٢/١٧/٣٣٨٥٦، وفيه (هلكوا) بدل (ذهبوا) المعجم الكبير للطبراني: ٢/١٩٦.

٥ ـ غيبة الطوسي: ١٣٩ ذح ١٠٢، عنه البحار: ٣٦/٢٥٩ ح ٧٩، دلائل الإمامة: ٢٢٦، والكافي: ١/٥٣٤ ح

وسيأتي معنى كيفية درأ الفساد من قبل المعصوم.

وبذلك تسجّل هذه الآيات المباركة رقماً صريحاً في حقيقة وضرورة وجود المعصوم في هذا الزمان، وأنّه الإمام محمّد بن الحسن العسكري عليه السلام، مضافاً لغايتها الكبيرة في معالجة ما يطرأ على بعض الأذهان من التباسات حيال المسألة.

والنقطة التي تستدعي الالتفات: أنّ دعوى ضرورة وجود معصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وعدم خلوّ زمان من معصوم ليست من مختصات مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما يتهم بعضٌ الشيعة الإمامية بذلك، بل هنالك جملة من أعلام المسلمين أعلنوا عن هذه الحقيقة، وهي وجود المعصوم في كل زمان.

فهذا الفخر الرازي يقول في تفسيره في ذيل قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1]: «إنّه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين، ومتى وجب الكون مع الصادقين، فلابدّ من وجود الصادقين في كل وقت».

فإنّ قيل: لِمَ لايجوز أن يقال: إنّ المراد بقوله: ﴿كونوا مع الصادقين﴾ أي كونوا على طريقة الصادقين، كما أنّ الرجل إذا قال لولده: كن مع الصالحين لايفيد إلّا ذلك، لكن نقول: إنّ هذا الأمر كان موجوداً في زمان الرسول صلى الله عليه وآله فقط، فكان هذا أمراً بالكون مع الرسول، فلا يدل على وجود صادق في سائر الأزمنة.

١٧، تقريب المعارف: ١٧٥، علل الشرائع: ١/ ٢٣٤ ح ١٧.

١ ـ التوبة: ١١٩.

والجواب عن الأوّل: إنّ قوله: ﴿كونوا مع الصادقين﴾ أمر بموافقة الصادقين ونهي عن مفارقتهم، وذلك مشروط بوجود الصادقين. ومالا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، فدلّت الآية على وجود الصادقين. وقوله: إنّه محمول على أن يكونوا على طريقة الصادقين، فنقول: إنّه عدول عن الظاهر من غير دليل.

وقوله: هذا الأمر مختصّ بزمان رسول الله ﷺ قلنا: هذا باطل لوجوه:

الأوّل: أنّه ثبت بالتواتر الظاهر من دين محمّد ﷺ أنّ التكاليف المذكورة في القرآن متوجّهة إلى المكلفين حتى قيام القيامة، فكان الأمر في هذا التكليف كذلك.

الثاني: أنّ الصيغة تتناول الأوقات كلها بدليل صحة الاستثناء.

والثالث: لمّا لم يكن الوقت المعين مذكوراً في لفظ الآية لم يكن حمل الآية على البعض أولى من حمله على الباقي، فإمّا أن لا يحمل على شيء من الأوقات فيفضي إلى التعطيل وهو باطل، أو على الكلّ وهو المطلوب.

والرابع: وهو أنّ قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ﴾ أمرٌ لهم بالتقوى، وهذا الأمر إنّما يتناول من يصح منه أن لا يكون متيقّناً وإنّما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ، فكانت الآية دالة على أن من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة وهم الذين وصفهم الله بكونهم صادقين، فهذا يدل على أنّه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ حتى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ. وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان فوجب حصوله في كل الأزمان»[1].

---

١ ـ التفسير الكبير: ١٦/ ٢٢٠.

وقال أيضاً في ذيل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم﴾[١]: «إنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومَن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ؛ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ. والخطأ لكونه خطأً منهيّ عنه، فهذا يُفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وأنّه محال، فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ مَن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أُولي الأمر المذكور في هذه الآية لابدّ أن يكون معصوماً»[٢].

ثانياً: الأدلة الروائية الدالة على وجود الإمام المهدي عليه السلام:

ويمكن تصنيفها إلى طوائف عدة:

الطائفة الأُولى: روايات «لاتخلو الأرض من حجة»:

وقد ورد هذا المضمون في مصادر كثيرة وبعبارات مختلفة عند العامة، فمن أعلام العامة الذين أخرجوا هذا الحديث الخطيب البغدادي في تاريخه، والبيهقي في «المحاسن والمساوئ»، وأبو طالب المكّي في «قوت القلوب»، وابن عبد ربه في «العقد الفريد»، وابن قتيبة في «عيون

---

١ ـ النساء: ٥٩.

٢ ـ التفسير الكبير: ١٠/١٤٤.

الأخبار»، وغيرهم[١].

على أنّ المسألة لا تقتصر على ما روى العامة، بل نجد أنّ التراث المرويّ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام يسجّل نقطة التقاء في التأكيد على المضمون ذاته، حيث وردت العشرات من الروايات التي تؤكد هذه الحقيقة، وهي: أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله: وأنّها لو خلت لساخت الأرض بأهلها ونكتفي بذكر واحدة منها:

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «*ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها*»، ثم قال: «*ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها*»[٢].

وهذه الطائفة واضحة الدلالة على دوام الحجة في الأرض، ولاشك في أنّه الإمام المهدي عليه السلام، لاسيما مع الالتفات إلى أنّ حجة الله تعالى يتمتع بمواصفات وقدرات خاصة، كالعصمة والطهارة، وهذه الخصوصيات لا يمكن أن تنطبق إلّا على الإمام المهدي ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والذي هو من آل محمّد، والذي لا يقاس بهم أحد.

الطائفة الثانية: روايات «مَن مات ولم يعرف إمام زمانه...»:

وقد ورد هذا المضمون أيضاً في روايات متظافرة من طرق الفريقين تناقلتها بألفاظ مختلفة[٣]، فضلا عن ما ورد من طرق الإمامية، فقد عقد

---

١ ـ تفسير القمي: ١/٣٦١، عنه البحار: ٢٣/٢٠ ح ١٦، علل الشرائع: ١/٢٣٢ ح ١١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٥٨ ضمن ح ٢٠، غيبة النعماني: ٣٢.

٢ ـ أمالي الصدوق: ٢٥٢ ح ٢٧٧، وكمال الدين: ٢٠٧ ح ٢٢، عنهما البحار: ٢٣/٦ ح ١٠.

٣ ـ صحيح مسلم في كتاب الإمارة: ١٢/٢٠١ ح ١٨٤٩، صحيح البخاري: ٤/٢٢٢.

المجلسي باباً روى فيه أربعين حديثاً في هذا المعنى بألفاظ متقاربة[١].

وتدل هذه الروايات على ضرورة وجود الإمام في كل زمان، ولا يمكن تطبيق هذه الأحاديث إلّا على ما تعتقد به الإمامية من وجود الإمام المهدي عليه السلام.

الطائفة الثالثة: حديث «الأئمة اثني عشر»:

فقد روى البخاري في الصحيح، عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «*يكون اثنا عشر أميراً*»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي «أنّه قال: «*كلّهم من قريش*»[٢].

وروى مسلم في الصحيح، عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «*لا يزال أمر الناس ماضياً ماوليهم اثنا عشر رجلاً*»، ثم تكلم النبي صلى الله عليه وآله بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: «*كلهم من قريش*»[٣].

وروى الترمذي في السنن، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «*يكون من بعدي اثنا عشر أميراً*»، ثم عقّب على ذلك بقوله: قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح[٤].

وكذلك ورد هذا الحديث في سنن أبي داود[٥] والحاكم في

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٣/٧٦ ـ ٩٣.

٢ ـ صحيح البخاري: ٤/٢٤٨ كتاب الأحكام.

٣ ـ صحيح مسلم: ٣/١٤٥٢/١٨٢١ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، وقد نقل مسلم هذا الحديث بطرق متعددة.

٤ ـ سنن الترمذي: ٤/٥٠١، ط مصطفى البابي الحلبي.

٥ ـ سنن أبي داود: ٤/١٠٣/٤٢٨٠.

المستدرك[١] وأحمد بن حنبل[٢] وابن كثير في البداية والنهاية[٣]، وغيرهم.

وأمّا على صعيد الإمامية فقد ورد هذا الحديث بطرق كثيرة لا نذكرها مراعاةً للاختصار.

وظاهر هذه الأحاديث أنّ الأئمة الاثني عشر ليسوا أئمة جور، وأنّهم لا يخلو منهم زمان.

وعلى هذا الأساس ارتبكت آراء علماء العامة، وتناقضت تفاسيرهم، وتضاربت تصريحاتهم في تفسير حديث الاثني عشر تفسيراً واقعياً صحيحاً.

ونحن لم نجد تفسيراً صحيحاً إلّا تفسير الإمامية، المستند إلى العترة الطاهرة المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام، لاسيما بملاحظة الروايات التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وما تضمنته من خصائص ومميزات للخلفاء الاثني عشر التي لم نجدها عند غيرهم، من قبيل: «كلهم يعمل بالهدى»، «*وإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها*»، و«*صلاح الأمّة بهم*»، و«*إنّ قيام الدين إلى قيام الساعة بهم*»، وغيرها، وهذه *الخصائص والمميزات لا تقبل الشك والترديد في انطباقها على أهل البيت* عليهم السلام».

إذن هذه الطائفة من الروايات دليل واضح على وجود الإمام المهدي عليه السلام.

١ ـ الحاكم في المستدرك: ١ / ٢٢٢، وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

٢ ـ مسند أحمد: ٥/ ٨٧.

٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ١٧٧.

الطائفة الرابعة: حديث الثقلين:

وهو أفضل حديث من حيث السند والوثاقة، حتى بلغ حدّ التواتر، وأجمع على صحيحه المحدّثون من كل الفرق الإسلامية، ويكفي ان يكون من بين رواته كلّ من: صحيح مسلم، ومسند أحمد، وسنن أبي داود وابن ماجة، وخصائص النسائي، ومستدرك الحاكم، وذخائر الطبري، وحلية الاولياء، بالإضافة إلى الكثير من كتب التفسير: كالرازي والثعلبي ولسان الحديث، كما في رواية زيد ابن أرقم: «*إنّي تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما*»[١].

ويدل الحديث على جملة من الأمور:

١ ـ إنّ النبيّ ﷺ ترك من بعده خليفتين هما: القرآن وعترته أهل بيته.

٢ ـ إنّهما لن يفترقا إلى يوم القيامة.

٣ ـ التمسّك بهما معاً يعصم الأمّة من الضلال.

وفي ضوء ما تقدم تتضح لنا حقيقة مهمة، وهي حتمية وجود حجة وإمام من أهل البيت ﷺ في كلّ زمان لا يفترق عن كتاب الله، وهما متلازمان أحدهما في عرض الآخر، ولا يمكن التمسك بأحدهما دون الآخر.

ومن هنا يتبين ضرورة وجود الإمام من أهل البيت ﷺ، وهو الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن ﷺ من أهل البيت ﷺ، وإلّا فلم يتم حديث رسول الله ﷺ والعياذ بالله؛ لأنّه يؤدي إلى أنّ القرآن موجود من دون

---

١ ـ سنن الترمذي: ٥/٦٦٢ ح ٣٧٨٨.

وجود لأهل البيت معه، وهو خلاف ما دعانا إليه الرسول ﷺ.

إذن نستفيد من حديث الثقلين وجود الإمام المهدي عليه السلام. أمّا إذا قيل: كيف يكون الإمام موجوداً وهو غائب؟ والجواب على ذلك يأتي إن شاء الله تعالى.

وقال ابن حجر في «الصواعق المحرقة»: (وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض في كلّ خلف من أُمتي عدول من أهل بيتي»[١].

روايات أُخرى:

وهنالك عدد وافر من الروايات المتظافرة وردت عن طريق العامة تشهد بأنّ المهدي ـ عجّل الله فرجه الشريف ـ من أهل البيت عليهم السلام:

منها: حديث ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: «*لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي*»[٢].

ومنها: حديث أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «*لا تقوم الساعة حتى تُملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملؤها قسطاً وعدلاً*»[٣].

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «*المهدي*

---

١ ـ الصواعق المحرقة: ١٥١.

٢ ـ مستدرك الحاكم: ٤/٤٤٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

٣ ـ المصدر السابق: ٤/٥٥٤.

من *أهل البيت*»[١].

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري: أنّ رسول الله ﷺ قال: «*يخرج في آخر أمّتي المهدي*»[٢].

وقد صرح بعض الأعلام بتواتر هذه الأحاديث، كالبري في مناقب الشافعي، والمزي في التهذيب[٣]، والقرطبي في التذكرة[٤]، والعسقلاني في تهذيب التهذيب[٥] وغيرهم.

فعلى سبيل المثال فإنّ ابن حجر قال في تهذيب التهذيب نقلاً عن الإيري في ترجمة محمّد بن خالد الجندي: (وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ في المهدي وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين ويملأ الأرض عدلاً، وأنّ عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجّال وأنّه يؤمّ هذه الأمّة وعيسى خلفه)[٦].

ولم يقتصر القول بتواتر هذه الأحاديث على علماء المسلمين المتقدمين، بل تتخطّاها إلى المتأخرين، حيث نجد من أهل التحقيق ممّن يصرحون بصحة أحاديث المهدي بل بتواترها، كالشيخ محمّد الخضري المصري، والشيخ محمّد فؤاد عبدالباقي، وأبو الأعلى المودودي، وناصر الدين الألباني، والشيخ محمود التويجري، والشيخ عبدالعزيز ابن باز،

---

١ ـ المصدر السابق: ٤/٥٥٧.

٢ ـ المصدر السابق: ٤/٥٥٨.

٣ ـ تهذيب الكمال: ٢٥/١٤٦ في ترجمة محمّد بن خالد الجندي.

٤ ـ التذكرة: ٥/٧٠١.

٥ ـ تهذيب التهذيب: ٩/١٢٥/٢٠١ في ترجمة محمّد بن خالد الجندي.

٦ ـ المصدر السابق.

وغيرهم[١].

إذن فمسألة ظهور المهدي في آخر الزمان وأنّه من أهل البيت عليهم السلام و من عترة الرسول صلى الله عليه وآله هي من المسائل الواضحة التي تعلو على البرهنة والاستدلال.

حاصل ما تقدم: نجد أنّ هذه الطوائف الروائية المذكورة آنفاً الواردة من طرق العامة قد استوفت المسألة وغطّتها من جميع جوانبها؛ لما تتضمن من روح بيانية وصراحة فائقة من أنّ المهدي هو الإمام الثاني عشر ابن الإمام العسكري عليه السلام، فقد سجّلت هذه النصوص ضرورة وجود معصوم لا يفارق الكتاب ولا يفارقه، كما يكشف عن ذلك حديث الثقلين، ويضيء حديث الاثني عشر إضاءة أُخرى بأنّ عدد هؤلاء المعصومين اثنا عشر مضافاً إلى عشرات الروايات الواردة عن طرق الفريقين: بأنّ هؤلاء الاثني عشر هم: عليّ والحسن والحسين وتسعة من صلب الحسين عليهم السلام ينتهون بالمهدي المنتظر، وبذلك يتحصل أنّ الإمام المهدي هو الإمام الثاني عشر، وأنّه حي يرزق لكنه غائب مستور عن الخلق لحكمة إلهية، كما سيأتي.

فهرسة الروايات:

عند ملاحظة الروايات الآتية نجد أنّ الدلالات تحتشد في الذهاب إلى أنّ الإمام المهدي هو الإمام الثاني عشر ابن الإمام الحسن

---

١ ـ راجع الاحتجاج بالأثر على مَن أنكر المهدي المنتظر: ٧٠، الاحتجاج بالأثر للتويجري، كلمة التصدير بقلم ابن باز: ٣.

العسكري عليه السلام، وهو حي يرزق لكنه غائب مستور، وقد أحصاها بعض المعاصرين[1] كالتالي:

١ ـ الروايات التي تشير إلىٰ ظهوره عجّل الله فرجه، وهي ٦٥٧ رواية.

٢ ـ الروايات التي تبين أنّه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، وهي ١٢٣ رواية.

٣ ـ الروايات التي تثبت أنّ المهدي المنتظر من أهل البيت عليهم السلام ومجموعها ٣٨٩ رواية.

٤ ـ الروايات التي تبين أنّه من ولد أمير المؤمنين عليه السلام، وعددها ٢١٤ رواية.

٥ ـ الروايات التي تثبت أنّه من ولد فاطمة عليها السلام، و ١٩٢ رواية.

٦ ـ الروايات التي تقول: إنّه من ولد الإمام الحسين عليه السلام، وبلغت ١٨٥ رواية.

٧ ـ الروايات التي تذكر أنّه التاسع من ولد الحسين، وهي ١٤٨ رواية.

٨ ـ الروايات التي تقول: إنّه من ولد علي بن الحسين، و مجموعها ١٨٥ رواية.

٩ ـ الروايات التي تصرّح أنّه من ولد محمّد الباقر عليه السلام، وهي ١٠٣ رواية.

١٠ ـ الروايات التي تقول: إنّه من ولد الصادق عليه السلام، وعددها ١٠٣ رواية.

---

١ ـ منتخب الأثر ٢/٥٥٣ ـ ٥٦٢.

١١ ـ الروايات التي تبيّن أنّه السادس من ولد الصادق ﷺ، وهي ١٩٩ رواية.

١٢ ـ الروايات التي تقول: أنّه من ولد موسى بن جعفر ﷺ، وبلغت ١٠١ رواية.

١٣ ـ الروايات التي ذكرت أنّه الخامس من ولد موسى بن جعفر ﷺ، وهي ٩٨ رواية.

١٤ ـ الروايات التي تقول: إنّه الرابع من ولد علي بن موسى الرضا ﷺ، ومجموعها ٩٥ رواية.

١٥ ـ الروايات التي تحدّد أنّه الثامن من ولد محمّد بن علي النقي، وهي ٩٠ رواية.

١٦ ـ الروايات التي تقول: أنّه من ولد علي الهادي ﷺ، وعددها ٩٠ رواية.

١٧ ـ الروايات التي بيّنت أنّه ابن أبي محمّد الحسن العسكري، وهي ١٤٦ رواية.

١٨ ـ الروايات التي تقول: إنّه الثاني عشر من الائمة وخاتمهم، وبلغت ١٣٦ رواية.

١٩ ـ في أنّ له غيبتين، ١٠ رواية.

٢٠ ـ في أنّ له غيبة طويلة، ٩١ رواية.

٢١ في أنّه طويل العمر جداً، وهي ٣١٨ رواية.

وبعد أن ثبتت عصمة أهل البيت ﷺ لا يرد الإشكال بأنّه كيف يستدل بروايات أهل البيت ﷺ على إمامتهم؟ وأنّه دور، فضلاً عن أنّه حتى لو

أغمضنا النظر عن عصمتهم عليهم السلام فإنّه يمكن الاعتماد والأخذ برواياتهم عليهم السلام باعتبار أنهم رواة ثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا ريب في حجيتهم في هذا المقدار.

إذن هذه الخلفية الروائية تمهّد السبيل ـ بما تحدّثه من انشراح النفوس والصدور ـ لأجل حصول الاعتقاد والإيمان بوجود الإمام الثاني عشر وهو الإمام الحجة ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وبعد أن انتهينا في الكلام إلى هذه التخوم وبانت حدوده يكون من المنطقي الانتقال إلى الخطوة التالية المتمثلة بأقوال علماء أهل السنّة وأعلامهم، القائلين بولادة الإمام محمّد بن الحسن، وأنّه المهدي المنتظر عجل الله فرجه:

١ ـ الحافظ أبو محمّد أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن هاشم الطوسي البلاذري (ت ٣٣٩هـ)، حيث يقول: إنّه التقى بالإمام محمّد بن الحسن عليه السلام ونقل عنه رواية بلا واسطة، وفقاً لما جاء في كتاب «أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب» لشمس الدين الجزري الشافعي؛ حيث نقل فيه رواية يتصل إسنادها إلى البلاذري، محدِّثاً فيها عن محمّد بن الحسن، واصفاً إيّاه بإمام عصره، وقبل أن ننقل الرواية بإسنادها ننوّه إلى أنّ شمس الدين الجزري قد ذكر في مقدمة كتابه هذا بأنّه لا ينقل فيه إلّا ما تواتر أو صح أو حسن من الروايات، وعليه فتكون الرواية معتبرة.

ونصّ الرواية عن البلاذري حافظ زمانه، عن محمّد بن الحسن بن علي إمام عصره: حدثنا أبي الحسن بن علي السيد المحجوب، حدثنا أبي علي بن محمّد الهادي، حدثنا أبي محمّد بن علي الجواد، حدثنا أبي علي

ابن موسى الرضا، حدثنا أبي موسى بن جعفر الكاظم، حدثنا أبي جعفر بن محمّد الصادق، حدثنا أبي محمّد ابن علي الباقر، حدثنا أبي علي بن الحسين زين العابدين، حدثنا أبي الحسين بن علي سيد الشهداء، حدثنا أبي علي بن أبي طالب سيد الأولياء رضي الله عنهم، أخبرني سيد الأنبياء محمّد ابن عبد الله ﷺ قال: «*أخبرني جِبرائيل سيد الملائكة قال: قال الله تعالى سيد الكائنات: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، مَن أقرَّ لي بالتوحيد دخل حصني، ومَن دخل حصني أمِن من عذابي*»[1].

إذن هو يعترف بكل صراحة بأنّ الإمام محمّد بن الحسن عليه السلام هو إمام العصر.

٢ ـ الحافظ محمّد بن أحمد بن أبي الفوارس، أبو الفتح البغدادي (ت٤١٢ هـ)، حيث يروي خبراً يتصل بسنده إلى الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب أنّه قال: «*قال لي أخي رسول الله ﷺ أنّه قال: من أحب أن يلقى الله عزّ وجل وهو مقبل عليه غير معرض عنه فليوالِ علياً عليه السلام، ومن سرّه أن يلقى الله عزّ وجل وهو راضٍ عنه فليوالِ ابنك، ومن أحب أن يلقى الله عزّ وجل ولا خوف عليه فليوالِ ابنك الحسين، ومن أحب أن يلقى الله وهو تمحّص عن ذنوبه فليوالِ عليَّ بن الحسين عليه السلام، فإنّه كما قال الله تعالى: ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[2]، ومن أحب أن يلقى الله عزّ وجل وهو قرير العين فليوالِ محمّد بن علي عليه السلام، ومن أحب أن يلقى الله فيعطيه كتابه بيمينه فليوالِ جعفر بن محمّد عليه السلام، ومن أحب أن يلقى الله طاهراً مطهّراً فليوالِ موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ومن أحب أن يلقى الله وقد بلغت درجاته وبدّلت سيئاته حسناتٍ فليوالِ ابنه محمّداً، ومن أحب أن يلقى الله عزّ وجل فيحاسبه حساباً يسيراً*

---

١ ـ أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب: ٨٦ ـ ٨٧.

٢ ـ الفتح: ٢٩.

ويدخله جنة عرضها السماوات والأرض فليوالِ ابنه علياً، ومن أحب أن يلقى الله عزّ وجل وهو من الفائزين فليوالِ ابنه الحسن العسكري، ومَن أحب أن يلقى الله وقد كمل إيمانه وحسن إسلامه فليوالِ ابنه صاحب الزمان المهدي، فهؤلاء مصابيح الدُجى وأئمة الهدى وأعلام التقى، فمن أحبّهم ووالاهم كنت ضامناً له على الله الجنة»[١].

٣ ـ أبو المؤيد الموفّق بن أحمد المكّي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ) نقل بعض الأحاديث[٢] الدالة على ولادة الإمام المهدي من دون أن يعلّق عليها.

٤ ـ الشيخ جلال الدين الرومي[٣] (ت ٦٧٢هـ).

٥ ـ الشيخ العارف عامر بن بصري (ت ٦٩٦ هـ).

٦ ـ المحدث الكبير إبراهيم بن محمّد بن المؤيد الجويني الشافعي[٤] (ت ٧٢٢ هـ).

٧ ـ الشيخ الفقيه أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي[٥] (ت ٦٥٨ هـ).

٨ ـ فريد الدين عطار النيشابوري[٦] (ت ٦٢٧ هـ).

٩ ـ أحمد بن الحسن النامقي الجامي[٧] (ت ٥٣٦هـ).

١٠ ـ يحيى بن سلامة بن حسين بن أبي محمّد عبدالله الدياربكري

---

١ ـ نقله صاحب «كشف الاستار عن وجه الغائب عن الأبصار»: ٦٠، فضائل ابن شاذان: ١٤١، والروضة في الفضائل: ٢١، عنهما البحار: ٣٦/٢٩٦ ح ١٢٥، مقتضب الأثر: ١٣.

٢ ـ انظر مقتل الخوارزمي: ١/١٤٥، الفصل السادس في فضائل الحسن والحسين ح ٢١.

٣ ـ ينابيع المودة: ٣/٣٥١.

٤ ـ فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والأئمة عليهم السلام: ٢/١٣٦.

٥ ـ البيان في أخبار صاحب الزمان: (ضمن كفاية الطالب): ٤٧٨.

٦ ـ ينابيع المودة: ٣/٣٥٠، وفيه أشعار بالفارسية.

٧ ـ ينابيع المودة: ٣/٣٤٩، وفيه أشعار بالفارسية.

الطنزي الحصكفي[١] (ت ٥٥٣ هـ).

١١ ـ الشيخ محيي الدين محمّد بن علي المعروف بابن عربي الطائي الأندلسي[٢] (ت ٦٣٨هـ).

١٢ ـ العلّامة يوسف بن فرغلي المعروف بابن الجوزي[٣] (ت ٦٥٤هـ).

١٣ ـ الشيخ شمس الدين محمّد بن يوسف الزرندي[٤] (ت ٧٤٧ هـ).

١٤ ـ علي بن محمّد بن شهاب الهمداني (ت ٧٨٦هـ).

١٥ ـ نور الدين علي بن محمّد بن الصباغ المالكي[٥] (ت ٨٥٥ هـ).

وغيرهم الكثير من أعلام السنّة الذين صرّحوا بأنّ الإمام المهدي هو محمّد بن الحسن العسكري، واعترفوا بولادته ﷺ ومهدويته.

مولده بين الكتمان والإعلان:

بعد أن ثبت أنّ الإمام المهدي هو محمد بن الحسن العسكري ﷺ، وبعد أن وقفت على اتفاق أقوال جملة من علماء وأعلام أهل السنّة على أنّ الإمام المهدي من أهل البيت ﷺ وأنّ ظهوره في آخر الزمان، فلا نحتاج إلى إثبات ولادته تاريخياً، ولا مجال للشك والترديد في ذلك، وعلى الرغم من وضوح ولادته ﷺ وتظافر النصوص بين العامة والخاصة على ولادته ﷺ نكتفي هنا بذكر روايتين:

فعن الإمام الرضا ﷺ أنّه قال: «سقط من بطن أُمّه جاثياً على ركبتيه،

---

١ ـ ذكره الذهبي في السير: ٣٢/٢.

٢ ـ نقل كلامه عبدالوهّاب الشعراني في الجزء الثاني من كتاب «اليواقيت والجواهر».

٣ ـ تذكرة الخواص: ٣٢٥.

٤ ـ نقلاً عن كتاب «أئمتنا» لمحمّد علي دخيل: ٤٣٥/٢.

٥ ـ الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة: ١١٠٧/٢.

رافعاً سبّابته نحو السماء، ثمّ عطس فقال: الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّدٍ وآله، عبدٌ ذاكر لله، غير مستنكفٍ ولا مستكبر»[١].

وقد شهدت السيدة حكيمة ـ وهي من أجلّ نساء زمانها وأكرمهن، فهي بنت الإمام الجواد وأُخت الهادي وعمّة العسكري ـ وحضرت الولادة ورأت المولود ساعة تفتّح عينيه لنور الحياة، فقالت: «*ولد السيد مختوناً، ولم أرَ بأُمّه دماً في نفاس*»[٢].

مضافاً إلى إجراء الإمام العسكري عليه السلام السُنّة الشريفة بعد ولادة المهدي عليه السلام كما يفعل الملتزمون بالسُنّة[٣]، فضلاً عما ورد من أحاديث تشهد برؤية المهدي من قبل أصحاب الأئمة عليهم السلام:

منها: ما روي في الكافي: عن علي بن محمد، عن حمدان القلانسي قال: قلتُ للعمري: قد مضى أبو محمد؟ فقال لي: قد مضى، ولكن خلّف فيكم مَن رقبته مثل هذه، وأشار بيده[٤].

إلى غيرها من الروايات الكثيرة، مضافاً إلى الأخبار والأحاديث الصريحة برؤية السفراء الأربعة كلٌّ في زمان وكالته للإمام المهدي عليه السلام، وكثير منها بمحضر من الشيعة، كما ورد في كتاب الغيبة للطوسي والكافي والإرشاد للشيخ المفيد وغيبة النعماني وغيرها[٥].

نعم، كان مولده خفياً، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال عند ذكر أول صفات القائم وعلاماته هو: «*خفيّ المولد والمنشأ، غير خفيٍّ في نسبه*».[٦]

---

١ ـ كشف الغمّة: ٢/٩٩٦، الغيبة للطوسي: ٢٤٤/٢١١، البحار: ٥١/٤.

٢ ـ ينابيع المودّة: ٣/١١٣، منتخب الأثر: ٢/٢٩٤ ح ٧٨٧.

٣ ـ اكمال الدين ٢: ٤٢٥/٢٦ ب ٤٢.

٤ ـ أُصول الكافي ١: ٣٣١ ح ٤.

٥ ـ غيبة الطوسي: ٣٦٠ ذيل ح ٣٢٢، عنه البحار: ٥١/٣٤٧، الكافي: ١/٣٣١ ح ٤ ـ ١٠، ارشاد المفيد: ٢/٣٥١.

٦ ـ الغيبة النعماني: ١٧٣/٩، منتخب الأثر: ٢/٢٩٣/٦٥٧.

ومن دلائل ولادته: أنّ الخليفة العباسي بذل قصارى جهده في البحث عنه ليقتله، إلّا أنّ الله تعالى ردّ كيد الخليفة وعصم إمامنا عليه السلام[١].

هذا، مضافاً إلى وجود اعترافات كثيرٍ من أهل السُنّة بولادة الإمام المهدي عليه السلام[٢]. وفي خاتمة هذا الفصل نذكر نموذجاً يكشف عن كيفية تباشر أهل البيت عليهم السلام بالمهدي قبل ولادته، حتى صار هذا الاعتقاد سائداً بين الشعراء.

يقول دعبل الخزاعي: لمّا أنشدت مولاي الرضا الإمام الثامن عليه السلام هذه القصيدة ـ وهي قصيدة طويلة تعرف بالتائية ـ وانتهيت إلى قول:

خروج إمامٍ لا محالة خارجٍ يقوم على اسم الله والبركات
يُميّز فينا كلّ حقٍّ وباطلٍ ويَجزي على النعماء والنقمات

بكى الإمام الرضا عليه السلام، ثمّ رفع رأسه إليَّ وقال: «*ياخزاعي، لقد نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين*»[٣].

إذن لا يبقى مجال لأصحاب الأفكار الفاترة من التشكيك بهذا الأمر، وعلى المنصف المتدبّر أن يتأمّل فيما ورد بذلك.

* * *

---

١ ـ الغيبة الطوسي: ١٤٩.

٢ ـ راجع كتاب إلزام الناصب للشيخ الحائري.

٣ ـ نور الأبصار: ص ٣١١ ـ ٣١٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٥/٢٩٧.

الفصل الثاني

في غيبته عليه السلام

لا شكّ أنّ الاعتقاد بأنّ للإمام المهدي عليه السلام غيبتين ـ صغرى وكبرى ـ من معتقدات الشيعة القطعيّة، ووافقهم على ذلك بعض علماء السُنّة، وهذا ما تؤكّده الروايات المكثّفة الواردة عن الفريقين.

فقد أخرج النعماني بإسناده، عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «*للقائم غيبتان إحداهما طويلة والأُخرى قصيرة، فالأُولى يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته، والأُخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة مواليه في دينه*»[1].

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «*لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأُخرى، فقال: نعم....*»[2].

وقال ابن الصباغ وهو مالكي المذهب: وله قبل قيامه غيبتان: إحداهما أطول من الأُخرى، فأمّا الأُولى فهي القصرى، فمنذ ولادته إلى

---

١ ـ الغيبة للنعماني: ١٧٥/٢.

٢ ـ نفس المصدر: ١٧٧/٧.

انقطاع السفارة بينه وبين شيعته، وأمّا الثانية وهي الطولى، فهي التي بعد الأُولى في آخرها يقوم بالسيف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾(١).

الغيبة الصغرى :

بدأت الغيبة الصغرى بولادة الإمام المهدي‌ؑ سنة (٢٥٥ هـ)، وانتهت بوفاة السفير الرابع والأخير علي بن محمد السمري سنة (٣٢٨ هـ أو ٣٢٩ هـ)، فامتدّت أربعاً وسبعين سنة.

وكان الإمام‌ؑ خلال هذه الفترة يتصل بأتباعه عن طريق السفراء، وهم بدورهم ينقلون إليه الأسئلة ويأخذون منه الأجوبة. والسفراء هم:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري الأسدي، المتوفى ببغداد، والذي قَبِل السفارة عن الإمام المهدي‌ؑ، وكان وكيلاً عن جدّه الإمام علي الهادي‌ؑ، ثمّ عن أبيه الإمام الحسن العسكري‌ؑ.

٢ ـ محمد بن عثمان بن سعيد العمري، المتوفى عام ٣٠٥ هـ ببغداد.

٣ ـ الحسين بن روح النوبختي، المتوفى عام ٣٢٠ هـ ببغداد.

٤ ـ علي بن محمد السمري، المتوفى عام ٣٢٨ هـ ببغداد.

فلسفة مرحلية الغيبة؟

لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون الغيبة على مرحلتين، والسرّ في ذلك من الوضوح بمكان حيث تعتبر الغيبة الصغرى بمثابة مرحلة انتقال

١ ـ الفصول المهمّة: ٢ : ١١٠٠.

بين حالة الظهور الكامل للأئمة السابقين، وبين الغيبة الكاملة للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، فهي في الواقع خطوة تمهيدية أخيرة للغيبة الكبرى.

وقد مهّد الرسول الأكرم ﷺ والأئمة لغيبة الإمام في أحاديث متظافرة كانت أغلبها مشفوعة بإخبارات تفصيلية دقيقة تبيّن شكل هذه الغيبة، وهوية الإمام الغائب، وأنّه الثاني عشر، ونحوها.

وتُعدّ هذه النصوص من الدلائل الإعجازية الواضحة على إمامته عجل الله تعالى فرجه.

فعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «*من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته مات ميتة جاهلية*»[1].

وقال ﷺ: «*وجعل في صلب الحسين أئمة ليوصون بأمري ويحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهديّ أُمتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، يظهر بعد غيبةٍ طويلةٍ وحيرةٍ مضلّةٍ، فيعلن أمر الله ويظهر دين الحق...*»[2].

الغيبة الكبرى:

بدأت الغيبة الكبرى بانتهاء السفارة، أي بعد وفاة السفير السمري سنة ٣٢٨ هـ ، وستبقى مستمرة إلى يوم الظهور الموعود، بعد أن تستعدّ البشرية للقاء الإمام ليخرجها من الظلم والجور إلى النور.

---

١ ـ إكمال الدين: ٤١٣/١٢، كفاية الأثر: ٦٦.

٢ ـ كفاية الأثر: ١٠.

الغيبة لطف إلهي:

بما أنّنا نعتقد ـ نحن الشيعة ـ بأنّ وجود الإمام لطف من الله على عباده، ولولا الإمام لساخت الأرض بأهلها، إذن فوجود الإمام المهدي عليه السلام لطف من الله تعالى، وحيث إنّ الإمام عليه السلام بوجوده الظاهري بين الناس سوف يكون عرضة للقتل، كما نلمس هذا المعنى من عدّة روايات من أهل البيت عليهم السلام، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «........ *أمّا مولد موسى عليه السلام، فإنّ فرعون لمّا وقف على أنّ زوال ملكه على يده أمر بإحضار الكهنة، فدلّوه على نسبه، وأنّه يكون من بني إسرائيل، حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، وتعذّر عليه الوصول الى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تبارك وتعالى إيّاه، كذلك بنو أمية وبنو العباس لمّا وقفوا على أنّ زوال ملك الأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منّا ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله، وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى القائم، ويأبى الله عزّوجل أن ينكشف أمره لواحد من الظلمة إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون*»[1].

إذن على هذا الأساس يتّضح أنّ غيبة الإمام وحفظه من الأعداء لطف إلهي بعباده، بعدما رفض الناس أنفسهم هذه التوصية الإلهية المتمثّلة باتّباع أهل البيت عليهم السلام.

هوية الغيبة:

عند إجراء مسح ميداني للروايات الواردة بصدد الغيبة وتحديد هويتها، نجد أنّها ظاهرة بأنّ غيبة الإمام ليست أكثر من فقد معرفة شخص

---

١ ـ كمال الدين: ١٤٧ ضمن ح ١٣.

الإمام المبارك، وبعبارة أُخرى: أنّ الغيبة ليست أكثر من استتار الهوية والعنوان، وليس استتار وخفاء شخص الإمام، وهذا يظهر من كثير من الروايات:

منها: ما ورد من التوقيع الذي خرج من المهدي ﷺ إلى سفيره محمد بن عثمان ﵁ يقول فيه: «*فإنّهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه*»[1].

ولا شك أنّ الوقوف على المكان ينسجم مع كون الإمام ﷺ حاضراً بشخصه، غايته أنّنا لا نعرفه ولا نعلم مكانه.

وكذا من الروايات: ما أخرجه الشيخ الطوسي في الغيبة[2]، عن السفير الثاني محمد بن عثمان العمري أنّه قال: «*والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة ويعرفهم ويرونه*».

وهذه الرواية واضحة الدلالة على أنّ غيبة الإمام ﷺ ليست أكثر من خفاء هويته، دون خفاء الشخص.

ومن الروايات كذلك: ما قاله أبو سهل النوبختي حين سُئل، فقيل له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأُناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة على مكانه لَعلّي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم لو كانت الحجة تحت ذيله وقُرّض بالمقاريض ما

---

١ ـ الغيبة للطوسي: ٣٦٤/٣٣١.

٢ ـ المصدر السابق: ٣٦٤/٣٢٩.

كشف الذيل عنه[١].

ومن الواضح أنّ قوله: لو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم... لعلّي كنت أدلّ على مكانه» يدلّ على وجود الإمام بشخصه، إلّا أنّه مجهول المكان للجهل بمعرفة شخصه المبارك.

مضافاً إلى ما ورد من استحباب الدعاء للإمام عليه السلام في عصر الغيبة بالحفظ من خلفه ومن أمامه... وهي واضحة الدلالة على وجود الإمام بشخصه المبارك، إلّا أنّنا لا نعرفه فقط. إذن اتّضحت هوية الغيبة، وأنّها ليست غيبة لشخص الإمام، وإنّما الإمام حاضر بشخصه ووجوده إلّا أنّ الناس غير عارفين له أو ملتفتين إلى حقيقته.

خلفيات غيبة الإمام عليه السلام:

لقد جاءت الكثير من النصوص الروائية حافلة بذكر الأسباب والعلل والخلفيات لغيبة الإمام عليه السلام، ومن هذه الخلفيات:

أولاً: حفظ وجود الإمام:

وهذا الأمر في غاية الوضوح حين نجد السلطات العباسية تسعى سعياً حثيثاً لقتله. إذن لأجل أن لا تخلو الأرض من حجة لله تعالى لابدّ من حفظ وجوده عليه السلام. أمّا السبب الذي يكمن وراء اختصاص الإمام الثاني عشر بالغيبة لحفظه من القتل، في حين أنّنا نجد آباءه عليهم السلام كانوا حججاً لله أيضاً أنّهم عليهم السلام قد تعرّضوا للقتل والمطاردة والاغتيال.

---

١ ـ نفس المصدر ٣٥٨/٣٩١.

والجواب بات واضحاً مع ملاحظة الدور الموكول إليه وهو اقامة الدولة الاسلامية العالمية على يديه، فيبقى غائباً إلى حين توفر جميع العوامل اللازمة لانجاز مهمة كتوفر الانصار وغيرها.

ومن الروايات التي تشهد لذلك هي ما رواه زرارة عن الإمام الباقر ﷺ انه قال «*ان للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت ولِمَ؟ قال: يخاف* ـ *وأومى بيده إلى بطنه، قال زرارة يعني القتل*»[1].

ثانياً: التمحيص الإعدادي:

التمحيص: هو التطهير مع شدّة الاختبار، حيث إنّ مادة (محص) تدلّ على الخلوص والتطهير من كل عيب، يُقال: محّص الذهب بالنار أي خلّصه ممّا يشوبه، وعن عليٍّ ﷺ في ذكر فتنةٍ قال: «*يمحّص الناس فيها كما يمحّص ذهب المعدن*»، وفي الدعاء «*اللهمّ محّص عنّا ذنوبنا*» أي خلّصنا من ذنوبنا[2].

والتمحيص والابتلاء سُنّة إلهية رافقت البشرية منذ خلقها، كما يشير إليها الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[3]، وقال أيضاً: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[4].

---

١ ـ كمال الدين: ٤٨١/٩، علل الشرائع ١/٢٨٧/٩.

٢ ـ تفسير مواهب الرحمن: ٦: ٣٣٥.

٣ ـ آل عمران: ١٧٩.

٤ ـ آل عمران: ١٤١ ـ ١٤٢.

فمن خلال التمحيص يتعين مركز الفرد وواقعه تجاه عقيدته وإيمانه، استقامةً أو انحرافاً. كما يكشف التمحيص عناصر القوّة والضعف في نفسية الإنسان، فهو طريق لاستكمال النفوس، كما أشار لذلك السيد الطباطبائي في الميزان، حيث قال: التربية الإلهية للإنسان من جهة دعوته إلى حسن العاقبة والسعادة امتحان؛ لأنّه يظهر ويتعين حال الشيء أنّه من أهل أي الدارين، دار الثواب ودار العقاب؟ لذلك سمّى الله تعالى هذا التصرف الإلهي بلاءً وابتلاءً وفتنةً، فقال بوجه عام: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[١][٢]

فقد تبيّن بأنّ الامتحان سُنّة إلهية جارية... ومن هنا يظهر معنى المحق والتمحيص أيضاً، فإنّ الامتحان إذا ورد على المؤمن أوجب امتياز فضائله الكامنة من الرذائل، أو إذا ورد على الجماعة فاقتضى امتياز المؤمنين من المنافقين والذين في قلوبهم مرض صدق عليه اسم التمحيص، وهو التمييز، وكذا إذا توالت الامتحانات الإلهية على الكافر والمنافق وفي ظاهرهما صفات وأحوال حسنة مضبوطة فأوجبت تدريجاً ظهور ما في باطنهما من الخبائث، وكلّما ظهرت خبيثة أزالت فضيلة ظاهرية كان ذلك محقاً له أي كان انفاداً تدريجياً لمحاسنهما، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ

---

١ ـ الأنبياء: ٣٥.

٢ ـ تفسير الميزان: ٤/٣٥.

الْكَافِرِينَ ﴾[١].

وتتضاعف أهمية التمحيص في عصر الغيبة فيما إذا اقترن بالإعداد ليوم الظهور؛ لتحمّل المسؤولية لإنقاذ العالم من الظلم والجور، التي تفترض وجود عدد كافٍ ممحّصٍ ليكون من المخلصين الذين لهم شرف المشاركة في الدولة الكريمة.

وقد تظافرت الروايات عن الرسول وأهل بيته ﷺ على تعرض الأمة للتمحيص والاختبار الشديد:

منها: عن أبي عبدالله ﷺ قال: «*والله لتكسّرن) تكسّر الزجاج، وإنّ الزجاج لَيعاد فيعود كما كان، والله لتكسّرنّ تكسّر الفخار، وإن الفخار ليتكسّر فلا يعود كما كان، والله لتُغربَلُنّ، ووالله لتميّزنّ، ووالله لتُمحّصنّ حتى لا يبقى منكم إلّا الأقلّ*»، وصعّر كفّه[٢].

وعن صفوان بن يحيىٰ، عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: «*والله لا يكون ما تمدّون إليه أعناقكم حتى لتمحّصوا، وحتى لا يبقى منكم إلّا الأندر الأندر*»[٣].

وعن أبي جعفر الباقر ﷺ أنّه قال: «*هيهات هيهات، لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تمحّصوا، هيهات، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تُميّزوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تُغربَلوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم إلّا بعد إياس، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى*

---

١ ـ آل عمران: ١٤٠ ـ ١٤١.

٢ ـ الغيبة للطوسي: ٣٤٠/٢٨٩.

٣ ـ الغيبة للطوسي: ٣٣٧/٢٨٣.

يشقى من يشقى ويسعد مَن يسعد)[١].

وعن ابن عباس: أنّ جابر قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، وللقائم من ولدك غيبة؟ قال ﷺ: «*إي وربّي، ليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين*»[٢].

مضافاً لروايات الفتن والابتلاء في آخر الزمان التي وردت في طرق الفريقين بالتواتر، وهنالك أبواب خاصة عقدت في مصادر القوم في هذا المجال، وما ذلك إلّا لأجل التمحيص والاختبار؛ لاستخراج المخلصين وإعدادهم للنهوض بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم في دولة الإمام المهدي ﷺ.

وأخرج الحاكم في مستدركه، عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «*ينزل بأُمّتي في آخر الزمان بلاء شديد، فيبعث الله عزّ وجلّ من عترتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً*»[٣].

ومن هذا المنطلق نعرف أهمية التمحيص والاختبار الذي أشارت إليه الروايات بكثافة، وممّا يشهد على أهمية ودور التمحيص، هو ما فعلته الأُمّة الإسلامية بعد النبي ﷺ، حيث حادت عن كتابها وسُنّة نبيّها، ممّا يكشف عن أنّها لم تكن أُمّة ممحّصة قادرة على تحمّل المسؤولية. ومن هنا نفهم عدم قيام الأئمّة ﷺ بحملة عسكرية؛ لأنّهم لا يرون القيام بعمل عسكري وحده كافياً للانتصار وإقامة دعائم الحكم الصالح على يد

---

١ ـ الكافي: ١/٣٧٠/٦، الإمامة والتبصرة: ١٣٠.

٢ ـ ينابيع المودة: ٣/٢٩٧/٧، كشف الغمّة للأربلي: ٢/١٠١٦، معجم احاديث المهدي ١/١٠٠.

٣ ـ مستدرك الحاكم: ٤/٤٦٥.

الإمام، بل يتوقف على إعداد جيش عقائدي ممحّص مخلص يؤمن بالإمام وعصمته إيماناً مطلقاً، ويعي أهدافه الكبيرة، ويدعم تخطيطه.

أمّا في دولة المهدي ﷺ فسوف يتحقق فيها هذا الشرط وهذا العدد الكافي من المخلصين من خلال معاصرة البشرية تلك الظروف القاسية.

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أنّ التمحيص المقصود الذي من خلاله تتهيّأ البشرية لليوم الموعود هو تمحيص البشرية بشكل عام وعلى مدى عمرها الطويل، بالشكل الذي ينتج الأفراد المخلصين القادرين على تحمّل المسؤولية في الدولة الكريمة.

ثالثاً: اتّضاح عجز الأُطروحات الأُخرى:

ففي فترة الغيبة يتضح عجز كلّ الأُطروحات والمدارس الأُخرى عن تحقيق السعادة والكمال المنشود للمجتمع البشري، وينكشف زيف هذه الأُطروحات، كأُطروحة الأُمم المتحدة، أو حقوق الإنسان وغيرها، وهذا يشكّل عاملاً مهمّاً يساهم في ازدياد التفاعل الإيجابي مع المهمّة الإصلاحية الكبرى للإمام ﷺ، ومن ثم يزيل العقبات التي تقف بوجه هذا التفاعل المطلوب لتحقيق الأهداف الإلٰهية. وفي هذا الصدد جاءت بيانات أهل البيت ﷺ لتبيّن هذه الحقيقة:

فعن الإمام الباقر ﷺ قال: «*دولتنا آخر الدول، ولم يبقَ أهل بيتٍ لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا، لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سِرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجل: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾*»[١].

١ ـ غيبة الطوسي: ٤٧٢/٤٩٣، والآية: ١٢٨ من سورة الأعراف.

رابعاً: استمرار روح الرفض للظلم والظالمين:

إنّ الغيبة للامام عليه السلام تساهم في إدامة رفض الظلم والفساد من قبيل حكّام الجور؛ وذلك لأنّه عليه السلام لو كان ظاهراً قبل توفّر الظروف المناسبة لتحركه فهو في هذه الحالة: إمّا أن يهادن الظلمة ويجمّد أيّ نشاطٍ له، ومن ثم يبايع الحكام الظلمة، وهذه البيعة لا تسمح له بالتحرك، مع أنّه مذخور للقضاء على الظلم والفساد، مضافاً إلى أنّ مهادنته عليه السلام وتجميد نشاطه يضعف روح الرفض للظلم لدى المؤمنين؛ لأنّهم يرون أمامهم المكلف بإزالة الظلم صامت، فضلاً عن أنّ هذا الموقف السلبي لن يوقف كيد الظالمين ومساعيهم المستمرة لقتله تخلّصاً من هاجس دوره المرتقب؛ لذا تساهم الغيبة في مضاعفة روح الرفض للظلم. ومن هنا علّلت الروايات الغيبة «*لئلّا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسيف*»[1]، وكذا ما جاء في توقيعه عليه السلام إلى إسحاق بن يعقوب في جواب أسئلته «... *وأمّا علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّ وجلّ يقول:* ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[2]، *أنّه لم يكن أحد من آبائي* عليهم السلام *إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي*»[3].

خامساً: الغيبة تبلور مفهوم الانتظار: وسيأتي الحديث عنه لاحقاً.

سادساً: الغيبة سرّ من أسرار الله تعالى:

فقد علّلت جملة من الروايات أنّ الغيبة هي سرّ من أسرار الله تعالى،

---

١ ـ علل الشرائع: ٦/٢٨٦/١، عيون أخبار الرضا: ٦/٢٤٧/١.

٢ ـ المائدة: ١٠١.

٣ ـ معادن الحكمة: ٢/٣٠٣، الاحتجاج: ٢/٥٤٤، بحار الأنوار: ١٠/١٨١/٥٣.

وليس بالضرورة الاطّلاع على السبب والحكمة وراء أفعال الله تعالى، وإلّا فالكثير بل غالب أفعال الله تعالى لا تبيّن الحكمة من ورائها؛ ولذا جاء في بعض الروايات عن الإمام الصادق ﷺ قوله: «*إنّ للقائم* ﷺ *منّا غيبة يطول أمرها*». فسأله سدير: *ولِمَ ذاك يابن رسول الله؟ قال*: «*إنّ الله عزّ وجلّ أبى إلّا أن يُجري فيه سنن الأنبياء* ﷺ *في غيباتهم، وإنّه لابدّ له يا سدير من استيفاء عدد غيباتهم، قال تعالى*: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾»[1].

سابعاً: تساهم الغيبة في عدم خلو الأرض من حجة.

وهذا واضح جداً، لا سيّما مع ملاحظة ما جرى على آبائه من القتل والمطاردة، فلو كان (عجل الله فرجه) ظاهراً لعمد الظالمون لقتله والقضاء عليه، وفي هذا انقطاع لخليفة الله في الأرض. إذن فالغيبة تساهم في الحفاظ على وجود خليفة الله في أرضه.

ولذا ورد في الروايات عن النبي ﷺ: «*لا يزال الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش، فاذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها*»[2].

ما الفائدة من الإمام الغائب؟

بعد الوقوف على هوية الغيبة، وأنّها ليست أكثر من استتار العنوان فقط. يتضح أنّ الإمام حاضر بوجوده المبارك في الوسط الشيعي، وأنّه يمشي في الطرقات ويدخل في الدور، ويجول في شرق الأرض وغربها، ويسمع الكلام، ويسلّم على الجماعة ويرى ولا يرى...[3] وعلى هذا

---

١ ـ إثبات الهداة: ٣/٤٨٦/٢١٢.

٢ ـ كنز العمال: ١٢/١٧/٣٣٨٥٦.

٣ ـ الغيبة للنعماني: ٧٢، ٧٣.

الأساس فهو حاضر ببركاته وفيوضاته بيننا، وحيث لا يمكننا الإحاطة بفوائد وجوده المبارك، إلّا أنّه يمكن أن نستخلص بعض منافعه وبركاته وآثاره علينا في هذا العصر. كما في الرواية عن رسول الله ﷺ حين سأله جابر بن عبدالله الأنصاري: هل ينتفع الشيعة بالقائم في غيبته؟

«فقال: إي والذي بعثني بالنبّوة، إنّهم لينتفعون به، ويستهنئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب»[1]. ومن هذه المنافع هي:

أولاً: دفع العذاب:

ويمكن استيحاء هذه المفردة من نصوص روائية متظافرة من قبيل «*لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها*»، وغيرها ممّا يشاركها في المضمون، إلّا أنّ السؤال الذي يطرح نفسه في المقام هو: أي عذاب يدفعه الإمام؟

أقسام العذاب:

ولكي تكون الاجابة واضحة لا لبس فيها نقول: إنّ العذاب ينقسم إلى قسمين:

١ ـ العذاب الذي يبيد البشرية بأسرها، ويسمّى عذاب الاستئصال، كالطوفان والخسف ونحوها، كما حصل في الأُمم السابقة.

٢ ـ العذاب التأديبي الذي لا يستأصل البشرية بكاملها، من قبيل الأمراض كالايدز مثلاً، أو عذاب الطغاة والظالمين، ونحوهما مما لا يقضي على كل البشر.

والروايات التي قاربت مهمّة الإمام (الحجّة) التي جاءت بلسان «لولا الحجّة لساخت الأرض» تشير إلى المعنى الأوّل من العذاب، وهو عذاب الاستئصال الذي يقضي على البشرية كاملاً، وقد أضاء القرآن الكريم

---

١ ـ إلزام الناصب: ١/٣٧٨، كمال الدين: ١/٢٥٣/٣، عنه البحار: ٥٢/٩٣.

جوانب هذه الحقيقة، كاشفاً عن دور الحجة في الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]، فالآية المباركة تعتبر الرسولﷺ المصدر الأوّل للأمان، ومن الواضح أنّ ذكر الرسولﷺ باعتبار وجوده هو حجة الله في أرضه، وبذلك يشمل أهل البيتﷺ كل أمان للناس في زمان، وعلى هذا الأساس يكون الإمام المهديﷺ مصدر الأمان في فترة وجوده وإمامته.

وأشار القرآن الكريم مرةً أُخرى لدور الحجة والخليفة في درء الفساد، كما هو واضح من اعتراض الملائكة على جعل الله تعالى للخليفة، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ﴾[2]، ولا ريب أنّ اعتراض الملائكة لا يتوجه على العذاب وسفك الدماء الجزئي الذي يقابل الخير الكثير، وإنّما كان اعتراضهم ينحصر في العذاب الكامل أو الأكثر، ولذا جاء الجواب من الباري تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[3] في إشارة منه تعالى إلى دور الخليفة في منع العذاب الكامل.

كيف يقوم الإمام المهديﷺ بدرء العذاب؟

للجواب عن هذا السؤال علينا أن نعود إلى القرآن الكريم، حيث نجد أنّه يضرب مثلين للحكومة التي تُدير الكون، وهي:

أ ـ الحكومة الخفية كحكومة الخضرﷺ.

ب ـ الحكومة العلنية كحكومة ذي القرنينﷺ.

وهذان القسمان من الحكومة هما أبرز نموذجين لحكومة وإدارة الإمام المهدي وقيامه بدوره، حيث تمثّل إدارة الخضر لوظائفه الملقاة على عاتقه خير مثالٍ لحكومة الإمام المهدي وأداء وظائفه في عصر الغيبة،

---

١ ـ الأنفال: ٣٣.

٢ و ٣ ـ البقرة: ٣٠.

وكذلك الحال بالنسبة لحكومة ذي القرنين الذي آتاه الله من كلّ شيء سبباً، وهو خير مثال لحكومة الدولة العادلة بقيادة الإمام المهدي﴿ع﴾.

وجه التشابه بين دور الخضر ودور المهدي﴿ع﴾

عند الرجوع إلى القرآن الكريم نجد أنّه يرمي من وراء استعراضه لهذه القصة إلى أمر مهم؛ وذلك لأنّ القرآن لم يكن يهدف إلى حكاية قصص خيالية لا واقع لها ـ والعياذ بالله ـ فالقرآن منزّه عن ذلك، بل أراد من وراء ذلك الإشارة إلى كيفية إدارة الكون من خلال إيكال مسؤوليات مهمة لعباد وأولياء يمارسون دورهم بالخفاء، حيث نجد أنّ الله تعالى يأمر موسى بالذهاب إلى الخضر المتخفّي المتستّر، ليتعلم منه كما قال تعالى: ﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً * قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً * قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[1]، ثم بعد ذلك تستعرض السورة المباركة ثلاث قضايا لها دور كبير على صعيد البشرية، وهذه القضايا المركزية مارسها الخضر ﴿ع﴾ هي:

الأولى: وهي ترتبط بصورة مباشرة بالعامل الاقتصادي، وهي قضية خرق السفينة؛ لكي لا يغصبها الملك، كما قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[2]. إذن مارس الخضر﴿ع﴾ وظيفته في المحافظة على معيشة هؤلاء الفقراء، والسفينة تعتبر مصدر رزقهم فخرقها؛ لكي لا يأخذها الملك؛ لأنّه كان يأخذ كلّ سفينة سالمة.

ولذلك قال الفخر الرازي في تفسيره.

---

١ ـ الكهف: ٦٥ ـ ٦٨.

٢ ـ الكهف: ٧٩.

الثانية: قصة قتل الغلام وأنّه لو كان حياً لكان مفسدةً لوالديه، بل في بعض الروايات: أنّ الغلام لو بقي حياً لكان سبباً في قتل سبعين نبيّاً، ولا ريب كم هي المفسدة التي تَحرم البشرية من هداية سبعين نبياً[1].

الثالثة: قصة إقامة الجدار، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾[2]. فعلّل الخضر ﷺ سبب إقامة الجدار أنّه لو سقط لضاع مال الأيتام، ولا يخفى ما في هذه العملية من حفظ لأموال اليتامى والطبقات المحرومة.

ومن ذلك نستخلص أنّ الخضر ﷺ كان منفّذاً لأمر الله تعالى، كما هو واضح من قوله: ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

إذن لله تعالى عباد صالحون وأولياء ينفِّذون أمره في الأرض بإذنه وإرادته تعالى:

وعلى هذا الأساس فإنّ الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ يقوم بدوره وينفِّذ أمر الله تعالى في الخفاء، ضمن مجموعة بشرية منظّمة تسمّىٰ بالأوتاد أو الأبدال، كما في الروايات:

فعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «*لا يزال في أُمّتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تُمطرون وبهم تنظرون*»[3].

ونحوها من الروايات، ولذلك نقرأ في دعاء رجب «... وصلِّ على

---

١ ـ التفسير الكبير: ١١/١٦١.

٢ ـ الكهف: ٨٢.

٣ ـ راجع مجمع الزوائد للهيثمي: ١٠/٦٣، فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٣٥٥، عون المعبود للعظيم آبادي: ٨/١٥١، كتاب السنّة لابن عاصم: ٥٨٢.

محمّدٍ وآله، وعلى عبادك المنتجبين وبَشَرِكَ المحتجبين»[١].

وقد ورد عن الإمام الصادق قال: «لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولابدّ له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة، وما بثلاثين من وحشة»[٢].

وفي بعض الأحاديث: أنّ الخضر عليه السلام من مرافقيه[٣].

وقد أشار القرآن الكريم لمثل هذا الدور في اعتراض الملائكة كما تقدم[٤]، وهو دور الخليفة في الحفاظ على البشرية من الاستئصال والفساد الكامل.

إذن الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ يمارس دوره بهذه الكيفية من الخفاء؛ ليمنع البشرية من الانحدار في الهاوية، والحيلولة دون انتشار الفساد والحروب التي تستأهلها أو أكثرها، سواء على الصعيد العسكري أو الصحي أو الاخلاقي..

ولا يخفى أنّ ممارسة الدور في الخفاء ربما يكون أقوى من الحكومة العلنية، كما هو واضح في عالم اليوم، فإنّ الأيادي الخفية هي التي تدير العالم اليوم دون الحكومات المعلنة، كما نلمس ذلك في الأجهزة الأمنية للدول ونحوها.

وقد أشارت بعض الروايات لهذا الدور، كما في تعبير إحداها: «وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الانظار السحاب...»[٥]. فهي تشعر بالدور الخفي للامام عليه السلام.

وفي بعض الروايات تعلّل تسميته بالقائم ـ رغم أنّ الأئمة عليهم السلام كلّهم

---

١ ـ مصباح المتهجد: ٥٥٧. مفاتيح الجنان: ما يُدعى به في كلّ يومٍ من شهر رجب.

٢ ـ الكافي ١/٣٤٠/١٦، غيبة النعماني ١٩٤/٤١.

٣ ـ راجع كمال الدين: ٣٩٠/٤، اثباة الهداة: ٣/٤٨٠/١٨١.

٤ ـ مرّ ذكره في أوائل الفصل الأوّل.

٥ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٥٣.

قائمون ـ هو لأجل التنبيه على أنّ المهدي في الغيبة يقوم بالأمر وليس قاعداً.

إذن اتضح ان الفائدة والدور الاساسي للامام المهدي (عجل الله فرجه) في غيبته هو درء الفساد الكلي عن البشرية.

ثانياً: المحافظة على الكيان الاسلامي

وهذا ما نلمسه من رسالة الإمام المهدي ﷺ للشيخ المفيد، حيث يقول «.. فإنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذلّ *الذي أصابكم مُذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم، كأنّهم لا يعلمون أنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللاواء واصطلمكم الأعداء*»[1].

ثالثاً: المحافظة على أتباع أهل البيت ﷺ

حيث أنّ الإمام ـ عجل الله فرجه ـ يتابع أوضاع المؤمنين وما يتعرضون له من محاولات الإبادة، ومن ثم يتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشكالها. وهذه الرعاية هي أحد العوامل المفسّرة لحفظ أتباع مذهب أهل البيت ﷺ واستمرار وجودهم، على الرغم من كلّ المحاولات الرامية لتصفيتهم والقضاء عليهم والتي مورست ضدّهم لقرون طويلة.

رابعاً: تسديد العمل الاجتهادي:

وتعدّ هذه المهمة من المهامّ الاساسية للإمام، حيث يقوم ﷺ بتسديد العلماء والفقهاء الذين نصبهم بالنيابة العامة عنه (عجل الله فرجه)، فهو ﷺ يتدخّل بالمقدار الممكن لتسديد العمل الاجتهادي.

خامساً: الحيلولة دون حصول الإجماع:

---

١ ـ الاحتجاج: ٢/٥٩٨، معادن الحكمة: ٢/٣٠٣.

ومعنى ذلك: أنّ الإجماع في مذهب أهل البيتﷺ يعدّ أحد مصادر التشريع؛ لأنّه يكشف عن رأي المعصوم، كما هو مقرر في أُصول الفقه[١]، فاذا تمّ اتفاق الجميع على مسألة معينة وكانت هذه المسألة مخالفة في حكمها للواقع، فإنّ الإمام (عجل الله فرجه) يلقي الخلاف بينهم لكي لا ينعقد إجماع على حكم مخالف للواقع.

ومن الواضح أنّ هذه المهمة تعتبر من المهامّ الرئيسية في الحفاظ على التشريع الإسلامي الصحيح.

سادساً: الإمام مصدر الفيض الإلهي:

إنّ من بركات وفوائد الإمام (عجل الله فرجه) ـوإن كان غائباً ـ هي كونه مصدراً من مصادر الفيض الالهي للمخلوقات جميعاً.

وقد أشارت لهذه الوظيفة الروايات الواردة بلسان «لولا أهل بيتي لساخت الأرض بأهلها»[٢]. ونحوها مما يشاركها بالمضمون مضافاً إلى ما ورد من روايات تشير إلى أن الله تعالى جعل محمّد وآل محمّد علة الخلق ولولاهم لم يخلق الله الخلق.

وقد أخرج الحمويني عن جعفر الصادق ﷺ «... *ونحن الذين بنا تمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذن الله، وبنا ينزل الغيث وتنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض ولولا ما على الارض منا لساخت بأهلها*...»[٣].

سابعاً: الإمام يدعو لشيعته:

من أبرز بركات وفوائد إمامنا ﷺ في غيبته: أنّه يدعو لمنتظريه ومحبّيه ويستغفر لهم، وقد وردت في ذلك عدة من الروايات[٤].

---

١ ـ فرائد الأصول للشيخ الأنصاري ١/١٧٩.

٢ ـ غيبة الطوسي: ١٣٩ ح ١٠٢، عنه البحار: ٣٦/٢٥٩ ح ٧٩.

٣ ـ ينابيع المودة: ١/٧٥ح ١١، فرائد السمطين: ١/٤٥ ح ١١، عنه منتخب الأثر: ٢/٢٦٨ ح ٦٣٨.

٤ ـ انظر الإحتجاج للطبرسي: ٢/٣٢٤.

وهذه فائدة عظيمة لاغنى عنها لا سيما عند ملاحظة أهمية الدعاء في حياة المؤمن خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ الإمام ﷺ مستجاب الدعوة.

ماذا فقد الشيعة نتيجة غيبة إمامهم ﷺ ؟:

عندما نستنطق الواقع الشيعي في عصر الغيبة، لنبصر الأثر الذي تركته الغيبة على الشيعة نجد أنّ غيبة الإمام ﷺ ـ وإن كانت لطفاً إلهياً، وأنّه لم يغب في دوره الوجودي أيّة غيبة لبركاته وفيوضاته ـ لها تداعيات وآثار على الشيعة، منها:

١ ـ إنّ الغيبة حوّلت الإمامة من شهادة وحضور إلى غيب، ففي

الحديث عن الشيخ الصدوق ﷺ بإسناده، عن يحيى بن أبي القاسم، قال: سألت الصادق ﷺ عن قول الله عزّوجل: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[1]؟ فقال: «المتقون: شيعة علي ﷺ، والغيب هو الحجّة الغائب». وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[2]»[3]، ولاشكّ أنّ فقدان الحضور والمشاهدة بالحس، يفقد عنصر الاطمئنان الفردي والإجتماعي.

٢ ـ إنّ الغيبة تمثل تأجيلاً بالنسبة إلى اليوم الموعود وبشارة الأنبياء واللقاء مع الإمام ﷺ، الذي أسندت إليه السماء تصفية الحساب مع الإنسانية الكافرة.

ومن الواضح أنّ هذا التأخير والتأجيل لهذا المشروع الإلهي يسبّب

---

١ ـ البقرة: ١ ـ ٣.

٢ ـ يونس: ٢٠.

٣ ـ كمال الدين: ١/١٨، عنه بحار الأنوار: ج ٥٢/١٢٤/١٠.

الألم والأسى في قلوب المؤمنين.

٣ ـ إنّ الغيبة تمثّل تأجيلاً لمشروع الإنسان الموحِّد لله تعالى ففي روايةٍ عن أبي الحسنﷺ قال: «... *لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلّا وحّد الله*»[١].

٤ ـ في الغيبة تعود الجاهلية بصورةٍ أعقد ممّا كانت عليه في أيّام رسول اللهﷺ، ففي الرواية: «*إنّ قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشدّ ممّا استقبله رسول اللهﷺ من جهّال الجاهلية*»، قلت: وكيف ذلك؟ قال: «*إنّ رسول اللهﷺ أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة، وإنّ قائمنا إذا قام أتى الناس وكلّهم يُؤَوِّل عليه كتاب الله ويحتجّ به عليه*»[٢].

إدارة المجتمع الشيعي في عصر الغيبة:

بعدما ثبت أنّ لأهل البيتﷺ المرجعية بعد رسول اللهﷺ، وأنّ هذه المرجعية والإمامة امتداد لحركة الأنبياء والمرسلين، فإنّ العترة الطاهرة جعلت الفقيه العارف العالم العادل نائباً عنهم في زمن الغيبة الكبرى، فعن الإمام العسكريﷺ أنّه قال: «*فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوامّ أن يقلّدوه*»[٣].

وفي التوقيع الشريف الصادر عن الإمام المهديﷺ والذي يقول فيه: «*وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا*

---

١ ـ تفسير العياشي: ١/٢٠٧/٨٢، عنه بحار الأنوار: ٥٢/٣٤٠/٩٠.

٢ ـ الغيبة للنعماني: ٣٠٧/١.

٣ ـ الاحتجاج: ٢/٥١١.

حجّة الله عليهم»[١].

وكذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ينظر أنّ مَن كان منكم ممّن روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً»[٢].

إذن فإدارة المجتمع الشيعي في هذا العصر تقع على عاتق العلماء المراجع الذين تتمثّل صفاتهم في (الاجتهاد والعدالة والكفاءة)[٣].

وهذا النظام من المرجعية في عصر الغيبة هو الذي رسمه وأرسى دعائمه أهل البيت عليهم السلام، ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا: إنّ الغيبة الصغرى لها دور كبير في ترسيخ دعائم هذا النظام؛ لكي يعتمد الشيعة بعد السفراء على الاستقلال بأنفسهم، من خلال الرجوع إلى العلماء الذين أطلق عليهم اسم (نوّاب الإمام)، وقد عُبّر عن وظيفتهم الشرعية بـ(النيابة العامة).

سمات وخصائص عصر الغيبة:

إنّ الغيبة تمثّل حالة استثنائية بالنسبة لأتباع أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ الحالة الطبيعية تتمثّل في كون الإمام حاضراً ومشهوداً، ومن هنا تميّزت هذه الفترة الاستثنائية بخصائص ومميّزات، منها:

١ ـ إنّ الشيعة في هذا المقطع من وجودهم انقطعوا عن إمامهم، وبذلك فقدوا إمكانية التعاطي المباشر مع الإمام عليه السلام.

٢ ـ انتشار الظلم والجور في الأرض، وتعرّض الشيعة في هذا المقطع الزمني لأقسى وأشدّ حالات الظلم بالشكل الذي فاق ما كانت عليه في

---

١ ـ كمال الدين: ٢/٤٨٤/٤، وسائل الشيعة: ٢٧/١٤٠، أبواب صفات القاضي، ب ١١، ح ٩.

٢ ـ الكافي: ١/٦٧/١٠، وسائل الشيعة: ٢٧/١٣٦، أبواب صفات القاضي، ب ١١، ح ١.

٣ ـ راجع الكتب الفقهية في هذا المجال.

عصر الحضور، وحديث رسول الله ﷺ المتواتر المضمون وهو أنّ المهدي بعد ظهوره «... يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» يكشف عن حجم ومقدار الظلم الذي يسود الأرض إلى درجة امتلائها بالجور والظلم.

٣ ـ تأكّد الامتحان الإلهي على العباد في هذه الفترة.

* * *



واجباتنا ووظائفنا في عصر الغيبة

الفَصلُ الأوّلُ

واجباتنا في الجانب العقيدي

تحتلّ المعرفة الدينية موقعاً مهمّاً في حياة الفرد والمجتمع، حيث إنّها تؤسّس لأصلٍ موضوعيٍّ حاكمٍ على جميع جوانب الحياة وفي مختلف شؤونها.

ومن هنا احتلّت موقعاً في الصدارة، وأولاها القرآن وأهل البيت عليهم السلام عناية خاصة، وشدّد على أهمّيتها، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1].

ولا يخفى أنّ المنظومة الدينية التي تتكون من الأُصول الاعتقادية الخمسة من: التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد، مرجعها إلى التوحيد في المقامات الخمسة، فالأوّل يمثّل التوحيد في الذات الأزلية الإلهية، والثاني هو التوحيد في الصفات، والثالث هو التوحيد في التشريع والشريعة، والرابع هو التوحيد في الطاعة والولاية، والخامس هو التوحيد في الغاية وهو الإخلاص، فالله تعالى أحديّ الذات، واحد لا شريك له في

---

١ ـ فاطر: ١٠.

الذات ولا في الصفات، ولا شريك له في الحكم والولاية وحق الطاعة بالذات، وهو غاية الغايات فليس وراءه غاية. وكلّ هذه الأُصول تحقّق التوحيد المطلوب المرضيّ عند الله تعالى.

وهذا ما أكّده القرآن وأهل البيت عليهم السلام وركّز عليهما، وهما وحدة ذو حلقات مترابطة لا تتجزأ، كالصلاة التي يعبّر عنها (بالمركّب الارتباطي)، والذي يترتب على هذه الرؤية أنّ الإخلال بأي حلقة من حلقات هذا المركّب يؤدّي إلى الإخلال بالتوحيد الذي هو غاية الغايات.

معرفة الإمام طريق لمعرفة الله:

تعتبر معرفة الهدف هي الطريق الوحيد لتحققه، فما لم يتحرك السائر على ضوء معرفة صحيحة وسليمة لا يمكنه الوصول إلى غايته وهدفه، كما ورد عن أئمتنا عليهم السلام «*العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق، لا تزيده سرعة السير إلّا بعداً*»[1]. فالعلم مقدمة للعمل كما ورد في الحديث «*العلم أمام العمل والعمل تابعه*»[2]، فبواسطة العلم يهتدي الإنسان إلى ربّه «*إنّ بالعلم تهتدي إلى ربّك*»[3]، وكذا «*مَن علم فقد اهتدى*»[4].

وتتضاعف أهمية المعرفة عندما يتّضح أنّ الهدف من ورائها هو معرفة الله تعالى، كما في الحديث عن علي بن الحسين عليه السلام: «*إنّ الله عزّوجل ما*

---

١ ـ تحف العقول: ٣٦٢.

٢ ـ الخصال: ٥٧٢/١٢.

٣ ـ مشكاة الأنوار: ١/٣٠٦/٦٩٥.

٤ ـ غرر الحكم: ٦٨٥/١١/٨٤.

خلق *العباد إلّا ليعرفوه...*»[١].

وفي الحديث: أنّ قوماً قالوا للإمام الصادقعليه السلام: ندعو فلا يُستجاب لنا! قال: «*لأنّكم تدعون مَن لا تعرفون*»[٢].

إذن غاية المعرفة هي معرفة الله تعالى، ومن هنا أكّد الرسولصلى الله عليه وآله على أنّ «*رأس العلم معرفة الله حق معرفته*»[٣]. وكذا نجد هذا المعنى في جواب أمير المؤمنينعليه السلام لذلك السائل الذي سأله وهو في لجة معركة الجمل حين سأله: أتقول أنّ الله واحد؟ فما كان جواب الناس إلّا أن حملوا عليه، متذرّعين بأنّ الساحة ساحة معركة وحرب لا ساحة سؤال ومعرفة، فقال أمير المؤمنين: «*دعوه، فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم*»[٤]، ومن هنا يبرز هذا السؤال، وهو: ما هو الطريق لمعرفة الله تعالى؟

تتّضح الإجابة على هذا السؤال من خلال التأمّل في النصوص الشريفة، حيث نجد أنّها تنطوي على أمرٍ بالغ الخطورة على صعيد العلاقة بين معرفة الله ومعرفة الإمام، وأنّ مَن لم يعرف إمامه لا يذوق حلاوة التوحيد، ويموت ميتة جاهلية، كما في الحديث: «*مَن لم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية*»[٥].

وعن أمير المؤمنينعليه السلام يقول: «*نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلّا بسبب*

---

١ ـ علل الشرائع: ١/٢٠/١.

٢ ـ فلاح السائل: ٢٠٩ ح ١٢٠، التوحيد: ٢٨٢ ح ٧.

٣ ـ توحيد الصدوق: ٥/٢٧٨.

٤ ـ الخصال: ١/١٩/١، بحار الأنوار: ١/٢٠٦/٣.

٥ ـ الكافي: ١/٣٧٦/١.

معرفتنا»[١].

ونجد هذا المعنى أيضاً في الزيارة الجامعة: «*مَن عرفكم فقد عرف الله*[٢] ... *ومَن أراد الله بدأ بكم*»[٣].

ومن هنا نجد أنّ الروايات المختلفة لدى العامّة والخاصّة تشير إلى أنّ كفر إبليس ليس كفر شرك مع أنّه لم يعبد غير الله، وإنّما كان جحوده واستكباره عن توحيد الله في مقام الطاعة، وقد ورد في بعض الروايات: أنّه طلب إعفاءه من السجود لآدم وسوف يعبده عبادة لا نظير لها، وما كان الجواب من الحق تعالى: «*إنّي أحبّ أن أُطاع من حيث أُريد*»[٤]. وفي رواية أُخرى «*إنّي أُريد أن أُعبد من حيث أُريد، لا من حيث تُريد*»[٥].

ومن هنا نجد تأكيد الإمام المهدي‌عليه السلام على هذا الدعاء في عصر الغيبة: «*اللهمّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهمّ عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهمّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني ...*»[٦].

وهذا يعني أنّ الأخذ السليم للدين لا يكون إلّا من طريق معرفة الإمام. إذن فمعرفة الإمام هي نقطة التوازن، فإذا احتلّت موقعها الصحيح اكتسبت جميع الأُمور مواقعها الطبيعية، وإلّا سيُصاب كلّ شيء بالخلل،

---

١ ـ تفسير العياشي: ٢/٢٣/٤٨، بحار: ٨/٣٣٨ ح ١٦.

٢ ـ شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور: ٤٤٩.

٣ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٣٠٨ ضمن ح ١.

٤ ـ بحار الأنوار: ٢/٢٦٢/٥، عن قصص الأنبياء: ١٥ ح ٧.

٥ ـ تفسير القمّي: ١/٤٢، بحار الأنوار: ١١/١٤١.

٦ ـ مصابيح الجنان: ٨٠.

فإذا ما حسم الإنسان موقفه من الإمام واتّضحت معرفته، فلابدّ أن تأخذ منظومته الدينية موقعها الصحيح.

ومن هنا نفهم الوجه في تأكيد أهل البيت عليهم السلام على ضرورة معرفة الإمام في عصر الغيبة؛ لما يحيط به من ضروب التشكيك في وجود الإمام المهدي، ففي الحديث: «*اعرف إمامك، فإنّك إن عرفته لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أو تأخّر. ومن عرف إمامه ثمّ مات قبل أن يرى هذا الأمر كان له مثل أجر مَن قُتِل معهُ...*»[١].

وفي الحديث الشريف: «*إنّ الله عزّوجل أوضَحَ بأئمّة الهدى من أهل البيت فينا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، ومنح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أُمّة محمدٍ صلى الله عليه وآله واجب حقّ إمامه وجد حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه؛ لأنّ الله تبارك وتعالى نصب الإمام على خلقه، وجعله حجّة على أهل مواده وعالمه...*»[٢].

أهمية معرفة الإمام في عصر الغيبة:

بعد أن اتّضحت أهمية معرفة الإمام، وأنّها طريق لمعرفة الله تعالى فإنّ هذه الأهمية تتضاعف في عصر الغيبة لعدة أسباب، منها:

١ ـ إنّ في عصر الغيبة تتبلور الجاهلية، وتكثر الشبهات بصورة أعقد ممّا كانت عليه في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله. ففي بعض الروايات عُبِّر عن عصر الغيبة بعصر الفترة؛ حيث الأنبياء لا يوجدون والأوصياء مغيّبون، وكذلك

١ ـ الغيبة للطوسي: ٤٥٩/٤٧٢، عنه البحار: ٥٢/١٣١ ح ٣٠، الكافي: ج ١/٣٧١/٢ مع اختلافٍ يسير.
٢ ـ مرآة العقول: ٢/٤٠٠.

في فترة ما قبل الرسولﷺ (فترة من الرسل) ففي الحديث: «*إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمرٍ جديد كما دعا إليه رسول الله*ﷺ، *وإنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ...*»[1].

وفي كلام للشيخ الصدوق في معنى الحديث المذكور قال: حال النبيﷺ قبل النبوّة حال قائمنا وصاحب زماننا؏ في وقتنا هذا، وذلك أنّه لم يعرف خبر النبيﷺ في ذلك الوقت إلّا الأحبار والرهبان والذين قد انتهى إليهم العلم به، فكان الإسلام غريباً فيهم، وكان الواحد منهم إذا سأل الله تبارك وتعالى بتعجيل فرج نبيّه وإظهار أمره سخر منه أهل الجهل والضلال، وقالوا له: متى يخرج هذا النبيّ الذي تزعمون أنّه نبيّ السيف، وأنّ دعوته تبلغ المشرق والمغرب، وأنّه تنقاد له ملوك الأرض كما يقول الجهّال في وقتنا هذا؟ متى يخرج هذا المهدي الذي تزعمون أنّه لابدّ من خروجه وظهوره، وينكره قوم ويقرّ به آخرون؟...[2] . ولذا يكون لمعرفة الإمام دور في استئصال هذه الشبهات والتضليلات.

٢ ـ إنّ الاعتقاد والمعرفة بأنّ الإمام مطّلع على كلّ أعمالنا وحركاتنا، وإنّ رضاه؏ رضا الله، كلّ هذا يساهم في تحمّلنا لأداء مسؤوليتنا ووظائفنا بصورة دقيقة، والعمل على مضاعفة جهودنا لأجل تحقيق هدف الإمام؏.

٣ ـ من دون معرفة الإمام؏ أو ضعفها سوف تأخذ الدعوات الضالّة والمنحرفة مأخذها في نفسية الفرد المؤمن وتثبيط عزيمته، وبالتالي

---

١ ـ الغيبة للنعماني: ١/٣٣٦، بحار الأنوار: ٥٢/٣٦٦/١٤٧.

٢ ـ كمال الدين: ١/٢٠٠.

تؤدي به إلى الانحراف والسقوط في أحضانها، وتصل به أخيراً إلى التشكيك بوجود الإمامؑ وإلى إنكاره المستلزم لإنكار النبيﷺ والرسالة، وبذلك يخرج عن ربقة الإسلام، ففي الحديث عن رسول اللهﷺ قال: «*مَن أنكر ولدي القائم فقد أنكرني*»[١].

وفي كلام للشيخ الصدوق على وجوب وأهمية معرفة الإمام، حيث قال: ولا يكون الإيمان صحيحاً من مؤمن إلّا من بعد علمه بحال مَن يؤمن به، كما قال الله تبارك وتعالى ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢]. ثمّ كذلك لن ينفع إيمان مَن آمن بالمهدي القائمؑ حتى يكون عارفاً بشأنه حال غيبته؛ وذلك أنّ الأئمة قد أخبروا بغيبته، ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نُقل عنهم واستحفظ في الصحف، ودوّن في الكتب المؤلفّة من قبل أن تقع الغيبة.. وبذلك فلج الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً. وإنّ حال خصومنا ومخالفينا من أهل الأهواء المضلّة قصدوا[٣] لدفع الحق وعناده بما وقع من غيبة صاحب زماننا القائمؑ واحتجابه عن أبصار المشاهدين، ليُلبّسوا بذلك على من لم تكن معرفته متقنة، ولا بصيرته مستحكمة[٤].

---

١ ـ كمال الدين: ٢/٤١٢ ح ٨، عنه البحار: ٥١/٧٣ ح ٢٠، ومنتخب الأثر: ٣/٢٠١ ح ١٢١٨.

٢ ـ الزخرف: ٨٦.

٣ ـ في بعض النسخ: «تصدّوا».

٤ ـ كمال الدين: ١/١٩ ـ ٢١.

دور وأثر معرفة الإمام في حياة الفرد والمجتمع:

لاشكّ أنّ نفس معرفة الإمام عليه السلام من نعم الله تبارك وتعالى، فهي قبس من نور تضيء لنا كلّ ظلام، وتكشف عنّا كلّ خفاء، وتثبّتنا عند كلّ اضطراب؛ ذلك لأنّ الإمام هو نعمة الله. ففي الحديث: سئل موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجل: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1] فقال عليه السلام: «النعمة الظاهرة: الإمام الظاهر، والنعمة الباطنة: الإمام الغائب...»[2].

وتتضاعف أهمية معرفة هذه النعمة في عصر الغيبة، لما يحيطه من شكوك وافتراءات ودعوات باطلة، ويمكن الإشارة الى بعض آثار معرفة الإمام في هذا العصر من خلال بعض النقاط التالية:

١ ـ إنّ معرفة الإمام عليه السلام مفتاح الولوج إلى ساحة الرضا الإلهي، ففي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «*أقرب ما يكون إلى العباد من الله، وأرضى ما يكون عنهم، إذا فقدوا حُجة الله فلم يظهر لهم، ولم يعلموا بمكانه، وهم في ذلك يعلمون أنّه لم تبطل حجة الله ولا ميثاقه، فعند ذلك توقّعوا الفرج صباحاً ومساءً، فإنّ أشد ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجّته فلم يظهر لهم، وقد علم أنّ أولياءه لا يرتابون....*»[3].

٢ ـ بمعرفة الإمام عليه السلام وطاعته يضمن الإنسان الفوز بالآخرة، ففي الحديث الشريف عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «*... اعرف إمامك، فإنّك إذا*

---

١ ـ لقمان: ٢٠.

٢ ـ كمال الدين: ٦/٣٦٨/٢، عنه بحار الأنوار: ٥١/١٥٠ ح ٢.

٣ ـ الغيبة للطوسي: ٤٦٨/٤٥٧، والغيبة للنعماني: ١/١٦٥، بحار الأنوار: ٥٢/١٤٥.

عرفت إمامك *لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومَن عرف إمامه ثمّ مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر كان بمنزلة مَن كان قاعداً في عسكره، لا بل بمنزلة من كان قاعداً تحت لوائه*»[1].

٣ ـ إنّ معرفة الإمامعليه السلام طريق للفرج، لأنّه بمعرفة الإمام تتحقق معرفة الأمر الإلهي والغرض الإلهي، وهو أمر أهل البيتعليهم السلام، فعن أبي عبداللهعليه السلام في قول الله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[2] قال: «*هو أمرنا أمر الله*...»[3].

وعندما نضمّ هذه الرواية إلى الحديث الشريف عن الإمام الجوادعليه السلام أنّه قال: «مَن عرف *هذا الأمر* فقد فرّج عنه بانتظاره»[4] ينتج لنا أنّه بمعرفة الإمام يتحصل الفرج.

٤ ـ إنّه بمعرفة الإمام يحصل الاطمئنان والثبات النفسي عند الفرد المؤمن، وذلك أنّه بمعرفة إمامه تزداد صلته به، ويتغلغل إيمانه إلى داخل أعماقه، ومن ثم يكون ذا عقيدةٍ راسخة، ومن ثم يكون ممّن بشّره أهل البيتعليهم السلام بالفوز والفلاح. ففي الحديث: عن أبي جعفرعليه السلام أنّه قال: «يأتي على *الناس* زمان يغيب عنهم *إمامهم*، فيا طوبى *للثابتين* على *أمرنا* في *ذلك الزمان*، *إنّ أدنى* ما يكون *لهم* من *الثواب أن* يناديهم *الباري* عزّوجل: عبادي *آمنتم* بسرّي، وصدّقتم بغيبي، فأبشروا بحسن *الثواب* منّي، فأنتم عبادي وإمائي حقّاً، منكم *أتقبّل*، وعنكم *أعفو*، ولكم *أغفر*، وبكم *أسقي* عبادي *الغيث*، وأدفع

---

١ ـ الغيبة للنعماني: ٣٥/٢، بحار الأنوار: ٥٣/١٤١/٥٢.

٢ ـ النحل: ١.

٣ ـ الغيبة للنعماني: ٩/٢٠٤، بحار الأنوار: ٤٦/١٣٩/٥٢.

٤ ـ الغيبة للنعماني: ٣/٣٥١، بحار الأنوار: ٥٤/٤٢/٥٢، إلزام الناصب: ص ٩٨.

عنهم *البلاء، ولولاكُم لأنزلت عليهم عذابي...»*[١].

وبهذا يتّضح أنّ معرفة الإمام المهديّ ﷺ في عصر الغيبة من أهمّ واجباتنا ووظائفنا.

---

١ ـ كمال الدين: ١/٣٣٠/١٥، البحار: ج ٥٢ ص ١٤٥/٦٦.

الفصل الثاني

واجباتنا في الجانب المعنوي

يعتبر الجانب المعنوي من أهم الجوانب المؤثّرة في شخصية وحركة الإنسان، ولعلّه يأتي بعد العقيدة من حيث الأهمية؛ لما يتركه من أثر بالغ في شخصية الإنسان، لأنّه يجعل من الإنسان قادراً على الاستمرار والإبداع، ذلك لأنّ سلوك الإنسان وحركته ـ اللذين يعتبران ثمرة إرادته وعزمه ـ يتأثر بشكل مباشر بهذا الجانب، بينما يمثل الجانب العقائدي الأساس الذي يرتكز عليه البعد المعنوي للإنسان.

ومن هنا نجد العلاقة الوثيقة المتناسبة والمتوازنة بين مشاعر الإنسان وأحاسيسه التي يضطلع بها الجانب المعنوي والأخلاقي وبين عقيدته، فكلّما كان الانسجام قائماً بين هذه المشاعر والأحاسيس من جهة وبين منطلقاته من جهة أُخرى، كان عزمه وصموده أقوى وأشدّ، ومن ثمّ كان اندفاعه ونشاطه أقوى.

ومن هذا المنطلق يمكن معرفة السبب فيما نجده من الحشد المتنوّع لروايات أهل البيت عليهم السلام في توجيه شيعتهم وأتباعهم في هذا الاتجاه، خصوصاً في عصر الغيبة، حيث يمثّل منهجاً من مناهج حركة الإنسان

لكي يعيش في ممارسة حية، تتحرك فيها المعاناة والآلام في داخله حتى تجعله يعبد الله في جراحه التي تنزف، وفي أوجاعه التي تتلوّى، مواصلاً حركته نحو تحقيق هدفه.

وفي هذا الضوء يمكن أن نلاحظ مجموعة من الوظائف والواجبات التي ترسم لنا الخطوط الرئيسية التي أكّد عليها أهل البيتﷺ لبناء الجانب الروحي، لا سيّما في عصر الغيبة، منها:

١ ـ المودّة والولاء لأهل البيتﷺ:

لاشكّ أنّ وجوب مودّتهم وولايتهمﷺ ضرورة إسلامية وقد اتّفق عليه جميع المسلمين إلّا الناصبي والمخالف لهم، وأكّدها القرآن الكريم في عدّة مواضع، منها ما جاء في آية المودّة: ﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]، وقد تواترت الروايات عن النبيﷺ وأهل بيتهﷺ على أنّ حبّهم علامة الإيمان، وأنّ بغضهم علامة النفاق، وجاءت الصلاة عليهم (اللهمّ صَلِّ على محمّدٍ وآل محمّد) جزءاً من الصلاة، كما أمر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2]. فضلاً عمّا ورد من أنّ حبهم وولايتهم شرط في قبول الأعمال.

فعن زرارة، عن أبي جعفرﷺ قال: «*بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية*»، قال زرارة: فقلت: وأي شيءٍ من ذلك أفضل؟ فقال: «*الولاية أفضل؛ لأنّها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل*

---

١ ـ الشورى: ٢٣.

٢ ـ الأحزاب: ٥٦.

عليهنّ...»[1].

وعن رسول الله ﷺ قال: «الإسلام عريان، فلباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروّته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حُبّنا أهل البيت»[2].

وهنالك الكثير من النصوص الواردة عن النبي ﷺ وعن أهل البيت عليهم السلام تحثّ على حبّ أهل البيت عليهم السلام؛ باعتباره هدفاً أساسياً ووسيلة من وسائل القرب الإلهي.

وكان أثر حب أهل البيت عليهم السلام واضحاً في نفوس المسلمين، وتكشف عن ذلك هذه الأبيات الشعرية عن الشافعي:

يا آلَ بيتِ رسولِ اللهِ حُبّكُمُ فرضٌ من اللهِ في القرآنِ أنزلهُ

كفاكُمُ من عظيمِ الشأنِ أنّكُمُ مَنْ لم يُصلِّ عليكم لا صلاةَ له

وقوله أيضاً:

إن كان رفضاً حُبُّ آلِ محمدٍ فليَشهَدِ الثقلانِ أنّي رافضي

وعن جابر الأنصاري قال: وفد على رسول الله ﷺ أهل اليمن، فقال النبي ﷺ: «جاءكم أهلُ اليمن يبسّون بسّاً، فلمّا دخلوا على رسول الله ﷺ قال ﷺ: قومٌ رقيقةٌ قلوبهم، راسخ إيمانهم، منهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً، ينصر خَلَفي وخَلَف وصيّي، حمايل سيوفهم المسك». فقالوا: يارسول الله، ومَن وصيّك؟ فقال: «هو الذي أمركم الله بالاعتصام به، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[3]». فقالوا: يارسول الله، بيّن لنا ما هذا الحبل؟

---

١ ـ الكافي: ٢/١٨/١.

٢ ـ الكافي: ٢/٤٦/٢، عنه وسائل الشيعة: ١١/١٤١ ح ٦.

٣ ـ آل عمران: ١٠٣.

فقال: «هو قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[١]، فالحبل من الله: كتابه، والحبل من الناس: وصيّي»، فقالوا: يارسول الله، ومَن وصيّك؟ فقال: هو الذي أنزل الله فيه: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾[٢]»، فقالوا يارسول الله، وما جنب الله هذا؟ فقال: «هو الذي يقول الله فيه: ﴿يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٣] هو وصيّي السبيل إليّ من بعدي»، فقالوا يارسول الله، بالذي بعثك بالحق نبياً أرِناه فقد اشتقنا إليه، فقال: هو الذي جعله الله آيةً للمتوسّمين، فإن نظرتم إليه نظر مَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عرفتم أنّه وصيّي كما عرفتم أنّي نبيّكم، فتخلّلوا الصفوف، وتصفّحوا الوجوه، فمن أهوت إليه قلوبكم فإنّه هو، إنّ الله عزّوجل يقول في كتابه ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[٤]» .

فقام ستّة من الحاضرين فتخلّلوا الصفوف وتصفّحوا الوجوه، وأخذوا بيد الأصلع البَطين، وقالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يارسول الله، فقال النبي ﷺ: «أنتم نخبة الله حين عرفتم وصي رسول الله قبل أن تعرفوه، فبمَ عرفتم أنّه هو؟»، فرفعوا أصواتهم يبكون، وقالوا: يارسول الله، نظرنا إلى القوم فلم نبخس لهم، ولمّا رأيناه رخت قلوبنا، ثمّ اطمأنّت نفوسنا، فانجاست أكبادنا، وهملت أعيننا، وتبلّجت صدورنا حتى كأنّه أبٌ لنا ونحن له بنون، فقال ﷺ: «﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[٥]، أنتم منه بالمنزلة التي سبقت لكم بها الحسنى، وأنتم عن النار

---

١ ـ آل عمران: ١١٢.

٢ ـ الزمر: ٥٦.

٣ ـ الفرقان: ٢٧.

٤ ـ إبراهيم: ٣٧.

٥ ـ آل عمران: ٧.

مبعدون...»[١].

آثار مودّتهم وولائهم على الفرد والمجتمع في عصر الغيبة:

لا يخفى أنّ لمودة أهل البيت‏عليهم السلام آثاراً معنوية كبيرة فضلاً عن الآثار السياسية والثقافية، لا سيّما في عصر الغيبة الذي يتأكّد فيه الابتلاء والتمحيص، ومن جملة هذه الآثار هي:

١ ـ إنّ مودّتهم‏عليهم السلام طريق للرضا الإلهي، الذي يصعّد درجة إخلاص الفرد المؤمن، ممّا يجعله مؤهّلاً للمشاركة في يوم الظهور، فعن أبي عبدالله‏عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين‏عليه السلام: *«ذكرنا أهل البيت شِفاء من الوعك والأسقام، ووسواس الريب، وحبّنا رضا الربّ تبارك وتعالى»*[٢].

٢ ـ إنّ لحبّ أهل البيت‏عليهم السلام ومودّتهم أثراً كبيراً في رفع معنوية الفرد المسلم، فمن هذا الحبّ يستمدّ المؤمن وقود حركته وزخم اندفاعها في السير نحو الهدف المرسوم، ممّا يجعله قادراً على الصمود أمام الضغوط والتحدّيات التي يواجهها في هذا العصر.

٣ ـ إنّ محبّة أهل البيت‏عليهم السلام ومودّتهم تساهم في توطيد الرابطة والعلاقة بين المؤمن وإمامه.

٤ ـ وإنّ محبّة أهل البيت‏عليهم السلام لها دور كبير في الارتباط الروحي والمعنوي بهم والاقتداء بسيرتهم، والالتزام بأوامر الله ونواهيه، والورع عن محارم الله.

٥ ـ إنّ حبّهم يفتح القلوب إلى الانفعال والتأثّر بتعاليم وثقافة أهل

---

١ ـ غيبة النعماني: ٤٦ ح ١، عنه البحار: ١٧/٣٤ ح ٦ و ص ١١٢ ح ٦٠، وغاية المرام: ٣١/٣.

٢ ـ المحاسن : ١٧١/١٣٥/١، عنه البحار: ١٤٥/٢ ح ١٠، وج ٢٢٧/٢٦ ح ٢.

البيت عليهم السلام؛ ولذا نجد أعداء أهل البيت عليهم السلام يحاولون إطفاء شعلة هذا الحبّ والولاء بطرح البدائل والولاءات الأُخرى من أجل إبعاد الأُمّة عن ولائها لأهل البيت عليهم السلام.

إذن بالولاء لأهل البيت عليهم السلام يتمكن الفرد المسلم الخروج من التمحيص بنجاح، ويكون قادراً على الوقوف بوجه الأباطيل والتضليلات التي تثار في عصرنا هذا بوجوه مختلفة، فتارة تطرح باسم التعدّدية الدينية، وأُخرى تطرح الإمامة على أنّها حالة مفروضة وإملاء، لتجريدها عن حالة الحب والعشق لأهل البيت عليهم السلام، وثالثةً تحاول أن تختزل دور الإمام في الحاكمية فقط وتجريده عن دوره الوجودي... إلى غيرها من الشبهات التي تستهدفنا من أجل صرفنا عن معتقداتنا وأُصولنا.

إذن فولاية أهل البيت عليهم السلام من الواجبات والوظائف المهمة في هذا العصر، فينبغي علينا ترسيخها وتجذيرها في نفوسنا.

ولا بأس بالإشارة إلى أنّ المراد بالمودّة ليس المحبة القلبية فقط، بل المحبة القلبية مع ما لها من الآثار التي تكشف عن تلك المحبة الكامنة في القلب، ونجد هذا المعنى في تفسير القمّي، حيث فسّر المحبة بتلك الآثار، حيث قال: «*أجر النبوّة* أن لا تُؤذوهم ولا تقطعوهم ولا تغصبوهم، وتَصِلوهم، ولا تنقضوا *العهد* فيهم...»[١].

٢ ـ التبرّي من أعداء أهل البيت عليهم السلام:

وهو من ضروريات مذهبنا، وقد أكّد عليها أهل البيت عليهم السلام تأكيداً شديداً، مشدّدين على أنّ ولايتهم ومحبتهم لا يمكن أن تتحقق ما لم

---

١ ـ تفسير القمي: ٢/٢٤٨، عنه البحار: ٢٣/٢٣٨ ضمن ح ٥.

يرافقها تبرٍّ من أعدائهم، وهذه مسألة وجدانية؛ لأنّ الحب والبغض من الأُمور المتضادة كالحرارة والبرودة، فكلّما اقتربنا من أحدهما سوف نبتعد عن الآخر، وبالعكس.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قيل له: إنّ فلان يواليكم، إلّا أن يضعف عن البراءة من أعدائكم؟ فقال عليه السلام: «*هيهات، كذب مَن ادّعى محبّتنا ولن يتبرّأ من عدوّنا*»[1].

وبصدد عصر الغيبة نجد كثافة من النصوص الروائية التي تشير وتؤكّد على أهميتها في هذا العصر، ففي بعض الروايات يكون الموالي لأهل البيت عليهم السلام المتبرّي من أعدائهم يجعله رسول الله صلى الله عليه وآله من رفقائه وذوي مودّته ومن كرام خلق الله عليه، ففي الرواية عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه، يتولّى وليّه، ويتبرّأ من عدوّه، ويتولّى الأئمة الهادية من قبله، أُولئك رفاقي وذوو وُدّي ومودّتي، وأكرام أُمّتي عليّ..*»[2].

وهكذا يزفّ الإمام الكاظم عليه السلام البُشرى للموالين لهم والمتبرّئين من أعدائهم، ما يقوله: «*طوبى لشيعتنا المتمسّكين بحبّنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أُولئك منّا ونحن منهم، وقد رضوا بنا أئمةً ورضينا بهم شيعة، طوبى لهم ثمّ طوبى لهم! هم واللهِ معنا في درجتنا يوم القيامة*»[3].

إضافةً إلى وجود الكثير من هذا القبيل من الروايات في هذا المعنى.

---

١ ـ السرائر (المستطرفات): ٣/٦٤٠، عنه بحار الأنوار: ٢٧/٥٨/١٨.

٢ ـ غيبة الطوسي: ٤٥٦/٤٦٦، عنه بحار الأنوار : ٥٢/١٣٠/٢٥.

٣ ـ كمال الدين: ٢/٣٦١/٥، عنه بحار الأنوار : ٥١/١٥١/٦، كشف الغمة : ٢/١٠١٨.

دور وأثر التبرّي على الفرد والمجتمع في عصر الغيبة:

لقد شخّص أهل البيتعليهم السلام الداء، ووضعوا العلاج والدواء الناجح؛ لأنّهم الأطباء الذين أسندت إليهم السماء وضع العلاج المجدي لهذه الأمراض والمظالم التي تلفّنا من كلّ جانب في هذا العصر، ولذا جاء علاجهمعليهم السلام من أجل القضاء أو الحدّ من هذه الأمراض المتفشّية في مجتمعنا في هذا العصر، التي أخذت تتوغّل في أعماق الجسم الشيعي.

ومن أهم ما وصفهعليه السلام من علاج هو البراءة من الأعداء، ولعلّ سبب تركيز أهل البيتعليهم السلام على ضرورة التبريّ من أعدائهم هو:

١ ـ لأنّه من خلال التبرّي من أعداء أهل البيتعليهم السلام سوف يتجسّد الولاء الحقيقي في نفس الفرد المؤمن، الأمر الذي يؤدّي الى الصمود والمقاومة والوقوف بوجه كلّ دعوة تحاول النيل من أهل البيتعليهم السلام، مهما كانت المغريات، ومهما اختلفت فنونها وأساليبها.

٢ ـ تنطلق بعض الدعوات في هذا العصر، من أجل تهميش دور الإمام وحصره في الحاكميّة فقط، ومن هنا يأتي دور البراءة من أعداء أهل البيتعليهم السلام للوقوف بوجه هذه الدعوات، من خلال تجذير وترسيخ اعتقادنا بالإمامعليه السلام بحيث يكون ثقافة عامة لمجتمعنا.

٣ ـ من خلال حثّ وتركيز أهل البيتعليهم السلام الأمّة على ضرورة التبرّي من أعدائهم يتّضح لنا ماهو موقفنا من الظالمين: من معاداتهم، وحرمة التعاون معهم، ومقاومتهم بشتّى الوسائل.

٤ ـ التولّي والتبرّي هو سرّ قدرتنا، وهو العنصر الذي يربط بين أفراد المجتمع الشيعي مع بعضهم، وإلّا فحب أهل البيتعليهم السلام فقط يدّعيه حتى المخالفين، إلّا أنّه على طريقتهم الخاصّة.

ولعلّ السبب الذي يقف وراء بعض الدعوات لتخفيف حالة التبرّي من أعداء أهل البيت: من داخل البيت الشيعي هو الخلط بين الخطاب الخارجي

ـ أي مع بقية المذاهب الأُخرى ـ وبين الخطاب الداخلي، أي مع نفس أبناء المجتمع الشيعي، أو يرجع سببها إلى تأثّر البعض بالثقافة المسيحية التي تركّز على الحب والتعاطف دون العكس، أو يرجع السبب لحالة الاستضعاف لدى البعض، ومنها يتحوّل الى حالة سلبية.

لذا ينبغي الإهتمام بهذا الجانب.

٣ ـ الإخلاص:

إنّ الإخلاص جوهر العبادة، ومناط قبول الأعمال عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[١]، وهو من أفضل العبادات كما ورد عن الإمام الجوادعليه السلام «أفضل العبادة الإخلاص»[٢].

ولا شكّ أنّ منبع الإخلاص هو الحبّ، فكلّما كان الحب شديداً كان الإخلاص شديداً. قال السيد الطباطبائي في الميزان: وأمّا محبة الله سبحانه فإنّها تطهّر القلب من التعلّق بغيره من زخارف الدنيا وزينتها من ولد أو زوج أو مال أو جاه، حتى النفس ومالها من حظوظ وآمال، وتقصر القلب في التعلّق به تعالى وبما ينسب إليه من دين أو نبيٍّ أو وليٍّ وسائر ما يرجع إليه تعالى بوجه، فإنّ حب الشيء حب لآثاره...[٣].

والإخلاص من شروط التوحيد الموجبه لدخول الجنّة، والإخلال بها يوجب الدخول في النار، فعن جابر بن عبدالله، عن النبيصلى الله عليه وآله أنّه قال: «*الموجِبتان: مَن مات يشهد أن لا إله إلّا الله* [وحده لا شريك له] *دخل الجنّة*،

١ ـ الزمر: ٢ ـ ٣.

٢ ـ كمال الدين: ١/٢٨٧/٦، عنه البحار: ٥٢/١٢٤/١١.

٣ ـ تفسير الميزان: ١١/١٦٠.

ومَن مات يشرك بالله دخل النار»[١].

وفيما يكون قيداً أو شرطاً لكلمة التوحيد لكي يستوجب صاحبها الجنّة، هو ما روي عن رسول الله ﷺ في قوله: «إنّ لا إله إلّا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عزّوجلّ، مَن قالها مخلصاً استوجب الجنّة، ومَن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه، وكان مصيره إلى النار»[٢].

وهذا المعنى يلتقي مع ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام «... وكمال التوحيد الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من قال لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنة، وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلّا الله عمّا حرّم الله عزّوجل»[٤].

وعلى هذا الأساس تتّضح أهمية التحلّي بهذه الصفة في عصر الغيبة؛ لما تقدّم من أنّه عصر الابتلاء والتمحيص، فتعالَ معي إلى ما قاله إمامنا زين العابدين عليه السلام، حيث نجد أنّ صفة الإخلاص أعطاها لمن يتميّز بعدة امتيازات، حيث قال: «إنّ أهل زمان غيبته، والقائلين بإمامته، والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف! أُولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً»[٥].

ومن هنا تنبثق ضرورة التحلّي بهذه الصفة في عصر الغيبة.

---

١ ـ التوحيد: ٢٢/٨.

٢ ـ التوحيد: ٢٥/١٧.

٣ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١/ ص١٤.

٤ ـ التوحيد: ٢٩/٢٦.

٥ ـ الاحتجاج: ٢/٨٥٤، عنه البحار: ٥٢/١٢٢/٤، ومنتخب الأثر: ٣/٢٠٦، وإلزام الناصب: ١/٥١٩.

أهمّ آثار هذه الصفة في عصر الغيبة:

١ ـ إنّ وجود عدد من المخلصين يُعدّ شرطاً من شرائط الظهور، ومن هنا يتّضح دور صفة الإخلاص في عصر الغيبة، وهو إعداد وتهيئة شرطٍ من شرائط الظهور.

٢ ـ المخلص لا تؤثّر عليه المغريات والشهوات مهما كانت أشكالها وتعدّدت ألوانها.

٣ ـ للمخلص تأثير كبير في المجتمع، باعتباره قدوةً يقتدي به الآخرون،وهذا بدوره يعتبر عنصراً مهماً في إصلاح المجتمع، وبالتالي يقرِّب من يوم الظهور.

٤ ـ يساهم الإخلاص في الحدّ من حصول الاختلافات التي تُوقعها الفتن بين المؤمنين، كي يقوى المجتمع على مواجهة مثل هذه التحدّيات.

٥ ـ استجابة دعاء المخلصين، وخصوصاً بتعجيل الفرج، وهذا بدوره يساهم في تعجيل الظهور.

٦ ـ يورث الإخلاص المحبة بين المؤمنين، وهو عنصر مهم يرتكز عليه المجتمع، وهذا بدوره يصبّ في طريق تحقيق الهدف الإلهي وإقامة العدل في الأرض.

٤ ـ التقوى:

لمّا كان المؤمن سائراً بحركته إلى الله تعالى، وسط غابة كثيفة من المآزق والمضائق والشدائد، فلكي يواصل الإنسان المؤمن حركته هذه عليه أن يستمدّ وقود حركته من قوة قاهرة؛ ليتمكّن من مجابهة هذه المشاقّ، وعلى هذا الضوء يتّضح دور التقوى في حياة الإنسان، ولذا نجد تأكيد القرآن والسُنّة الشريفة على لزوم الاتصاف بالتقوى، قال تعالى:

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١]، ونلاحظ في ذيل الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢]. فقد نبّه سبحانه على أنّ الكرامة الحقيقية للمؤمن تحصل بالتقوى؛ لأنّ التقوى هي الحصن الحصين للإنسان من الوقوع في محارم الله تعالى.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «*عباد الله، إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم...*»[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتّقِ الله عبد وليتمسّك بدينه*»[٤].

أهمية التقوى وأثرها في حياة الفرد والمجتمع في عصر الغيبة:

إنّ آثار التقوى وإن كانت غير منحصرة في عصر الغيبة، إلّا أنّ أهميتها تتجلّى بصورة واضحة في هذه الفترة؛ لما تتميّز بها من خصوصيات وتغيّرات مهمّة، ويمكن الإشارة لبعض هذه الآثار من خلال النقاط التالية:

١ ـ إنّ التقوى تجعل حياة المتّقي، سهلةً يسيرةً، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[٥]، وبذلك يكون المؤمن قادراً على مواجهة المصاعب والشدائد واستقبالها بوجه مشرق وبقلب مطمئن، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٦] باعتبار

---

١ ـ الحشر: ١٨.

٢ ـ الحجرات: ١٣.

٣ ـ نهج البلاغة: ٢٢٠، الخطبة (١١٤).

٤ ـ البحار: ١٣٥/٥٢ عن غيبة النعماني: ١٧٤ ضمن ح ١١، وج ١٤٥/٥١ ح ١٣، عن كمال الدين: ٣٤٣ ح ٢٥.

٥ ـ الليل: ٥ ـ ٧.

٦ ـ الرعد: ٢٨.

أنّ المتّقي لا يغفل عن ذكر الله تعالى.

٢ ـ تساهم التقوى في إعداد الفرد والمجتمع وتجعلهم قادرين على تحمّل المسؤولية في يوم الظهور.

٣ ـ يتمتّع الإنسان المتّقي بقدرة على التمييز بين الحقّ والباطل في المواقف الحرجة، وهذا ممّا لا تخفى أهمّيته، لاسيّما في ظلّ هذه الأوضاع المريرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[١].

٤ ـ إنّ الذي لا يتحلّى بهذه الصفة الكريمة سوف يجد صعوبة وعسراً في حياته، وبذلك يكون فريسةً سهلةً للدعوات الضالّة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[٢].

٥ ـ التسليم:

لمّا كان المطلوب منّا التحرك على خطّ الاستقامة السلوكية وهو خطّ أهل البيت عليهم السلام، فمن الواضح أنّ هذا الهدف لا يتأتّى إلّا إذ كان قائماً على أساس التسليم لله تعالى، فعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[٣] قال: «*هم الأئمة عليهم السلام تجري فيمن استقام من شيعتنا، وسلّم لأمرنا، وكتم حديثنا عند أعدائنا، وتستقبلهم الملائكة بالبُشرى من الله بالجنّة...*»[٤].

إذن التسليم لأمر الله تعالى هو الشعور الحقيقي بأنّه تعالى عالم

---

١ ـ الأنفال: ٢٩.

٢ ـ الليل: ٨ ـ ١٠.

٣ ـ فصلت: ٣٠.

٤ ـ تفسير البرهان: ٧/٥٣/٩.

بالأمر، وأنّه لو أراد النصر لأمر وليّه بالظهور، فالتسليم هو منهاج ودستور الإنسان السائر إلى الله تعالى. ففي تفسير مواهب القرآن قال السيد السبزواري: «إنّ المنهاج السليم للإنسان هو التسليم لله تعالى والانقياد له عزّوجل، وإنّ دستوره في الحياة هو الطاعة لله تعالى، والعمل بما أنزله على أنبيائه المرسلين، وفي غير ذلك بطلان الإنسانية والنيل من مقامها الرفيع، ولأجل ذلك تكون في الآخرة من الخاسرين»[١].

وعلى هذا الأساس يتّضح دور التسليم في عصر الحيرة على حدّ تعبير الرواية.

أهمّية التسليم في عصر الغيبة:

بعدما نلاحظ شدّة وكثرة الجور والفساد والمظالم في هذا العالم تتضح أهمية التسليم في حياة الفرد والمجتمع في عصر الغيبة، ويمكن إجمال ذلك من خلال النقاط التالية:

١ ـ بالتسليم لله تعالى تحصل النجاة من الضلال والفتن؛ لأنّ المؤمن من خلال التسليم يكون راضياً بقضاء الله وقدره، فلا يستعجل أمر الله تعالى. ففي الرواية عن الإمام محمد الجواد أنّه قال: «... فينتظر خروجه *المخلصون*، وينكره *المرتابون*، ويستهزئ بذكره *الجاحدون*، ويكذّب بها *الوقّاتون*، ويهلك فيها *المستعجلون*، وينجو فيها *المسلّمون*»[٢].

٢ ـ المؤمن المسلّم أمره لله تعالى لا تزحزحه المصاعب، ولا تثني عزمه البلايا مهما توالت وكثرت، وهذا بدوره يساهم في زيادة إخلاصه لله

---

١ ـ مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٦/ ١١٠.

٢ ـ كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٧٨، كفاية الأثر: ٢٧٩.

تعالى ولإمامه، وبذلك يكتسب الإرادة القوية والخبرة، ومن ثمّ يكون مُعِدّاً نفسه إعداداً روحياً وعملياً للقيام بتحمّل المسؤولية والمشاركة مع إمامه يوم الظهور.

٣ ـ للفرد المؤمن المسلّم أمره لله تعالى دور مهمّ في إصلاح المجتمع.

٤ ـ التسليم لله تعالى من جملة شرائط قبول الأعمال، فعن الإمام أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال ذات يوم: «*ألا أُخبركم بما لا يقبل الله عزّوجلّ من العباد عملاً إلّا به؟*»، فقلت: بلى، فقال: «*شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا يعني الأئمة خاصة والتسليم لهم، والورع والاجتهاد...*»[1].

إذن التسليم شرط أساسي في قبول الأعمال عند الله تعالى، وبهذا ينبغي علينا الاهتمام بهذا الأمر.

٦ ـ الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام:

من الوظائف والواجبات الأساسية ـ خصوصاً في عصر الغيبة ـ هي الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام، وهذا ما أكّدوه هم صلوات الله عليهم، ولعلّ السبب يرجع إلى أنّ الإنسان مطبوع على الارتباط بالأشياء من المواقع المحسوسة التي يعيشها في حياته العملية، لذا يكون لها دور رئيسي في الوصول إلى الغرض والهدف والنجاح في أي حركة عملية في الحياة، فعندما يجد الإنسان أمامه قدوة تتحرك وتجسد ما تأمره به، عند ذلك يكون التأثير في النفس أوقع وأشد بحيث لا يضاهيه تأثير الألفاظ والوعظ والأوامر المجردة، ولذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام «*كونوا دعاةً لنا بغير*

١ ـ غيبة النعماني: ٢٠٧/١٦، عنه بحار الأنوار: ٥٢/١٤٠/٥٠.

ألسنتكم؛ لِيَروا منكم الاجتهاد والصدق والورع»[١].

وقد اهتم القرآن الكريم بمسألة القدوة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢].

وعندما نرجع لحياة أهل البيت عليهم السلام نجدها حافلة بما يفوق حدّ الإحصاء فيما يجسّده عملهم وسلوكهم وأخلاقهم وتعاملهم مع الناس من أُسوة حسنة، ولو لم يوجد القدوة الذي يطبّق هذه الأُمور لبقيت المفاهيم التي دعا إليها القرآن الكريم مثالية ونظرية بحتة، فلو لم يجسّد الإمام الحسين عليه السلام ـ مثلاً ـ التضحية بعياله وبهذه الكيفية لبقي مفهوم التضحية نظرية، ولسرت إليها الاحتمالات، وهل يمكن مثل هكذا تضحية أم لا إلى غيرها من التساؤلات؟ وهكذا الأمر عندما جسّد أمير المؤمنين عليه السلام الرحمة في حقِّ ابن ملجم، وذلك بسؤال أمير المؤمنين عليه السلام عن ضاربه وأنّه هل سقي ممّا شربه أو لا؟

وكذلك الأمر عند ملاحظة حياة كلّ واحدٍ من الأئمة عليهم السلام وما عانوه، فهذا الإمام الكاظم عليه السلام قضى شطراً كبيراً من حياته الشريفة مغيّباً في غياهب السجون. إذن فما لم يجسد الإمام عليه السلام هذه الأُمور فمن الذي يجسّدها. وعلى هذا الأساس تتّضح ضرورة الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام والتمسّك بهم، فهم العلاج الناجح أمام الفتن والتحديات التي تواجهنا، وهذا المعنى قد أكّده أهل البيت عليهم السلام، لاسيّما في عصر الغيبة من خلال توجيه شيعتهم وأتباعهم على ضرورة الالتزام به، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزفّ البُشرى للمقتدين بقائم أهل البيت عليه السلام في عصر الغيبة، حيث قال:

---

١ ـ الكافي: ٢/٨٦/١٠، عنه وسائل الشيعة: ١٢/١٦٢، أبواب أحكام العشرة ب١٠٨ ح١.

٢ ـ الأحزاب : ٢١.

«*طوبى لمن أدرك قائم بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه، يتولّى وليّه، ويتبرّأ من عدوّه ويتولّى الأئمة الهادين من قبله، أُولئك رفقائي، وذوو ودّي، وأكرم أُمّتي عليّ يوم القيامة*»[١].

ولا ريب فإنّ التمسّك بهمعليهم السلام هو التمسّك بالعروة الوثقى، فما ورد عنهصلى الله عليه وآله: «*ياعلي، مَن أحبّكم وتمسّك بكم فقد استمسك بالعروة الوثقى*»[٢]، «*أنتم حجة الله على خلقه، والعروة الوثقى، مَن تمسّك فقد اهتدى، ومَن تركها ضلّ*»[٣].

أهمية الاقتداء بأهل البيت في عصر الغيبة:

لا شكّ أنّ الالتزام والتمسّك بمنهج وطاعة أهل البيتعليهم السلام والاقتداء بهم في عصر الغيبة له دور استثنائي في حياة الفرد والمجتمع، ويمكن الإشارة إلى بعض آثار هذه الوظيفة في عصرنا الراهن:

١ ـ حيث إنّ نفس غيبة الإمامعليه السلام هي الامتحان والابتلاء، كما في الرواية عن أبي عبداللهعليه السلام يخاطب عبدالله بن سنان: «*كيف أنتم إذا صرتم في حال لا يكون فيها إمام هدىً ولا علم يرى، فلا ينجو من تلك الحيرة إلّا من دعا...*»[٤]، لذا يكون المسلم في حيرة وتردّد؛ لطول الغيبة وما يقرب من اختلاف وشكّ في شأنهعليه السلام، لذا يجب الالتزام والتمسّك بأهل البيتعليهم السلام

١ ـ غيبة الطوسي : ٤٦٦/٤٥٦، عنه البحار: ٢٥/١٢٩/٥٢، ينابيع المودّة: ٤٨/٣٩٦/٣، الخرائج والجرائح: ١١٤٨/٣، كمال الدين: ٢٨٦ ح ٢، عن أبي جعفرعليه السلام عن النبيصلى الله عليه وآله، عنه البحار: ٧٢/٥١ ح ١٤ و ١٥، ونور الثقلين: ٥٠٥/٢ ح ١٣٢.

٢ ـ كفاية الاثر: ٧١، ارشاد القلوب: ٣١٢/٢، عنه البحار: ٣٠٢/٣٦ ضمن ح ١٤٠.

٣ ـ أمالي المفيد: ١١٠ ضمن ح ٩، عنه البحار: ١٤٢/٢٣ ح ٩٣.

٤ ـ غيبة النعماني: ١٦١/٤، عنه بحار الأنوار: ١٣٣/٥٢ ح ٣٧.

والاقتداء بهم للخروج من الحيرة والتردد.

٢ ـ بالتمسّك والاقتداء بأهل البيت عليهم السلام وملاحظة ما واجهوه من محن وظلم وتشريد وذبح... كل ذلك يجعل المؤمن ذا إرادة قوية راسخة، ومن ثمّ يتمكن من مواجهة البلاء والمحن فبالاقتداء بأهل البيت عليهم السلام تزداد ثقة المؤمن بنفسه ويحصل الاطمئنان والاستقرار النفسي مهما تطاولت عليه المحن والمصاعب.

٣ ـ إنّ التمسّك بأهل البيت عليهم السلام والاقتداء بهم يسدّ الطريق أمام مَن يدّعون القيادة والقدوة في عصر الغيبة.

وعلى هذا الأساس نجد هذا الحشد الكثير من روايات أهل البيت عليهم السلام على ضرورة الاقتداء والتمسّك بهم، فعن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قال: «...*تمسّكوا بما في أيديكم حتى يتضح لكم الأمر*»[١].

وباسناد آخر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «...*تمسّكوا بالأمر الأوّل الذي أنتم عليه حتى يتبيّن لكم*»[٢].

وقال العلّامة المجلسي في بيان هذا الخبر: «إنّ المقصود من هذه الأخبار عدم التزلزل في الدين والتحيّر في العمل، أي تمسّكوا في أُصول دينكم وفروعه بما وصل إليكم من أئمتكم، ولا تتركوا العمل، ولا ترتدّوا حتى يظهر إمامكم...»[٣].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «*إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتّقِ الله عبد عند غيبته، وليتمسّك بدينه*»[٤].

---

١ ـ نفس المصدر السابق: ١٦٢ ذيل ح ٤، عنه البحار: ١٣٢/٥٢ ضمن ح ٣٧.

٢ ـ نفس المصدر السابق ح ٥.

٣ ـ بحار الأنوار: ١٣٣/٥٢.

٤ ـ غيبة النعماني: ١١/١٧٤، عنه البحار: ١٣٥/٥٢ ح ٣٩، غيبة الطوسي: ٤٦٥/٤٥٥.

ولا شكّ أنّ التمسّك بأهل البيتﷺ هو عين التمسّك بالدين، وهنالك الكثير من الروايات في هذا المضمون.

وبعد ذلك نودّ أن نشير إلى أمرٍ، وهو: أنّه قد يُقال: كيف يمكن الاقتداء بأهل البيتﷺ مع مالهم من المقامات الرفيعة التي لا يمكن الوصول إليها؟

وفي مقام الجواب نقول: صحيح أنّ الوصول إلى مقاماتهم أمر مستحيل بالنسبة لنا، أمّا تحصيل بعض درجات كمالاتهمﷺ فهو أمر مرجوّ، وممكن الوصول إليه، فيسعى الإنسان إلى تحصيل هذه الكمالات الممكنة، وقد يستطيع تحصيل بعضها وقد لا يستطيع، «*إلّا أنّكم لا تستطيعون على ذلك، فأعينوني بورعٍ واجتهاد، وعفّةٍ وسداد*»[١].

٧ـ الصبر

من أهم الوظائف المعنوية للإنسان المؤمن هي الصبر من أجل المقاومة والصمود أمام المصاعب والآلام والمحن، خصوصاً في عصر الفتن والملاحم، وهو عصر الغيبة.

وقد اهتم القرآن الكريم وأشار إلى الصبر في مواطن كثيرة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣]، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤].

---

١ ـ نهج البلاغة، خطب الإمام عليﷺ ج ٣ ص ٧، دار الذخائر، قم.

٢ ـ آل عمران: ١٤٦.

٣ ـ آل عمران: ٢٠٠.

٤ ـ الزمر: ١٠.

ويعتبر الصبر من صفات الأنبياء والرسل الذين أُمرنا بالاقتداء بفعلهم والاهتداء بهم، قال تعالى مخاطباً الرسول الأعظمﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾[١].

وعلى هذا الأساس اهتّم أهل البيتعليهم السلام كثيراً في هذا الجانب، وقد وردت عنهم أحاديث كثيرة جداً في فضل الصَبر وأنواعه وثوابه...

وقد اختصّ عصر الغيبة بجملةٍ من النصوص الشريفة، للتأكيد على أهميته وضرورة التحلّي به في هذا العصر، فعن رسول اللهﷺ قال: «سيأتي قوم من بعدكم، *الرجل منهم له أجر خمسين منكم...*»، قالوا: يارسول الله، نحن كنّا معك ببدر وحنين وأُحد ونزل فينا القرآن! فقال: «*إنّكم لو تحملون ما حملوا لم تصبروا صبرهم!*»[٢]، ثمّ يكرّر (صلوات الله عليه) هذا المعنى ويزفّ لأتباعه الصابرين البُشرى، بمعرفتهﷺ بتعريفه للمحن التي يواجهونها، فقالﷺ: «*طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبّته، أُولئك الذين وصفهم الله في كتابه:* ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[٣]»[٤].

وعن أمير المؤمنينعليه السلام قال: «*الزموا الأرض واصبروا على البلاء...*»[٥].

وعن الإمام الحسينعليه السلام يصف الصابر في عصر الغيبة بأنّه بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول اللهﷺ، حيث قال: «... *أمّا الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب، بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي*

---

١ ـ الأحقاف: ٣٥.

٢ ـ غيبة الطوسي: ٤٥٦/٤٦٧، عنه البحار: ٥٢/١٣٠ ح٢٦، الخرائج والجرائح: ٣/١١٤٩.

٣ ـ البقرة: ٢ ـ ٣.

٤ ـ ينابيع المودّة: ٣/٢٨٥/ ٢، غاية المرام: ٧٤٣ ح٥٧.

٥ ـ نهج البلاغة: ٢٨٠ خطبة ١٩٠، ينابيع المودة: ٨٧/١.

رسول الله ﷺ»[١].

وكذا الإمام الباقر عليه السلام في تأويل الآية الكريمة نجده يحثّ شيعته المؤمنين على الصبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على أداء الفرائض، ﴿وَصَابِرُوا﴾ على أذية عدوّكم[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام يبشّر الصابرين من شيعته بأنّهم من زمرتهم عليهم السلام، حيث قال: «... *مَن انتظر أمرنا، وصبر على ما يرى من الأذى والخوف فهو غداً في زمرتنا*»[٣].

دور الصبر في حياة الفرد والمجتمع في عصر الغيبة:

لا شكّ أنّ آثار الصبر غير منحصرة في عصر الغيبة، إلّا أنّها في عصر الغيبة تتضاعف وتتجلّى بصورة واضحة، ومن جملتها هي:

١ ـ إنّ الصبر على الابتلاء يعتبر مفتاح الولوج والارتقاء في درجات التكامل والقرب الإلهي، وحيث إنّه كلما كان الصبر أشدّ وأصعب يكون الارتقاء والقرب منه تعالى أكثر وأكمل، ومن هنا يتّضح دوره في عصر الغيبة الذي يكون الصبر فيها أقسى وأشدّ، كما ورد عن الرضا عليه السلام قوله: «*ما أحسن الصبر وانتظار الفرج... أما سمعتم قول الله تعالى:* ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ...﴾، *فعليكم بالصبر، فإنّما يجيء الفرج بعد اليأس... والله ما يكون ما تمدّون إليه أعناقكم حتى تمحّصوا، ولا يبقى منكم إلّا الأندر الأندر...*»[٤].

---

١ ـ كمال الدين: ٣١٧ ضمن ح٣، مقتضب الأثر: ٢٧، عنه البحار: ٣٦/٣٨٥ ح٦، وعن عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٦٩ ذيل ح٣٦.

٢ ـ غيبة النعماني: ١٣/٢٠٦، ينابيع المودة: ٣/٢٣٦ ح٤، والآية في آل عمران: ٢٠٠.

٣ ـ الكافي: ٨/٣٧ ح٧، عنه بحار الأنوار: ٥٢/٢٥٦.

٤ ـ غيبة النعماني: ٢١٦ ح١٥، والآية في هود: ٩٣.

مشيراً إلى شدّة الصبر وصعوبته.

٢ ـ من خلال الصبر يمكن الحصول على الثواب الجزيل الذي يتناسب مع شدّة البلاء وصعوبته، كما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام بأنّ الصابر في عصر الغيبة بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله[١].

٣ ـ من خلال الصبر يمكن ضمان البقاء والاستمرار وحفظ الأمانة المتمثلة بإيصال الدين إلى الأجيال التي تأتي بعدنا.

٤ ـ بالصبر تتحقق صفة الإخلاص التي هي من شروط الظهور.

٥ ـ من خلال الصبر يمكن للمؤمن أن يهيّئ نفسه ويوطّنها على طاعة الإمام في عصر الظهور الذي تتضاعف فيه المحن، ففي الدعاء «... *واجعلنا في حزبه القوّامين، بأمره الصابرين معه*»[٢].

٦ ـ بالصبر تقوى الإرادة، ويشتدّ العزم لمقاومة الظالمين وعدم الخضوع لهم.

ونودّ الإشارة إلى الفرق بين الصبر والمصابرة، ففي الميزان ميّز العلّامة بين الصبر والمصابرة بما يلي: الصبر: هو فيما إذا تعلق بالفرد المسلم، أمّا المصابرة: هي الصبر الجماعي، باعتماد صبر بعضهم على صبر البعض الآخر، فيقوى الحال، ويتضاعف تأثير الصبر عند كلّ فرد ضمن المجموعة بالقياس لما لو كان وحده»[٣].

❊ ❊ ❊

---

١ ـ كمال الدين: ٣١٧ ذيل ح ٣.

٢ ـ مصابيح الجنان: ٨١.

٣ ـ تفسير الميزان: ٤/ ٩١.

الفصل الثالث

الإعداد النفسي

لا شكّ أنّ أعداء الإسلام والمنافقين، الذين انشدُّوا إلى زخارف الدنيا وتعلّقوا بأهداب الحياة الرخيصة، دأبوا على إثارة الشكوك وزرع اليأس والقنوط في قلوب المسلمين، وخصوصاً الشيعة منهم، فقد انصبّت جهودهم على تدميرنا وتفريقنا من داخل نفوسنا، من استئصال واجتثاث جذور عقيدتنا؛ لكي يتحوّل هذا إلى مرضٍ عُضالٍ وسلاحٍ قاتل.

ومن هنا نجد اهتمام القرآن الكريم وأهل البيتعليهم السلام في معالجة هذا الداء، ووضع العلاج والمناهج القويمة للقضاء عليه، فنلاحظ تارةً من خلال زرع الأمل وتحريم اليأس، والحثّ على الانتظار والمرابطة، كما سيأتي، وكلّ ذلك لأجل إعداد النفوس وجعلها قادرة على الصمود بوجه الأفكار والإثارات الغريبة، واستقبالها بروح متفائلة مطمئنة هادئة؛ لكي تنقشع غيوم الإحباط والقنوط، ويتجدّد الأمل ويتجدد معه العزم والنشاط والسعي، وتتمكّن من خلال ذلك من الاستمرار ومواصلة مسيرتها نحو هدفها المرسوم لها، ومن ثمّ يكون قلب المؤمن مشدوداً إلى ربّه، معتصماً به،ويكون على أُهبة الاستعداد النفسي والمعنوي للمشاركة مع إمامهعليه السلام

في نشر العدل وإقامة الدولة الكريمة.

وعلى هذا الأساس تتضح أهمية هذا الجانب، وضرورة الاهتمام به، لِما له الأثر الكبير في حياة الفرد والمجتمع المؤمن في عصر الغيبة.

أثر الإعداد النفسي على الفرد والمجتمع في عصر الغيبة :

إنّ شيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم يهدفون في حركتهم إلى تحقيق هدفهم المرسوم، والقيام بتحمّل المسؤولية في دولتهم المباركة بقيادة إمامهم المنتظر عليه السلام، وعلى هذا الضوء نجد أنّهم يستمدّون وقود حركتهم من هذا الهدف العظيم، ومن هنا لكي لا يصيبنا الخواء والضعف الروحي والمعنوي ـ الذي يعبّر عنه القرآن الكريم (بالوهن)، الذي إذا أُصيب به المجتمع الشيعي وسرى في جسده، سوف تتراكم عليه الانكسارات والهزائم، ومن ثمّ يتضاءل إرتباطه بالله تعالى، ويضعف إيمانه بهدفه وبالتالي يصل إلى مجتمعٍ خاوٍ فاقدٍ للارادة ـ تتّضح أهمية الإعداد النفسي، ويمكن الإشارة إلى ذلك من خلال النقاط التالية:

١ ـ إنّ عملية إعداد الفرد والمجتمع تجعلهما ذات إحساس قوي بالهدف،ويجعل عقيدته ذات حضور دائم في كلّ حركة من حركاته، ممّا يجعله يعيش معها في أفكاره ومشاعره، وفي علاقاته ومطامحه، فتتسع في قلبه وتتحوّل إلى همٍّ يوميٍّ متحرّك، بدلاً من أن تكون عقيدته مختفية في زاوية محدودةٍ من زوايا الفكر. وربّما يمكن استيحاء هذا المعنى ـ من حضور العقيدة ـ من الكلمة العظيمة لأمير المؤمنين عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده وفيه»[1].

---

١ ـ المحجة البيضاء: ١٦٩.

٢ ـ إنّ عملية الإعداد النفسي تربّي الفرد والمجتمع، وتجعلهما قادرين على مواجهة الرياح العاصفة، فلا يتزلزل أمام أيّة ريح، ولا يهتز أمام أيّ تحدّي.

٣ ـ الإعداد النفسي للفرد والمجتمع يساهم في تصعيد درجة الإخلاص، ومن ثمّ يساهم في تحقيق شرط الظهور.

٤ ـ من خلال الإعداد النفسي للظهور تتعمّق الصلة مع الإمام، ومن ثم تتجذّر عقيدته أكثر فأكثر، وهذا بدوره يسهم في إصلاح نفسه وإصلاح مجتمعه ومَن حوله.

٥ ـ إنّ الإعداد النفسي يربّي عند الفرد المؤمن والمجتمع حالة الشعور بالمسؤولية، الذي يُعدّ من العناصر الأساسية في المسيرة التكاملية للفرد والمجتمع، فبمقدار قوة هذا الشعور في نفس المؤمن يكون له اضطلاع بتحمّل المسؤولية، وبمقدار تحمله للمسؤولية يتلقّى مدده بالتوفيق من الله تعالى لنيل الغاية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وسوف تتضح ثمرات أُخرى في بحث الانتظار والمرابطة إن شاء الله تعالى. ويمكن تحصيل الإعداد النفسي من خلال:

الانتظار:

اهتمّ القرآن الكريم وأهل البيت بعملية إعداد الفرد والمجتمع بالتمهيد لظهور الإمام؛ لأجل قيام دولة العدل في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا

---

١ ـ العنكبوت : ٦٩.

ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[1].

ومن أهم المرتكزات التي اعتمد عليها أهل البيت عليهم السلام تبعاً للقرآن الكريم في عملية الإعداد هي الانتظار، ومن هنا نودّ أن نلقي الضوء ـ على عجالة ـ على بُعد من أبعاد هذه الوظيفة العظيمة، ودورها في حياة الفرد والمجتمع في عصر الغيبة.

الانتظار في اللغة:

الانتظار لغةً: هو التوقّع إلّا أنّ المعنى الذي يمكن استفادته من حصيلة النصوص الواردة في الانتظار هو: التمهيد والتوطئة، لتنفيذ الفرض الإلهي الكبير وحصول اليوم الموعود الذي تعيش فيه البشرية العدل الكامل بقيادة الإمام المهدي عليه السلام.

ومن الواضح أنّ التمهيد والتوطئة لمثل هكذا فرض عظيم لا يتحقق باللفظ فقط، وإنّما يحتاج الى عقيدة راسخة وعمل دؤوب، ابتداءً من النفس والعقيدة والأخلاق وفق الشريعة؛ ليتوفّر الفرد أو المجتمع على الكيفية والهيئة التي تنبعث منها حالة الاستعداد للقيام والمشاركة بتحقيق هذا الهدف العظيم.

الانتظار في القرآن:

من الملاحظ أنّ الانتظار ذو جذر قرآني، حيث أراد منه القرآن الكريم أن يزوّد به قلب كلّ نفس مؤمنة؛ لكي ينير عواطفها ومشاعرها وآمالها. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ

---

١ ـ النور: ٥٥.

أَصْحَابُ ٱلصِّرَاطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَى ﴾، قال السيد العلّامة الطباطبائي[١]:

التربّص: الانتظار... وقوله: ﴿كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾: أي كلّ منّا ومنكم منتظر، فنحن ننتظر ما وعده الله لنا فيكم وفي تقدّم دينه وتمام نوره.

وعن البزنطي قال: قال الرضاﷺ: «*ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول الله تعالى*: ﴿وَٱرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾، *وقوله عزّوجلّ*:﴿فَٱنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾، *فعليكم بالصبر....*»[٢].

وبالإسناد عن محمد بن فضيل، عن الرضاﷺ قال: سألته عن شيء من الفرج؟ فقال: أليس انتظار الفرج من الفرج؟ إنّ الله عزّوجل يقول: ﴿فَٱنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَٱنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[٤].

ويمكن القول بأنّ الانتظار يمثّل الحالة الوسطى بين حرمة اليأس من روح الله وبين حرمة الأمن من مكر الله.

إذن الانتظار في واحدة من أبعاده أنّه ذو أصل قرآني مهمّ، ويعتبر واحدة من الركائز الأساسية التي تسيّر حركة المجتمع إلى هدفه وغايته، فبالانتظار تُفتح المغالق، وتُذلَّل المصاعب، وتُنوَّر السبل في متاهات هذه الحياة.

الانتظار في الأخبار:

وقد تواترت الأخبار بين العامّة والخاصّة على ضرورة وأهمية

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن: ١٤/٢٤٠.

٢ ـ تفسير العياشي: ٢/٢٠ ح ٥٢، كمال الدين: ٤/٦٤٥، بحار الأنوار: ٥٢/١٢٩.

٣ ـ تفسير العياشي: ٢/١٦٨/٦٢، كمال الدين: ٤/٦٤٥، بحار الأنوار: ٥٢/١٢٨/٢٢.

٤ ـ هود: ١١ / ٢١.

الانتظار في عصر الغيبة، وهذا ما نلاحظه من خلال الحشد المتنوّع لروايات الانتظار، ممّا يكشف عن أنّ الانتظار ذو مفهوم روائي وركيزة أساسية من الركائز التي اعتمدتها السُنّة الشريفة في مسيرة المجتمع المسلم، لا سيّما ما نلاحظه في توجيه أهل البيتعليهم السلام لأتباعهم على ضرورة التزام منهج الانتظار في هذه الفترة، فمن الروايات:

١ ـ عن أبي عبداللهعليه السلام قال: «*من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له، كان كمن كان في فسطاط القائم*عليه السلام»[١].

٢ ـ وعن أبي عبداللهعليه السلام عن آبائهعليهم السلام قال: «*المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله*»[٢].

٣ ـ وعن الصادقعليه السلام أيضاً قال: «*طوبى لشيعة قائمنا، المنتظرين لظهوره في غيبته، المطيعين له في ظهوره، أُولئك أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هُم يحزنون*»[٣].

٤ ـ عن الإمام عليّ بن الحسينعليه السلام قال: «*انتظار الفرج من أعظم الفرج*»[٤].

٥ ـ وعنه عليه السلام أيضاً قال: «*تمتدّ الغيبة بوليّ الله عزّوجلّ الثاني عشر من أوصياء رسول الله*صلى الله عليه وآله *والأئمة بعده، يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة*

---

١ ـ كمال الدين : ٢/٦٤٤/١.

٢ ـ كمال الدين: ٢/٦٤٥/٦.

٣ ـ كمال الدين : ٢/٣٥٧/٥٤.

٤ ـ كمال الدين : ٢/٣٢٠/٢.

المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عزّوجلّ سرّاً وجهراً»[١].

٦ ـ عن المفضّل بن عمر قال: ذكرنا القائم عليه السلام ومَن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبدالله عليه السلام: «إذا قام أُتي المؤمن في قبره، فيقال له: ياهذا، إنّه قد ظهر صاحبك، فإن تشأ أن تلحق به فالحَقْ، وإن تشأ أن تُقيم في كرامة ربّك فأقم»[٢].

٧ ـ وعن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله»[٣].

٨ ـ وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك متى الفرج؟ فقال: «ياأبا بصير، وأنت ممّن يريد الدنيا، مَن عرف هذا الأمر فقد فرّج عنه لانتظاره»[٤].

٩ ـ وعن علي بن مهزيار قال: كتبت إلى أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام أسأله عن الفرج، فكتب إليّ: «إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج»[٥].

١٠ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله،

---

١ ـ كمال الدين : ١/٣١٩/٢.

٢ ـ الغيبة للطوسي : ٤٥٩/٤٧٠.

٣ ـ المحاسن: ١/٤٥٣ / ١٠٤٤، بحار الأنوار : ٥٢/ ١٣١/ ٢٣.

٤ ـ أُصول الكافي : ١/٣٧١/٣.

٥ ـ كمال الدين : ٢/٣٨٠/٣.

فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزّوجلّ انتظار الفرج»[١].

١١ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً قال: «الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله»[٢].

١٢ ـ وعن الفيض بن المختار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «مَن مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه، قال: ثمّ مكث هنيئة ثمّ قال: لا بل كمن قارع معه بسيفه، ثمّ قال عليه السلام: لا والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله»[٣].

١٣ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حقيق على الله أن يدخل أهل الضلال الجنة، وإنّما عنى بهذا المؤمنين الذين قاموا في زمن الفتنة على الائتمام بالإمام الخفيّ المكان المستور عن الأعيان، فهم بامامته مقرّون، وبعروته مستمسكون، ولخروجه منتظرون، موقنون غير شاكّين، صابرون مسلّمون، وإنّما ضلّوا عن مكان إمامهم وعن معرفة شخصه....»[٤].

١٤ ـ وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجل: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فقال: «المتقون: شيعة علي عليه السلام، والغيب هو الحجة الغائب، وشاهد ذلك قول الله عزّوجل: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[٥]».

---

١ ـ الخصال: ٦٧٥/١٠/، بحار الأنوار: ٧/١٢٣/٥٢/.

٢ ـ المصدر السابق: ٦٨٥/١٠، بحار الأنوار: ٧/١٢٣/٥٢.

٣ ـ المحاسن: ١/٢٧٧ / ٥٤٣، بحار الأنوار: ١٨/١٢٦/٥٢/.

٤ ـ بحار الأنوار: ٦١/١٤٣/٥٢ عن تفسير النعماني.

٥ ـ كمال الدين: ٢٠/٣٤٠/٢، والاية في الاعراف: ٧١.

١٥ ـ وعن أبي جعفرعليه السلام قال: «ما ضرَّ مَن مات منتظراً لأمرنا أن يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره»(١).

١٦ ـ وعن أبي عبداللهعليه السلام مخاطباً عمار الساباطي، قال: «أما والله ياعمار، لا يموت منكم ميّت على الحال التي أنتم عليها إلّا كان أفضل عند الله من كثيرٍ من شهداء بدر وأُحد، فأبشروا»(٢).

١٧ ـ وعن أبي جعفرعليه السلام قال: «... واعلموا أنّ المنتظر لهذا الأمر له مثل أجر الصائم القائم، ومَن أدرك قائمنا فخرج معه فقَتل عدوّنا كان له أجر عشرين شهيداً، ومَن قُتل مع قائمنا كان له مثل أجر خمسة وعشرين شهيداً»(٣).

١٨ ـ وعن الحرث بن المغيرة قال: كنّا عند أبي جعفرعليه السلام فقال: «العارف منكم هذا الأمر، المنتظر له، المحتسب فيه الخير، كمن جاهد والله مع قائم آل محمدصلى الله عليه وآله بسيفه»، ثمّ قال: «بل والله كمن جاهد مع رسول اللهصلى الله عليه وآله بسيفه»، ثمّ قال الثالثة: «بل والله كمن استشهد مع رسول الله في فسطاطه»(٤).

١٩ ـ وفي تفسير البرهان، عن ابن أبي حمزة، عن أبيه قال: قلت لأبي عبداللهعليه السلام: جعلت فداك، قد كبر سنّي، ودقّ عظمي، واقترب أجلي، وقد خفت أن يدركني قبل هذا الأمر الموت، قال: فقال لي: «يا أبا حمزة، مَن آمن بنا وصدّق حديثنا، وانتظر أمرنا كان كمن قتل تحت راية القائم، بل والله تحت راية رسول اللهصلى الله عليه وآله»(٥).

---

١ ـ أُصول الكافي: ١/٣٧٢/٦.
٢ ـ الكافي: ١/٣٣٤/٢.
٣ ـ الكافي: ٢/٢٢٢/٤.
٤ ـ مجمع البيان: ٩/٣٥٩.
٥ ـ تأويل الآيات: ٢/٦٦٦ ح ٢١، عنه، تفسير البرهان: ٧/٤٤٩/٩.

٢٠ ـ وعن إسحاق بن عمار قال: حدّثني رجل من أصحابنا، قال: أقبل رجل على أبي جعفر، ثمّ قال: يابن رسول الله، أدنِني منك جعلني الله فداك، فوالله إنّي لأُحبكم وأُحبّ مَن يحبّكم، فوالله ما أحبّكم وأحب مَن يحبكم لطمع في دنيا، وإنّي لأبغض عدوّكم، وأبرأ منه، ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه، والله إنّي لأُحلّ حلالكم، وأُحرّم حرامكم، وأنتظر أمركم، فهل ترجو لي جعلني الله فداك؟

فقال أبو جعفر: «*إليَّ إليَّ حتى أقعده إلى جنبه*»، ثمّ قال: «*أيّها الشيخ، إنّ أبي علي بن الحسين أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه، فقال له أبي: إنْ تَمُتْ ترِدْ على رسول الله وعلى عليّ والحسن والحسين وعلي بن الحسين ويثلج قلبك، ويبرد فؤادك، وتقرّ عينك، وتستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين، لو قد بلغت نفسك هاهنا ـ وأهوى بيده الى حلقه ـ وإن تَعِشْ تَرَ ما يقرّ الله به عينك، وتكون معنا في السنام الأعلى...*»[١].

٢١ ـ وعن الإمام الصادق قال: «*إنّ لنا دولةً يجيء الله بها إذا شاء*»، ثمّ قال: «*مَن سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر*»[٢].

٢٢ ـ وعن الإمام الصادق أيضاً قال: «*مِن دِين الأئمّة: الورع والعفّة والصلاح وانتظار الفرج بالصبر...*»[٣].

٢٣ ـ وكذا قال الإمام الصادق: «*إذا مات المنتظِر، وقام القائم بعده كان*

---

١ ـ الكافي: ٨/٧٦/٣٠.

٢ ـ غيبة النعماني: ٢٠٧ ح١٦، عنه البحار: ٥٢/١٤٠ح ٥، مكيال المكارم: ١٣٥.

٣ ـ الخصال: ١٢٤، عنه البحار: ٥٢/١٢٢ ح١.

له من الأجر مثل أجر مَن أدركه، فجِدّوا وانتظروا، هنيئاً أيّتها العصابة المرحومة...»[1].

هذا، مضافاً إلى وجود العشرات من الروايات الواردة في فضل الانتظار والمنتظِرين...

ومن حصيلة النصوص الشريفة المتقدّمة، وغيرها ممّا يشاركها في المضمون تتّضح فضيلة الانتظار وأهمّيته في عصر الغيبة، كذلك تتّضح أهم الصفات التي يتمتع بها المنتظر، ويمكن الإشارة الإجمالية لها مراعاةً للاختصار (وقد تقدّمت الإشارة إليها في الفصول السابقة) منها:

١ ـ المعرفة بإمام الزمان عليه السلام.

٢ ـ الإخلاص لله ولإمامه ولدينه بأعلى درجات الإخلاص.

٣ ـ الولاية لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم.

٤ ـ التسليم لله تعالى والرضا بقضائه.

٥ ـ الصبر على الأذى والبلاء.

٦ ـ التمسّك بأهل البيت عليهم السلام.

٧ ـ الورع عن محارم الله تعالى.

٨ ـ الالتزام الدقيق بأوامر الله ونواهيه.

٩ ـ العفة وحسن الأخلاق.

١٠ ـ المُرابطة (تأتي الإشارة إليها).

١١ ـ العمل بالتقية (تأتي الإشارة اليها).

---

١ ـ غيبة النعماني : ٢٠٧ ذيل ح١٦، عنه البحار: ٥٢/ ١٤٠ ذيل ح٥٠.

فضائل المنتظِرين:

وردت نصوص كثيرة في فضل المنتظرين لليوم الموعود، الصامدين على الحق، منها:

١ ـ عن الإمام الحسينعليه السلام قال في كلامٍ له عن المهديعليه السلام: «*له غيبة يرتدّ فيها أقوام، ويثبت على الدين فيها آخرون، ويُقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. أمّا الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله*صلى الله عليه وآله»[١].

٢ ـ وعن النبيصلى الله عليه وآله قال: «*سيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم، قالوا: يارسول الله، نحن كنّا معك ببدرٍ وأُحدٍ وحنين، وحين نزل القرآن، فقال: إنّكم لو تحملون لما حملوا لم تصبروا صبرهم*»[٢].

إلى غيرها من عشرات الروايات في هذا المضمون التي تكشف عن فضل المنتظِرين، ومراعاة للإسهاب نقتصر على ذكر أهمّ هذه الفضائل التي مُنحت للمنتظرين، مستقاةٍ من روايات أهل بيت العصمةعليهم السلام مع ذكر مصادرها:

١ ـ المنتظر لظهور إمامهعليه السلام أفضل من أهل كلّ زمان[٣].

٢ ـ المنتظر الذي يموت وهو على حالة انتظار إمامه مثل الذي استشهد مع رسول اللهصلى الله عليه وآله[٤].

٣ ـ المنتِظر دائماً في حالة طاعة وعبادة لله تعالى «*أفضل عبادة المؤمن*

---

١ ـ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ١/٦٩ ح٣٦، عنه البحار: ٣٦/٣٨٥ ح٦.

٢ ـ الغيبة للطوسي: ٤٥٧/٤٦٧، بحار الأنوار: ٥٢/١٣٠/٢٦.

٣ ـ إكمال الدين: ٢/٣٥٧.

٤ ـ المحاسن: ١/٢٧٧/٥٤٢، البحار: ٥٢/١٢٦/١٨.

انتظار الفرج»[١].

٤ ـ المنتظر الذي يموت على هذا الأمر يكون كالذي يستشهد مع إمامه عليه السلام.

٥ ـ الذي يموت وهو في حالة الانتظار لإمامه عليه السلام كمن كان في فسطاط الإمام المهدي عليه السلام[٢].

٦ ـ المنتظر كالمتشحّط بدمه في سبيل الله[٣].

٧ ـ المنتظر مفرّج عليه وهو في حالة انتظاره لإمامه «انتظار الفرج من الفرج»[٤].

٨ ـ الميّت وهو في حالة الانتظار لإمامه أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر وأُحد[٥].

٩ ـ المنتظرون: مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة[٦].

١٠ ـ المنتظر لإمامه الغائب عليه السلام له مثل أجر الصائم القائم[٧].

١١ ـ المنتظر لإمامه الغائب عليه السلام يحشر في زمرة أهل البيت عليهم السلام[٨].

---

١ ـ المحاسن: ١/٤٥٣/١٠٤٤، البحار: ٥٢/١٣١/ ٣٣.

٢ ـ الكافي: ٥/٢٢/٢.

٣ ـ كمال الدين: ٢/٦٤٥/ ٦.

٤ ـ الغيبة: ٤٥٩/٤٧١، بحار الأنوار: ٥٢/١٢٥/٢٩.

٥ ـ الكافي: ١/ ٣٣٤ / ٢.

٦ ـ بصائر الدرجات: ١٠٤/٤، بحار الأنوار: ٥٢/١٢٤/٨.

٧ ـ الكافي: ٢/٢٢٢/٤.

٨ ـ الغيبة للطوسي: ٤٥٦ ح ٤٦٦.

هل الانتظار واجب على كل أحد؟

لا يخفى على المتأمّل في هذا الحشد الواسع من روايات أهل بيت العصمة عليهم السلام الخاصّة في الانتظار، يجد أنّها تولي الانتظار أهمية متميزة وتشدد على ضرورة الالتزام به، وترفعه إلى درجة الوجوب على كل أحد، وتعدّه من الركائز الأساسية في حياة المؤمن في عصر الغيبة. ونكتفي بالإشارة المفهمة لذلك من خلال ذكر بعض الروايات في هذا الباب، مضافاً إلى ما ذكرنا من روايات في هذا الجانب.

ومن الروايات: عن أبي جعفر عليه السلام مخاطباً أبي الجارود، قال: «*والله لأُعطينّك ديني ودين آبائي الذي تدين الله عزّوجل به: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله* صلى الله عليه وآله *والإقرار بما جاء به من عند الله، والولاية لوليّنا، والبراءة من عدوّنا، والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والاجتهاد والورع*»[1].

وما رواه الصدوق بإسناده، عن عبدالعظيم الحسني قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأنا أُريد أن أسأله عن القائم هو المهدي أو غيره؟ فابتدأني فقال لي: «*ياأبا القاسم، إنّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويُطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي*»[2].

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال ذات يوم: «*ألا أُخبركم بما لا يقبل الله عزّوجلّ من العباد عملاً إلّا به؟*»، فقلت: بلى، فقال: «*شهادة أن لا إله*

---

١ ـ الكافي: ٢/٢٢/ ١٠.

٢ ـ كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٧٧/ ١.

*إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا ـ يعني الأئمة خاصة ـ والتسليم لهم، والورع، والاجتهاد، والطمأنينة، والانتظار للقائم*ﷺ»[١].

وفي أُصول الكافي بإسناده، عن إسماعيل الجعفي، قال: دخل رجل على أبي جعفرﷺ ومعه صحيفة، فقال له أبو جعفرﷺ: «*هذه صحيفة مخاصم*[٢] *سأل عن الدين الذي يقبل فيه العمل*»، فقال: رحمك الله، هذا الذي أُريد، فقال أبو جعفرﷺ: «*شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وتُقرُّ بما جاء من عند الله، والولاية لنا أهل البيت، والبراءة من عدوّنا، والتسليم لأمرنا، والورع، والتواضع، وانتظار قائمنا، فإنّ لنا دولةً إذا شاء الله جاء بها*»[٣].

ونود الإشارة إلى أنّ مفهوم الانتظار من المفاهيم المُشكّكة، أي أنّ هنالك تناسباً طردياً على صعيد العلاقة بين درجة وشدّة الانتظار، وبين درجة وشدة حبّ المنتظَر، فهنالك ترابط وثيق بينهما، حيث تبدأ مناشئ ومبادئ الانتظار من المعرفة السليمة ودرجة حبّ المنتظَر، وهذا من البديهيات التي تعلو على البرهنة، ألا ترى إذا كان لديك مسافر تنتظر قدومه، فإنّ مقدار تهيّئك لاستقباله ربّما تصل إلى درجة تسلب منك النوم، وتجعلك مشدوداً ومتوجّهاً نحوه فيما إذا كان مَن تنتظر قدومه على درجة عالية من المحبّة عندك؟

---

١ ـ الغيبة للنعماني: ٢٠٧/ ١٦.

٢ ـ الظاهر من الخبر أنّ «مخاصم» اسم رجل، وهو اسم السائل.

٣ ـ أُصول الكافي: ٢/ ٢٢/ ١٣.

إذن المؤمن المنتظِر لقدوم مولاه كلّما كان انتظاره شديداً كان تهيّؤه ـ من خلال الاستعانة بالورع والاجتهاد، وتهذيب نفسه من الرذيلة، والتحلّي بالأخلاق الفاضلة ـ أكثر وأشدّ.

إذن الحلقة التأسيسية للانتظار إنّما تكمن في درجة حبّ ومعرفة المنتظر، فكلّما غاب أو ضعف انتظارنا لإمامنا عليه السلام علينا أن نشك بسلامة معرفتنا وحبّنا لإمامنا الغائب المنتظر عليه السلام.

دور الانتظار في حياة الفرد والمجتمع في عصر الغيبة:

للانتظار أبعاد وزوايا مختلفة، وعلى هذا يكون له دور وأثر كبير وفاعل في حياة الفرد والمجتمع، ولعلّ من أهمّ آثاره هي:

١ ـ من خلال الانتظار يتوجّه الإنسان إلى التعلّق بربّه والتمسّك بإمامه، وطلب الفرج من الله تعالى، وهذا ممّا عَلّمناه رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال: «*أفضل عبادة المؤمن انتظار الفرج من الله عزّوجلّ*»[1].

٢ ـ إنّ الانتظار في واحدة من أبعاده يعني الإيمان بالغيب، ومن ثمّ يحمل العبد على العمل والتعبّد بعقيدته، ويكون محباً للعدل كارهاً للظلم، وبذلك يوجّه نفسه وسائر إخوانه إلى ما فيه الخير لنفسه ولإخوانه، من خلال مشاركته وتعاونه مع إخوانه في أحاسيس الانتظار؛ ليتمكنوا من مقارعة الجزع، كما نلمس ذلك في دعاء الندبة: «*هل من معين فأُطيل معه العويل والبُكاء؟ هل من جزوع فأُساعد جزعه إذا خلا؟ هل قذيت عينٌ*

---

١ ـ المحاسن ١/٥٣/٤ ح٤٤٦، عنه البحار: ١٣١/٥٢ ح٣٣.

فساعدتها عيني على القذى؟»[١].

٣ ـ يساهم الانتظار بدفع المؤمن للامتثال والالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية، وبذلك يكتسب الإرادة القوية والإخلاص الحقيقي الذي يؤهّله للمشاركة والتشرّف بتحمّل المسؤولية الكبيرة في اليوم الموعود.

٤ ـ إنّ الانتظار يدفع الإنسان المؤمن إلى أن يعيش هذه العقيدة بشكل يملي سلوكه وكلّ أحواله، كما في الدعاء «هل إليك يابن أحمد سبيل فنلقى؟ هل يتّصل يومنا منك بعدة فنحظى...؟ فقد طال الصدى، متى نغاديك ونراوحك فَنَقُرَّ عيناً؟ متى ترانا ونراك؟...»[٢].

٥ ـ الانتظار يحقق الرابطة الروحية والصلة الوجدانية بين الإمام وشيعته المنتظرين، وبذلك يتوفّر الإنسان المؤمن على عزيمة ـ للمشاركة مع إمامه في نشر العدل على الأرض ـ لا يثنيها حتى الموت، كما في الدعاء: «... وإن حال بيني وبين لقائه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً، وأقدرت به على خليقتك رغماً، فابعثني عند خروجه ظاهراً من حفرتي، مؤتزراً كفني، حتى أُجاهد بين يديه في الصفّ الذي أثنيت على أهله في كتابك، فقلت: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾»[٣].

٦ ـ يمثّل الانتظار عنصر التوازن في حياة المؤمن إلى الحالة الوسط بين الإفراط ـ الذي يمثّل حالة اليأس والقنوط ـ والتفريط وهو الاستعجال

---

١ ـ راجع مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

٢ ـ يراجع مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

٣ ـ الصف: ٤.

بالأمر، وكلاهما منهيّ عنهما في الشريعة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «*انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزّوجل انتظار الفرج*»[1].

وكذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «*... كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون، وإلينا يصيرون، ما وقّتنا فيما مضى، ولا نوقّت فيما يستقبل*»[2].

٧ ـ الإنسان المؤمن المنتظر لإمامه لا شكّ أنّه مقتدٍ بإمامه الصابر أمام هذه المحن والظلم، وهذا بدوره يساهم في استلهام روح الصبر من إمامه عليه السلام.

إذن الانتظار ذو عطاء تربوي كبير على المؤمنين العاملين في مختلف نواحي الحياة، إذ يزيل عوامل اليأس والخَوَر من النفوس، ويبشّر بغدٍ مشرقٍ يشعّ فيه نور الإسلام على جميع أنحاء المعمورة. وهذا يدعم مسيرة التكامل إلى الأمام.

٨ ـ من خلال الانتظار يتم التعلق بالأنبياء ورسالاتهم وتجديد العهد معهم، والارتباط بمركز الرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، لاسيّما الإمام الذي يحقق هدف الأنبياء، والمنقذ الكامل لرسالة الإسلام على وجه الأرض.

٩ ـ يساهم الانتظار في بناء وإصلاح المجتمع، حيث إنّ الإنسان المؤمن حين يشعر أنّ كل أداء ونشاط اجتماعي يصبّ في خدمة وتحقيق

---

١ ـ الخصال: ٦٧٥/١٠، البحار: ٥٢/١٢٣/٧.

٢ ـ غيبة الطوسي: ٤٢٦ ح ٤١٢ و٤١٣، عنه البحار: ٥٢/١٠٣ ح ٦ و٧.

هدف الإمام وهو إقامة دولة العدل، وهذا بدوره يمنح الإنسان طاقة كبيرة من الروح المعنوية حال ممارسته نشاطاته وأعماله.

محاربة اليأس وبثّ روح التفاؤل وأقسام اليأس:

إنّ عدم اليأس يمكن أن يدخل تحت مفهوم الانتظار، فيكون من مصاديقه أو من لوازمه، إلّا أنّنا أفردناه لأجل تسليط الضوء عليه؛ لما يتمتع به من الأهميّة، ويمكن جعل اليأس على أربعة أقسام:

القسم الأول: اليأس من الظهور بصورة كلّيّة ونهائية، ولازم هذا الكلام عدم ظهور القائمﷺ، مع أنّ قيام القائم من ضروريات المذهب، إذن هذا القسم من اليأس حرام ولا إشكال في حرمته، ولعلّ هذا القسم مصداق لقوله تعالى: و﴿لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾[1]، حيث عدّ اليأس في الشريعة من الكبائر.

القسم الثاني: اليأس من ظهور الإمام القائمﷺ في فترة معينة، كأن يُقال مثلاً: إنّ الإمامﷺ لا يظهر في هذه الفترة إلى مدة ٣٠ سنة، ولعلّ حكم هذا القسم هو الحرمة أيضاً؛ لأنّ اليأس من الظهور خلال هذه الفترة المعينة يلازمها عدم الانتظار خلالهما، وهو خلاف ما ورد في كثير من الروايات التي تحثّ على الانتظار صباحاً ومساءً، فمن جملة الروايات الواردة في هذا الجانب هي:

١ ـ عن أبي المرهف، عن الصادقﷺ قال: «هلكت المحاضير»، قال:

---

١ ـ يوسف: ٨٧.

وما المحاضير؟ قال عليه السلام: «*المستعجلون، ونجا المقرّبون*»[١].

٢ ـ في الحديث أنّه قال يقطين لابنه علي: ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل بكم فلم يكن؟ قال: فقال له علي: إنّ الذي قيل لكم ولنا من مخرج واحد، غير أنّ أمركم حضركم فأُعطيتم محضه، وكان كما قيل لكم، وإنّ أمرنا لم يحضر، فعُلِّلنا بالأمانيّ، ولو قيل لنا: إنّ هذا الأمر لا يكون إلى مائتي سنة أو ثلثمائة سنة لقست القلوب، ولرجعت عامّة الناس عن الإسلام، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه، تألّفاً لقلوب الناس، وتقريباً للفرج»[٢].

٣ ـ عن الفضل، عن الصادق عليه السلام قال: «*أقرب ما يكون العبد إلى الله عزّوجل وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجّة الله فلم يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه، وهم في ذلك يعلمون أنّه لم تبطل حجة الله، فعندها توقّعوا الفرج كلّ صباحٍ ومساء*»[٣].

٤ ـ عن حمّاد بن عثمان، عن الصادق عليه السلام قال: «*وتوقّع أمر صاحبك ليلك ونهارك فإنّ الله كلّ يوم هو في شأن، لا يشغله شأن عن شأن*»[٤].

٥ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «*... إذا اشتدّت الحاجةُ والفاقةُ، وأنكر الناس بعضهم بعضاً فعند ذلك توقّعوا هذا الأمر صباحاً ومساءً*»[٥].

٦ ـ ما ورد في التوقيع الشريف: «*فإنّ أمرنا يبعثه فجأةً حين لا تنفعه*

---

١ ـ الغيبة للنعماني: ٢٠٣/٥، بحار الأنوار: ٥٢/١٣٨/٤٣.

٢ ـ الغيبة لطوسي: ٣٤٣/٢٩٢، بحار الأنوار: ٥٢/١٠٢/٤.

٣ ـ كمال الدين: ١/٣٣٧/١٠، بحار الأنوار: ٥٢/١٤٥/٦٧.

٤ ـ الاقبال: ١/٣٦٨.

٥ ـ تفسير القمي: ٢/ ١٨٥.

توبة»[١].

٧ ـ الحديث المروي عن رسول الله ﷺ حينما سأل: قيل له: يارسول الله، متى يخرج القائم من ذرّيّتك؟ فقال ﷺ: «مَثَلُهُ مَثَلُ الساعة ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لاَتَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾»[٢].

ويمكن دخول هذا القسم مصداقاً للآية الكريمة: ﴿لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾[٣].

القسم الثالث: اليأس من قرب زمان الظهور، ولعلّ حكم هذا القسم كسابقه؛ لدخوله تحت الأخبار الواردة في وجوب انتظار الفرج صباحاً ومساءً.

القسم الرابع: وهذا القسم من اليأس هو الممدوح؛ لأنّه يأس من كلّ الأُطروحات التي تّدعي قيام العدل، والدفاع عن حقوق الإنسان، أمثال منظمة حقوق الإنسان، والأُمم المتحدة، وغيرها من المراكز التي تحمل الشعارات الخالية من المضمون. فعندما يحصل اليأس من كلّ التجارب السابقة التي ادّعت لنفسها حلّ مشاكل العالم ثمّ افتضح زيفها، نتيجة التمحيص، وهو كما قال تعالى: ﴿ٱسْتَيْأَسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٤]، حيث قال السيد العلّامة الطباطبائي في تفسيرها: «تلك الرسل الذين كانوا رجالاً أمثالك من أهل القرى، وتلك قراهم البائدة، دعوهم فلم يستجيبوا، وأنذروهم

---

١ ـ التهذيب: ١/٣٨.

٢ ـ كمال الدين: ٢/٣٧٢/٦، والآية: ١٨٧ من سورة الأعراف.

٣ ـ يوسف: ٨٧.

٤ ـ يوسف: ١١٠.

بعذاب الله فلم ينتهوا، حتى إذا استيأس الرسل من إيمان أُولئك الناس وظنّ الناس أنّ الرسل قد كُذِبُوا ـ أي أخبروا بالعذاب كذباً ـ جاء نصرنا...»[١].

وهذا المعنى تشير إليه الروايات، وأنّه إذا حصل اليأس فتوقّعوا الفرج، ولا يكون الظهور إلّا بعد اليأس. فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين فشكا إليه طول دولة الجور، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «*والله ما تأملون حتى يهلك المبطلون، ويضمحلّ الجاهلون ويأمن المتّقون، وقليل ما يكون حتّى يكون لأحدكم موضع قدمه، وحتى يكونوا على الناس أهون من الميتة عند صاحبها، فبينا أنتم كذلك، إذ جاء نصر الله والفتح، وهو قوله عزّوجل في كتابه:* ﴿حَتَّى إِذَا ٱسْتَيْأَسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾»[٢].

إذن ظاهرة اليأس التي حرّمها القرآن الكريم، وأكّد أهل البيت عليهم السلام على ضرورة التخلّي عنها، من الظواهر السلبية في حركة الفرد والمجتمع، لاسيّما في عصرنا هذا، إذن يجب علينا أن نتفاءل ونلقّن أنفسنا، ونتيقّن بأنّ الفرج والفتح بيد الله عزّوجلّ، وأنّ الكون والطبيعة والحياة كلّها تسير وتتجه إلى غايتها، وأنّ كلّ خطوة وحركة تقرّبنا من الهدف، فلابدّ أن نكون ثابتين أقوياء، لا نعرف الذبذبة في اتخاذ الرأي، ولا الوهن في المواقف، ولا الميوعة والترهّل في السلوك، علينا أن نستمدّ قوّتنا من قوة الإسلام وثباته.

---

١ ـ الميزان: ١١/٢٧٩.

٢ ـ دلائل الإمامة: ٢٤٨، والآية في يوسف: ١١٠.

المرابطة:

المرابطة مأخوذة من الربط، بمعنى الشدّ، وعرّفها السيّد العلّامة الطباطبائي في تفسير الميزان[١] بأنّها: «نسيج الترابط بين قوى وأفعال أفراد المجموعة الإسلامية في الشدّة والرخاء، وفي جميع شؤونهم الدينية والدنيوية».

ويتحقّق هذا الارتباط من خلال الالتزام العملي بالشريعة ودوام العمل بها، وتحديد مسؤولية كلّ فرد بالنسبة إلى الاجتماع الذي يقع في مقدمته التمسّك بولاية أهل البيت عليهم السلام، كما أشار لذلك العلّامة المجلسي رحمه الله في شرح قول الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «*رباطنا رباط الدهر*»، حيث قال: «أي يجب على الشيعة أن يربطوا أنفسهم على طاعة إمام الحقّ وانتظار فرجه ويتهيّؤا لنصرته»[٢].

وفي ضوء ما تقدّم نجد اهتمام وتأكيد القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام على ضرورة المرابطة، كما سيتّضح.

أقسام المرابطة:

بعد التأمّل في حصيلة النصوص الواردة في المرابطة من القرآن والسُنّة يمكن تصوريها على ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: وهو الإرصاد لحفظ الحدود وثغور المسلمين، والاستعداد والتهيّؤ للدفاع عن البلاد الإسلامية في مناطق الثغور والحدود

---

١ ـ الميزان: ٤/٩٦.

٢ ـ روضة الكافي: ٨/٢٨٢/ ٥٧٦، مرآة العقول: ٢٦/ ٥٨٢.

مع الكفّار، وهذا القسم من المرابطة واجب لدى وقوع بلاد المسلمين في معرض الخطر من هجوم الكفار، وأمّا إذا لم تكن في معرض الخطر من الكفّار فلا تجب وإن كانت في نفسها أمراً مرغوباً فيه في الشريعة الإسلامية المقدّسة[١].

ولعلّ ما يشير إلى ذلك الروايات التالية:

١ ـ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، قالا: «*الرباط ثلاثة أيام، وأكثره أربعون يوماً، فإذا كان ذلك فهو جهاد*»[٢].

٢ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «*رباط ليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، فإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأُجري عليه رزقه وأمن الفتان*»[٣].

٣ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «*كل ميت يختم عمله، إلّا المرابط في سبيل الله فإنّه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من أفتان القبر*»[٤].

٤ ـ وعن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً أنّه قال: «*عينان لا تمسّهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله*»[٥].

القسم الثاني: وهي مرابطة المؤمن لإمام زمانه عليه السلام، بأن يربط نفسه بحبل ولايته ويتمسّك به، ويلتزم اتباع أوامره ونواهيه، ويمكن القول بوجوب هذا القسم على كلّ فرد، كما تقدّم من عدم قبول العمل إلّا

١ ـ منهاج الصالحين للسيد الخوئي: ٣٧٦، كتاب الجهاد، جواهر الكلام: ٥٥٥ مجلد الحجّ والجهاد.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ١٢٥/٦ ح ١، عنه وسائل الشيعة: ٢٩/١٥، أبواب جهاد العدو، ب ٦، ح ١.

٣ ـ تذكرة الفقهاء: ٤٥١/٩.

٤ ـ منتهى المطلب: ٩٠٢/٢.

٥ ـ بحار الأنوار: ٣٢٩/٩٠ ح ٨، عن الخصال: ١٢٤ ح ٤٦.

بولايتهمعليهم السلام، ولعلّ ما يشير إلى ذلك من الروايات هي:

١ ـ ما ورد عن الإمام الباقرعليه السلام في قول الله عزّوجل: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال: «*اصبروا على أداء الفرائض، وصابروا عدوّكم، ورابطوا إمامكم المنتظر*»[١].

٢ ـ عن الإمام الكاظمعليه السلام قال: «*اصبروا على المصائب، وصابروا على التقيّة، ورابطوا* على ما تقتدون به، ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾»[٢].

٣ ـ وعن الإمام الصادقعليه السلام قال: «*اصبروا على الفرائض، وصابروا على المصائب، ورابطوا على الأئمة*»[٣].

٤ ـ عن يعقوب السرّاج، عن أبي عبداللهعليه السلام في معنى الآية قال: «*اصبروا على الأذى فينا*»، قلت: فصابروا، قالعليه السلام: «على عدوّكم مع وليّكم»، قلت: ورابطوا؟ قال: «*المقام مع إمامكم، واتقوا الله لعلّكم تفلحون*»، قلت: تنزيل؟ قال: «نعم»[٤].

٥ ـ وعن أبي عبداللهعليه السلام في حديثٍ آخر أنّه قال: «*رابطوا إمامكم فيما أمركم، وفرض عليكم*»[٥].

٦ ـ عن الإمام الصادقعليه السلام في تفسير الآية قال: «*اصبروا على المصائب، وصابروا على الفرائض، ورابطوا على الأئمة*»[٦].

---

١ ـ تفسير البرهان : ٢/١٤٩/٤، عن غيبة النعماني: ٢٠٦ ح١٣.
٢ ـ تفسير البرهان : ٢/١٤٩/٣، عن معاني الاخبار: ٣٦٩ ح١.
٣ ـ تفسير البرهان : ٢/١٤٩/٢، عن الكافي: ٢/٦٦ ح٣.
٤ ـ تفسير البرهان : ٢/١٥٢/١٣، عن تفسير العياشي: ١/٢٢٧ ح٢٠٠.
٥ ـ تفسير البرهان : ٢/١٥١/٨، عن مختصر البصائر: ٦٣ ح٣١.
٦ ـ تفسير القمي : ١/١٣٦.

القسم الثالث: وهو أن يربط فرساً أو نحوها، لكي يركبه ويقاتل به أعداء الإمام عليه السلام انتظاراً ليوم ظهوره. ولعلّ ما تشير إلى استحباب هذا القسم من الروايات هي:

١ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى آية المرابطة ﴿اصبروا﴾ يقول: «*عن المعاصي، وصابروا على الفرائض، واتقوا الله، يقول الله:* ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ثمّ قال عليه السلام: *وأيّ منكرٍ أنكر من ظلم الأمّة لنا وقتلهم إيّانا؟ ورابطوا، يقول: في سبيل الله، ونحن السبيل فيما بين الله وخلقه، ونحن الرباط الأدنى، فمن جاهد عنّا فقد جاهد عن النبي* صلى الله عليه وآله*، وما جاء به من عند الله*»[1].

٢ ـ وعن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية، قال: «*نزلت فينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد، وسيكون ذلك من نسلنا المرابط*»[2].

٣ ـ ما ورد عن ابن طيفور المتطبّب، قال: سألني أبو الحسن عليه السلام: «*أي شيء تركب؟*»، قلت: حماراً، فقال عليه السلام: «*بكم ابتعته؟*»، قلت: بثلاثة عشر ديناراً، فقال عليه السلام: «*إنّ هذا هو السرف أن تشتري حماراً بثلاثة عشر ديناراً*»، قلت: ياسيدي، إنّ مؤونة البرذون أكثر من مؤونة الحمار، قال: فقال: «*إنّ الذي يموّت الحمار يموّت البرذون، أما علمت أنّ من ارتبط دابّةً متوقّعاً به أمرنا ويغيّظ به عدوّنا، وهو منسوب إلينا، ادرّ الله رزقه، وشرح صدره، وبلّغه أمله، وكان عوناً على حوائجه*»[3].

ولا يخفى أن احضار الفرس ونحوه كناية عن حالة التأهّب

---

١ ـ تفسير البرهان: ٢/١٥١/١٠، عن تفسير العياشي: ١/٢٣٦ ح١٩٧.

٢ ـ تفسير البرهان: ٢/١٥٢/١٤، عن تفسير العياشي: ١/٢٣٧ ح٢٠١.

٣ ـ الكافي: ٦/٥٣٥ ح١.

والاستعداد التامّ.

هل الإمام صاحب الزمان مرابط ؟:

دلّت جملة من الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام على أنّ الإمام صاحب الأمر والزمان عليه السلام هو المرابط في سبيل الله عزّوجلّ، منها:

١ ـ ما ورد في التوقيع الشريف الخارج إلى الشيخ المفيد، وهو: «مِن عبدالله المرابط في سبيله، إلى ملهم الحقّ ودليله»[١].

٢ ـ ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام في معنى آية المرابطة، قال: «*نزلت فينا، ولم يكن الرباط الذي أُمرنا به بعد، وسيكون ذلك من نسلنا المرابط، ومن نسل ابن نائل*[٢] *المرابط*»[٣].

٣ ـ عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام: أنّ ابن عباس بعث إليه مَن يسأله عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾[٤]، فغضب علي بن الحسين عليه السلام وقال للسائل: «*وددت أنّ الذي أمرك بهذا واجهني به*»، ثمّ قال: «*نزلت في أبي وفينا، ولم يكن الرباط الذي أُمرنا به بعد، وسيكون ذلك ذرّيّة*[٥] *في نسلنا المرابط*»[٦].

---

١ ـ الاحتجاج: ٢/٦٠٠، البحار: ٥٣/١٧٦/٨.

٢ ـ ابن نائل: هو ابن عباس، كما ذكر المجلسي في البحار: ٢٤/٢١٨.

٣ ـ تفسير العياشي: ١/٢٣٧ ح ٢٠١، عنه البرهان: ٢/١٥٢ ح ١٤.

٤ ـ آل عمران: ٢٠٠.

٥ ـ كذا في المصدر.

٦ ـ الغيبة للنعماني: ٢٠٦/١٢، عنه البحار: ٢٤/٢١٩ ح ١٥.

أثر المرابطة في عصر الغيبة:

للمرابطة دور كبير في حياة الفرد والمجتمع، لاسيّما في عصر الغيبة، ولعلّ من أهمّ آثارها هي:

١ ـ إنّها تقوّي الروابط بين الفرد والمجتمع، وتجعلهم متّجهين صوب الهدف، ومن هنا نجد اهتمام الإسلام بالمجتمع كاهتمامه بالفرد على حدٍّ سواء في الأهمية. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾[1].

٢ ـ حيث إنّ نفس المرابطة لا تتحقّق إلّا بالالتزام العملي بالشريعة، وهذا بدوره يساهم في جعل كلّ حركةٍ من حركات الإنسان قائمةً على أساس الشريعة، وبذلك يتحوّل التزامه بالشريعة إلى همٍّ يوميٍّ متحرّك، ممّا يدعم إخلاصه وارتباطه بالله تعالى وبإمامه، وهذا بلا شكّ أنّه من مقرّبات الظهور.

٣ ـ من خلال المرابطة يتحقّق حفظ البلاد الإسلامية من الأعداء، ويحفظ النظام في المجتمع، وبدونها يختلّ النظام، ولا يمكن تحصيل السعادة في المجتمع إلّا من خلالها.

٤ ـ حيث إنّ المرابطة تكون بكل ما فيه الخير والصلاح للفرد والمجتمع، ممّا دعت إليه الشريعة، فتشمل العبادات كالصلاة والصيام...، وتشمل المعاملات بين الأفراد وأحكام الزواج؛ لأنّ جميع ذلك أنزلها الله تعالى لصالح الإنسان وهدايته إلى الكمال، ففي الرواية الواردة في الدرّ المنثور، عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلّكم على ما

---

١ ـ الأنعام: ١٥٣.

يهجر الله به الخطايا، ويكفّر الذنوب؟»، قلنا: بلى يارسول الله، قال: «إسباغ الوضوء مع المكاره، وكثرة الخُطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»(١).

٥ ـ تساهم في إعداد النفس معنوياً لليوم الموعود، والمشاركة في تحمّل المسؤولية، وهذا ما نلمسه في الروايات التي تحثّ على إعداد السلاح، انتظاراً لظهور الإمام‌، ومن الروايات التي تشير إلى ذلك عن الإمام الصادق قال: «لَيُعِدَّنّ أحدُكم لخروج القائم ولو سهماً، فإنّ الله تعالى إذا علم ذلك من نيّته رجوت لأن يُنسئَ من عمره»(٢).

وعن أبي عبدالله الجعفي قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي: «كم الرباط عندكم؟»، قلت: أربعون، قال: «لكنّ رباطنا رباط الدهر، ومن ارتبط فينا دابّة كان له وزنها ووزن وزنها ما كانت عنده، ومَن ارتبط فينا سلاحاً كان له وزنه ما كان عنده، لا تجزعوا من مرّةٍ، ولا من مرّتين، ولا من ثلاثٍ، ولا من أربعٍ، فإنّما مَثَلنا ومَثَلكم مَثَل نبيٍّ كان في بني إسرائيل، فأوحى الله عزّوجل إليه أن ادع قومَك للقتال فإنّي سأنصرك، فجمعهم من رؤوس الجبال ومن غير ذلك، ثمّ توجّه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتى انهزموا، ثمّ أوحى الله إليه أن ادع قومك إلى القتال، فإنّي سأنصرك، فدعاهم فقالوا: وعدتنا النصر فما نصرنا، فأوحى الله تعالى إليه: إمّا أن يختاروا القتال، أو النار، فقال: ياربّ القتال أحبّ إليّ من النار.

فدعاهم فأجابه منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر، فتوجّه بهم، فما

---

١ ـ بحار الأنوار: ٣١١/٧٧.

٢ ـ الغيبة للنعماني : ٣٣٥/١٠، عنه البحار: ٣٦٦/٥٢ ح١٤٦.

ضربوا بسيفٍ ولا طعنوا برمح حتّى فتح الله عزّوجل لهم»[١].

وقال العلّامة المجلسي في شرح قوله: «كان وزنها...» إلى آخره، أي كان له ثواب التصدّق بضعفي وزنها ذهباً وفضة كل يوم، ويحتمل أن يكون من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، أي له من الثواب مثلَي وزن الدابّة»[٢].

* * *

١ ـ روضة الكافي : ٨/٣٨١ /٥٧٦، عنه البحار: ١٩/٣١٨ ح٦٧.

٢ ـ مرآة العقول : ٢٦/٥٨٢ .

الفصل الرابع

واجباتنا في الجانب الثقافي

عند دراسة واقعنا الشيعي المعاصر، نجد أنّنا نعيش ظروفاً قاهرةً نتيجة انتشار الغزو الثقافي الغربي في بلادنا بشكل مثير ومدهش، وهذا الأمر بدوره أدّى إلى شيوع الجهل بين أفراد مجتمعنا، وغرس الأفكار الغربية ـ المنافية للقيم الإسلامية ـ في نفوس أبناءنا وإخواننا في معظم طبقات المجتمع، حتى طبقة المثقّفين لم يسلموا من هذا الغزو، حيث تجد بعض المثقّفين أخذ يُظهر تأثرهم بالثقافة الغربية أمراً واضحاً، أمّا على صعيد طبقة العوامّ فقد أخذ تأثّرهم بالثقافة الغربية مأخذه في نفوسهم، فتجدهم يقلّدون الغرب تقليداً أعمى، حتى في نمط حياتهم اليومية من الملبس والزينة، والتقاليد الاجتماعية، ونمط معاشرتهم، وهذا الأمر أصبح واضحاً لمن ألقى السمع وهو بصير...

ففي حديثٍ لأمير المؤمنين؈ يقول فيه: «... أخذ الباطل مأخذَه، وركب الجهل مركبَه، وهدَر فنيق الباطل بعد كُظوم، وتآخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدِين، وتحابّوا على الكذب، وتباغضوا على

الصدق..»[١].

فالجهل وتخلّف الوعي لدى المسلمين خصوصاً في مجال عقيدتهم وتفاصيل شريعتهم وأساليب العمل بها يجعل الإنسان يفقد وضوح الرؤية للإرشاد، وبذلك يصبح فريسة سهلة لكلّ الدعوات الضالّة والكافرة التي استغلّت هذا الجهل بالإسلام، فعملت على تضليله وإرباك تصوره لمبادئه، وعلى هذا الأساس وانطلاقاً من قول نبيّنا محمدٍ ﷺ: «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته» يجب علينا أن نتحمّل هذه المسؤولية العظيمة، وأن نحفظ ديَنَنا، ونوصل هذه الأمانة إلى ما بعدنا بأمان، ونحفظ معتقداتنا من الاندراس والضياع، فهي أمانة كبيرة ملقاة على عاتقنا، إذن لابدّ من العمل لنشر الوعي الإسلامي، وتعميم الثقافة القرآنية وثقافة آل البيت عليهم السلام في أوساط المجتمع؛ لأنّ بالوعي يصنع الفرد المسلم، ليستقيم بعد ذلك بناء المجتمع المسلم، فإنّ البناء لا يُقام إلّا من اللِبن الصالح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، وقال أيضاً: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣].

طرق وأساليب نشر الوعي:

أولاً: الإعلام والتبليغ:

يُعدّ التبليغ والإعلام من الظواهر الاجتماعية التي شقّت طريقها إلى

---

١ ـ نهج البلاغة: ٢٠٣، الخطبة (١٠٨).

٢ ـ العنكبوت: ٦٩.

٣ ـ الحج: ٤٠.

كلّ البيئات وعلى مختلف العصور، منذ كان الإنسان يعيش حياة بدائية حتى عصرنا الحاضر.

إلّا أنّ النّقطة التي نتوخّاها هي؛ ما هي درجة اهتمام الرسالة الإسلامية بالإعلام والتبليغ؟ ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا بأنّ القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام أكّدوا على هذه المهمة الكبيرة وحثّوا عليها ودعوا إليها، كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وعَمِلَ صَالِحًا﴾[2]، بل قفزت هذه المهمة الاعلامية إلى مرتبة الوجوب، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[3]. مضافاً إلى الكثير من الشواهد الروائية التي تكشف النقّاب عن أهميتها وضرورة الالتزام بها.

منها: أنّه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يارسول الله، ما هو حقّ العلم؟ قال: «الإنصات له»، قال: ثمّ مه؟ قال: «الاستماع»، قال: ثمّ مه؟ قال: «الحفظ»، قال: ثمّ مه؟ قال: «العمل به»، قال: ثمّ مه؟ قال: «نشره»[4].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً أنّه قال: «*نعم الهدية الموعظة، ونعم الهدية الموعظة*»[5]. ولذا كان صلى الله عليه وآله يوجّه بعض المبلّغين إلى البلاد البعيدة لتبليغ الإسلام ونشر معارفه.

---

١ ـ آل عمران: ١١٠.

٢ ـ فصلت: ٣٣.

٣ ـ النحل: ١٢٥.

٤ ـ الخصال: ٣١٨ ح ٤٣، عنه بحار الأنوار: ٢/٢٨/٨.

٥ ـ عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٤، غرر الحكم: ح ٩٨٨٤.

أهمية الإعلام والتبليغ:

من خلال التأمّل في حصيلة النصوص القرآنية والشواهد الروائية التي تحثّ وتدعو إلى التبيلغ ـ بحيث أوصلت عملية التبليغ إلى مرتبة الوجوب ـ تتّضح أهميته الكبيرة على مختلف نواحي الحياة الفردية والاجتماعية، وفي مختلف المجالات العقائدية والأخلاقية والمعنوية... فمن خلال التبليغ يمكن نشر المعارف والأحكام الإسلامية، وحفظ الدين والتشيّع من الضياع، وحفظ الشريعة من الاندراس.

فبالتبليغ يتمّ تزويد المسلمين بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتسليحه بالعقيدة الراسخة والإيمان القوي الذي يُضيء الحياة، ويبني السعادة للفرد والمجتمع، فعن رسول الله ﷺ قال: «*أشدّ من يُتم اليتيم الذي انقطع من أمّه وأبيه: يُتمُ يتيمٍ انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يُبتلى به من شرائع دينه؟ ألا فمن كان من شيعتنا عالماً، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلّمه بشريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى*»[1].

وعن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: قال الحسين بن علي عليه السلام: «*مَن كفل لنا يتيماً قطعته عنّا محنتنا باستتارنا، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه، قال الله عزّوجل: أيُّها العبد الكريم المواسي لأخيه، أنا أولى بالكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كلّ حرف*

---

١ ـ الاحتجاج: ١/ ٦.

علّمه ألف ألف قصر، وضمّوا إليها ما يليق بها من سائر النعيم»[١].

وعن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أيضاً قال: «قال الحسن بن علي عليه السلام: فضل كافل يتيم آل محمدٍ ـ المنقطع عن مواليه، الناشب في رتبة الجهل، يُخرجه من جهله ويوضّح له ما اشتبه عليه ـ على فضل كافل يتيمٍ يطعمه ويسقيه، كفضل الشمس على السُها»[٢][٣].

وعن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام قال: «مَن تكفّل بأيتام آل محمدٍ المنقطعين عن إمامهم، المتحيّرين في جهلهم، الأسارى في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم، وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين بردّ وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربّهم ودلائل أئمتهم، ليحفظوا عهد الله على العباد بأفضل الموانع، بأكثر من فضل السماء على العرش والكرسي والحجب على السماء وفضلهم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكبٍ في السماء»[٤].

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: «إنّ محبّي آل محمد صلى الله عليه وآله مساكين، مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقراء، وهم الذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم من مقاتلة أعداء الله الذين يعيّرونهم بدينهم ويسفّهون أحلامهم، ألا فمن قوّاهم بفقههِ وعلمه حتى أزال مسكنتهم، ثمّ يسلّطهم على الأعداء الظاهرين: النواصب، وعلى الأعداء الباطنين: إبليس ومردته حتى

---

١ ـ الاحتجاج: ١/ ١١.

٢ ـ السُها: كوكب صغير خَفي الضوء في بنات النعش الكبرى. لسان العرب: ١٤/ ٤٠٨ (مادة سها).

٣ ـ الاحتجاج: ١/ ١١.

٤ ـ الاحتجاج: ١/ ١٤.

يهزموهم عن دين الله، ويذودوهم عن أولياء آل رسول اللهﷺ، حوّل إليه تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم فأعجزهم عن إضلالهم، قضى الله تعالى بذلك قضاءً حقاً على لسان رسول اللهﷺ»[١].

وعن الحسن العسكريؑ أيضاً قال: «قال عليّ بن أبي طالبؑ: مَن قوّى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته، على ناصب مخالف فأفحمه، لقّنه الله تعالى يوم يُدلى في قبره أن يقول: الله ربّي ومحمد نبيّي وعليٌّ وليّي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعِدّتي، والمؤمنون إخواني، فيقول الله: أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة، فيتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة»[٢].

وعن أبي محمدؑ قال: «قالت فاطمةؑ وقد اختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة والأُخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجّتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحاً شديداً، فقالت فاطمة: إنّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ عليها من فرحكِ، وإنّ حزن الشياطين ومردته بحزنها عنك أشدّ من حزنها، وإنّ الله عزّوجل قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف ممّا كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سُنّةً في كلّ مَن يفتح على أسيرٍ مسكينٍ فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان له معدّاً من الجنان»[٣].

وعن أبي محمد العسكريؑ قال: قال جعفر بن محمدؑ: «من كان همّه في كسر النواصب عن المساكين من شيعتنا الموالين حميّةً لنا أهل البيت،

---

١ ـ الاحتجاج: ١/١٧.
٢ ـ الاحتجاج: ١/١٧.
٣ ـ الاحتجاج: ١/١٨.

يكسرهم عنهم، ويكشف عن مخازيهم، ويبيّن عَوراتهم ويفخِّم أمر محمدٍ وآله، جعل الله تعالى همّه أملاك الجنان في بناء قصوره ودوره، يستعمل بكلّ حرفٍ من حروف حججه على أعداء الله أكثر من عدد أهل الدنيا أملاكاً، قوّة كلّ واحدٍ تفضُل عن حمل السماوات والأرضين، فكم من بناءٍ، وكم من نعمةٍ، وكم من قصور لا يعرف قدرها إلّا ربُّ العالمين»[1].

إلى غير ذلك من الروايات الواردة في فضل نشر الوعي والمعرفة بين الناس.

سبل ومناهج الإعلام والتبليغ:

لا شكّ أنّ المنهج الثقافي يضطلع بدور مهمٍّ وكبيرٍ على صعيد الحصول على نتائج مثمرة وراسخة في النفوس، فالمنهج الصحيح هو الذي يضمن للحركة الإعلامية والتبليغية التحرّك ومواصلة المسير بنجاح، وعلى هذا الأساس قام أهل البيت عليهم السلام بتوجيه شيعتهم وأتباعهم على اتخاذ مجموعة من السبل بعد ضبط حدودها؛ لتكون قادرة على الوفاء بمتطلباتها، وملأ الفراغ من حاجتها في نشر الثقافة الإسلامية، ومن أهم هذه السبل هي:

إقامة الشعائر الإسلامية:

وتُعد إقامة الشعائر الإسلامية من أهم السبل والوسائل التي أكّد عليها القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام. ونريدمن الشعائر التي تلعب دوراً كبيراً في

---

١ ـ الاحتجاج: ١/ ٢٠.

العملية الإعلامية والثقافية هي شعائر أهل البيت عليهم السلام المتمثلة بإحياء ذكريات المعصومين من شهاداتهم ووفياتهم ومواليدهم وأفراحهم ونحو ذلك.

حيث يمثّل القيام بهذه الشعائر والاهتمام بها لوناً من ألوان الولاء والارتباط بهم عليهم السلام، وإحياء أمرهم، فضلاً عمّا لها من أبعاد أُخرى عقائدية وفكرية وثقافية وتربوية، الأمر الذي يشكّل عنصراً مهمّاً من عناصر الصمود والمقاومة والتمسّك بأهل البيت عليهم السلام، خصوصاً في عصر الغيبة (عصر الفتن والملاحم).

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*نحن الشهداء على شيعتنا، وشيعتنا شهداء على الناس، وبشهادة شيعتنا يجزون ويعاقبون*»[١].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*إنّ من الملائكة الذين في السماء يطلعون الى الواحد والاثنين والثلاثة، وهم يذكرون فضل آل محمد صلى الله عليه وآله*»، قال: «*فتقول: أما ترون إلى هؤلاء في قلّتهم وكثرة عدوّهم يصفون فضل آل محمد، قال: فتقول الطائفة الأُخرى من الملائكة: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٢]*»[٣].

ومن أهم الشعائر الإسلامية هي:

الشعائر الحسينية

وتُعدّ من أبرز شعائر أهل البيت عليهم السلام، التي أكّدوا عليها كثيراً، وقد

١ ـ بحار الأنوار: ٦٥/١٤٣/ ٨٩، عن فضائل الشيعة: ١٤٤.

٢ ـ الحديد: ٢١.

٣ ـ أُصول الكافي: ٢/١٨٧/٤.

أفردناها بالحديث لدورها الكبير ولأهميتها في حياة الفرد والمجتمع.

والشعائر الحسينية التي نعيشها في المجالس والمواكب الحسينية وما تتخذه من أشكال مختلفة، من الصور الإنسانية المعبّرة عن الأسى والحزن ليست ضرباً من الإنكسار النفسي، ولا هي تقاليد اجتماعية فارغة من الأفكار والمفاهيم الرسالية، بل هي سلوك أساسي يحمل في طيّاته الأهداف والنتائج التي تسهم في إصلاح المجتمع.

ويكمن سرّ قوّة هذه الشعائر في إثارة المشاعر الإنسانية، فحينما تتحول هذه الأفكار إلى متبنّيات لدى الإنسان وتشكّل جزءاً من شخصيته، تصبح عملية المساس بها مساساً بشخصيته؛ لأنّ هذه الأفكار مستوحاة من الرسالة، وبذلك يكون الانتصار لها والدفاع عنها دفاعاً عن الشخصية الرسالية وتأكيداً لها.

وبذلك يهتزّ الإنسان بكل مشاعره متى ما مُسّت رسالته وأهدافه بسوء، وبذلك يتحوّل هذا الإحساس المرهَف إلى رصيد رسالي يصون الرسالة، ويساهم في تحقيق الهدف الإلهي؛ ذلك لأنّها تتميّز بصفةٍ وميزةٍ خاصّة، وهي: أنّ لغة المشاعر يحياها كلّ الناس بمختلف مستوياتهم، ممّا يساهم في تعميق جانب الوعي لدى الناس.

ولذا نجد من جملة ما يطرحه الإمام الحجّة في زيارة الناحية هي إقامة المآتم الحسينية، كما في قوله «لأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»[1].

---

١ ـ المزار الكبير: ٥٠١/٩، عنه بحار الأنوار: ٢٣٨/٩٨/٣٨.

ولعظمة هذه المجالس نجد أنّ من بين الذين أقاموا هذه المآتم للحسين عليه السلام هم الملائكة والحور العين، وأنّهم قدّموا العزاء إلى سيّد المرسلين وإلى أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام.

ففي زيارة الناحية يقول الإمام المهدي عليه السلام: «*فقام ناعيك عند قبر جدّك الرسول صلى الله عليه وآله، فنعاك إليه بالدمع الهطول، قائلاً: يارسول الله قتل سبطك وفتاك، واستبيح أهلك وحماك، وسُبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك، فانزعج الرسول وبكى قلبه المهول، وعزّاه بك الملائكة والأنبياء، وفُجعت بك أمّك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقرّبين تعزّي أباك أمير المؤمنين*»[1].

دور إقامة الشعائر الإسلامية على الفرد والمجتمع في عصر الغيبة:

للوقوف على أهمّ معطيات الشعائر الحسينية في عصر الغيبة، يجدر بنا أن نمرّ مروراً عاجلاً على بعض المفاصل المهمّة التي تربط بين قيام الإمام الحسين عليه السلام وبين قيام الإمام المهدي عليه السلام؛ لكي نتمكن من خلال معرفة هذه الروابط والمفاصل أن نبصر العلاقة بين قيام الإمامين الحسين والمهدي عليهما السلام، ولا نريد أن نلج في الدخول في البحث التفصيلي لهذه المفاصل، إلّا أننا نقتصر هنا على أهمها:

أولاً: وحدة الخط والأهداف:

تتجلّى الملاحم المهمة لخطّ الإمام الحسين عليه السلام من خلال التأمّل في زيارة الإمام المهدي عليه السلام لجدّه الحسين عليه السلام في زيارة الناحية، ومن أهمّ تلك

١ ـ المزار الكبير: ٥٠٦/٩، عنه بحار الأنوار: ٢٤١/٩٨/٣٨.

الملامح هي:

١ ـ إقامةٍ العبادات كما أمر بها الله تعالى من صلاة وصيام وزكاة.

٢ ـ بناء المجتمع الإسلامي على أُسسٍ إسلامية عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ ـ إحياء السُنن، ومحاربة البدع، والسير على وقف منهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ ـ القضاء على الظلم والفساد وكلّ معالم الانحراف.

وهذا ما نلمسه واضحاً في الزيارة، حيث يقول الإمام المهدي عليه السلام: «أشهد أنّك أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المُنكر والعدوان، وأطعت الله وما عصيته، وتمسّكت به وبحبله ... وسننت السنن، وأطفأت الفتن، ودعوت إلى الرشاد، وأوضحت سبل السداد، وجاهدت في الله حقّ الجهاد، وكنت لله طائعاً ولجدّك محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم تابعاً، ولقول أبيك سامعاً، وإلى وصية أخيك مسارعاً، ولعماد الدين رافعاً، وللطغيان قامعاً، وللطغاة مقارعاً، وللأُمّة ناصحاً...»[1].

وهذه الملامح والأهداف نفسها هي التي تكون في مقدّمة أهداف خط الإمام المهدي عليه السلام، كما هو واضح.

ثانياً: الإمام الحسين يبشّر بالمهدي، والمهدي عليه السلام يثأر للإمام الحسين عليه السلام:

بعد اتضاح وحدة الخطّ بين الإمامين عليهما السلام نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام يبشّر بالمهدي عليه السلام، ومن نماذج تبشيراته:

---

١ ـ المزار الكبير: ٥٠١، عنه البحار: ٩٨/ ٢٣٩ ضمن ح٣٨.

١ ـ قال الإمام الحسين‏: «هو قائم هذه الأُمّة، التاسع من ولدي، صاحب الأمر وهو الذي يقسّم ميراثه، وهو حيّ»[١].

٢ ـ قال الإمام الحسين‏: «في التاسع من ولدي سنة من يوسف، وسنة من موسى بن عمران، وهو قائمنا أهل البيت يُصلح الله تعالى أمره في ليلةٍ واحدة»[٢].

وهنالك أحاديث كثيرة أُخرى وردت عن الإمام الحسين‏ بحق ولده الإمام المهدي ويبشّر به.

أمّا كون الإمام المهدي‏ يثأر للإمام الحسين‏ فهي قضية واضحة ووردت فيها نصوص كثيرة، منها:

ما ورد عن الإمام الصادق‏ في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مُظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ﴾[٣]، قال: «ذلك قائم آل محمد‏ يخرج فيقتل بدم الحسين بن علي‏، فلو قتل أهل الأرض لم يكن سرفاً»[٤].

وعن أبي جعفر‏ قال: «لما قُتل جدّي الحسين ضجّت الملائكة إلى الله عزّوجلّ بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيدنا أتغفل عن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك؟ فأوحى الله عزّوجل إليهم قِرّوا ملائكتي، فوعزتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين، ثمّ كشف الله عزّوجلّ عن الأئمة من ولد الحسين‏ للملائكة، فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلّي، فقال الله

---

١ ـ إعلام الورى للطبرسي: ٢/٢٣١، كمال الدين: ٣١٧ ح ٢.

٢ ـ إعلام الورى للطبرسي: ٢/٢٣٠، كمال الدين: ٣١٧ ضمن ح ١.

٣ ـ الاسراء: ٣٣.

٤ ـ الكافي: ٨/٢٥٥/٣٦٤.

عزّوجل: *بذلك القائم أنتقم منهم*»[١].

مضافاً إلى أنّ شعار المهدويين «هو يالثارات الحسين»[٢].

ظهور الإمام المهدي عليه السلام يوم العاشر من المحرم:

من الروابط بين قيام الإمام المهدي عليه السلام وبين جدِّه الحسين عليه السلام، والذي يكشف عن عمق هذا الربط هو ظهور الإمام المهدي يوم العاشر من المحرم وهو نفس اليوم الذي قُتل فيه الإمام الحسين عليه السلام.

وقد وردت من نصوص في ذلك، منها: ما ورد عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قال: «*ينادى باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاثٍ وعشرين يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين بن علي عليهما السلام، لكأنّي في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل عليه السلام عن يمينه ينادي: البيعة لله، فتصير إليه شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيّاً حتى يبايعوه، فيملأ الله الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً ...*»[٣].

ثالثاً : الإمام المهدي وزيارة قبر جدّه الحسين عليه السلام:

نلاحظ الإمام المهدي عليه السلام يقوم بنفسه لزيارة قبر جدّه الحسين عليه السلام، ممّا يكشف عن عمق التلاحم بين الإمامين عليهما السلام، وهذا المعنى نلمسه في زيارة الناحية، حيث يقول الإمام المهدي عليه السلام: «*السلام عليك يامولاي وعلى*

١ ـ علل الشرائع : ١/١٢٩/١.

٢ ـ البحار : ٨٢/٣٠٨/٥٢، عن منتخب الانوار المضيئة: ٣٤٧.

٣ ـ الإرشاد : ٣٧٩/٢، الفصول المهمة: ٣٠٢، اعلام الورى: ٢٨٦/٢، غيبة الطوسي: ٤٥٢ ح٤٥٨ وص٤٥٣ ح٤٥٩، عنه البحار: ٢٩٠/٥٢ ح٢٩ و٣٠.

الملائكة المرفرفين حول قبّتك، الحافّين بتربتك، الطائفين بعرصتك، الواردين لزيارتك، السلام عليك فإنّي قصدت إليك...»[١].

رابعاً: الإمام المهدي يتقرب إلى الله تعالى بمحبّة الحسين:

وهذه مفرده أُخرى تكشف عن عمق التلاحم بين الإمام المهدي وجدّه، حيث يقول الإمام المهدي مخاطباً جدّه الحسين في زيارته: «ورجوت *الفوز لديك، السلام عليك سلام العارف لحرمتك، المخلص لوليّك، المتقرّب إلى الله بمحبّتك، الباريء من أعدائك...»*[٢].

خامساً: الندب والبكاء:

كذلك ممّا يكشف عن عمق العلاقة بين الإمام المهدي وجدّه الحسين هو بكاؤه وندبه لجدّه الحسين، كما يتّضح في زيارته له حيث يقول:

«سلام مَن قلبه بمصابك مقروح، ودمه عند ذكرك مسفوح، سلام *المفجوع المحزون، الواله المستكين...»*[٣].

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أننا بقولنا بوجود الرابطة والعلاقة بين الإمام المهدي وجدّه الحسين لا نعني عدم وجود رابط بين بقية الأئمة، بل هم مسيرتهم واحدة وهدفهم واحد، وهو المحافظة على الرسالة الإسلامية من التردّي والسقوط، إلّا أنّهم لم تتهيّأ لهم الظروف المناسبة للقيام بالثورة، كما هو الحال بالنسبة للإمام الحسين والإمام

١ ـ المزار الكبير: ٥٠٠/٩، عنه بحار الأنوار: ٣٨/٢٣٨/٩٨.

٢ ـ نفس التخريجة السابقة.

٣ ـ نفس المصدر السابق.

المهدي عليه السلام.

أثر إقامة المجالس الحسينية في عصر الغيبة:

فقد اتّضح ممّا سبق ما تحمله تلك المجالس بين طيّاتها من أهداف كبيرة، حيث تعتبر الشعائر الحسينية ـ بمختلف أشكالها ـ من أخصب السبل للتوعية الجماهيرية، ويحتلّ المنبر الحسيني من بين الشعائر موقعاً في الصدارة؛ لما يمتاز به من دور كبير في بثّ الروح الحسينية من وعي وصمود أمام السلطات الظالمة.

ويمكن إجمال أهمية ودور الشعائر الحسينية وأثرها على الفرد والمجتمع فيما يلي:

١ ـ نشر الثقافة والوعي الإسلاميين، وتعتبر من أهمّ السبل في هذا المجال؛ لذا كان هذا التأكيد الواسع من قِبَل أهل البيت عليهم السلام على إقامة هذه الشعائر والمآتم الحسينية، وكذلك حرص العُلماء الأبرار على الاستمرار في إدامة هذه الشعائر، أُنظر إلى الإمام الخميني قدس سره بهذا الصدد حيث يقول: «قد تمتد أيدي السوء، وتنفث السموم، من أجل تقليل الاهتمام بالشؤون التربوية أو برامج الإصلاح، وتعييب على ذوي المقام العلمي أن يمارسوا القيام بدور التوجيه والإرشاد...

ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان صاحب منبر، وعلى المنابر كان ينصح الناس ويحذّرهم ويبشّرهم ويعمل على توجيههم، وعلى ذلك سار باقي أئمتنا بمقدار ما سمحت به الظروف[1]؟!.

---

١ ـ من كتاب جهاد النفس للإمام الخميني : ٢٠.

٢ ـ تساهم الشعائر الحسينية في تأجيج حالة أخذ الثأر والانتقام من الظالمين، وهذه بدورها تمنح المؤمنين القوّة على الصمود والمواجهة، ومن ثمّ تزيدهم إخلاصاً وتجربةً؛ ممّا تجعلهم مؤهّلين للقيام بتحمّل بعض مسؤوليات اليوم الموعود.

٣ ـ تمتاز الشعائر الحسينية بخصوصية مهمة أخرى، وهي: أنّها تخاطب المشاعر والأحاسيس التي يفهمها الصغار والكبار والواعون والأقل وعياً، على عكس الأفكار، فالإنسان المتحضّر والبدوي والمجتمع الواعي والمتخلّف كلّها تشترك في فهم هذه اللغة ـ لغة المشاعر ـ وإن كانت تختلف في نوع المشاعر وطريقة التعبير عنها، وهذا بدوره يساهم في نشر الوعي بصورة أكثر في أوساط واسعة من المجتمع، فضلاً عمّا يحدثه عند الأطفال والناشئة ـ بشكلٍ خاصٍّ ـ وغيرهم حالة الإحساس المعمّق بضرورة نصرة المظلوم، وبذلك تساهم في تعميق الصلة والعلاقة بأهل البيت عليهم السلام.

٤ ـ من خلال الاجتماعات والتجمعات التي تنعقد لأجل هذه الشعائر تتحقق العلاقات بين أفراد المجتمع وتنمو، وهذا بنفسه عمل محبوب لأهل البيت عليهم السلام؛ لما فيه إحياء للدين في ما يتناولونه في أحاديثهم من أبحاث دينية أو علمية، تبعاً لنوعية الحاضرين والموضوع الذي يتناوله الخطيب.

٥ ـ وفي البعد السياسي فإنّ الشعائر الحسينية لها دور عظيم في هذا البعد؛ لما تحدثه من وعي لخلفية ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وتفهيم أهدافها

التي من أهمها الإصلاح، كما قال الإمام الحسين﵇ «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدي ...» وبهذا فقد أصبح شعار الإصلاح له دور كبير في المجتمع.

٦ ـ من خلال المجالس الحسينية يتمّ التعريف بقيام الإمام المهدي﵇ وما يقوم به من أعمال إصلاحية دنيوية وأُخروية...، وهذا الأمر يعدّ من أقوى أسباب الاستعداد والتهيّؤ لظهور الإمام.

٧ ـ وعلى صعيد البُعد الروحي والأخلاقي فإنّ للشعائر الحسينية دوراً مهمّاً في شدّ عواطف ومشاعر الإنسان المؤمن بأهل البيت﵈، لما تتضمّنه هذه الشعائر من جانب مهمّ يرقّق القلب ويوقظ الضمير، ألا وهو البكاء، وهذه هي فلسفة البُكاء على الحسين وأهل بيته﵈ فضلاً عمّا تتضمّنه من الأجر الإلهيّ والثواب الكبير.

إشكال ودفع:

قد يطرأ في ذهن البعض سؤال عن المسوّغ والمجوّز الشرعي لإقامة الشعائر الحسينية والمآتم على سيّد الشهداء كلّ عامٍ؟

فنقول بشأن معالجة هذا الالتباس الذي يقع به البعض: إنّ القرآن الكريم أضاء هذه المسألة بأروع بيان، كاشفاً عن الأهداف التي تكتنزها من هذه الشعائر، والمهمة ذاتها ينهض بها النصّ الروائي.

ولكي لا نخرج عن البحث الأساس سوف نستعرض جملةً من الآيات القرآنية، التي استعرضت ظلامات المظلومين في التأريخ ابتداءً من هابيل إلى بقية الأنبياء والرسل ورواد الصلاح والعدالة، وكذا الجماعات

المصلحة التي قاومت الفساد والظلم، كأصحاب الأخدود، بل حتى الأطفال الذين راحوا ضحية سننٍ وتقاليدَ جاهلية كالموؤدة، بل رثى القرآن الكريم ناقة صالح لمكانتها، ولم يقتصر القرآن على الرثاء والندبة فقط، بل تخطّى هذه المرحلة الى الأخذ بالتنديد بالظلمة والوعيد لهم بالعذاب والانتقام، ومن أبرز القصص التي يستعرضها القرآن هي:

أولاً: قصة قابيل وفضاعة جريمته بقتله أخيه بقوله: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ.... فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

ثانياً: قصة يوسف ويعقوب، حيث يطالعنا القرآن الكريم بتفصيل الأحداث التي جرت عليهما بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[2]. ويبدأ سرد القصة وعرض ظلامة يوسف منذ نعومة أظفاره بقوله: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ يجعل القارئ يعيش أجواء المأساة وكأنّها تتجسّد أمامه.

ثالثاً: قصة أصحاب الأُخدود، حيث استعرضت سورة البروج تفاصيل هذه القصة بعد أن أخذت بالخوض في رسم وتصوير أحداثها بأُسلوب رثائي حزين، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[3]. وهذا التصوير بمثابة قول الراثي: «قتل الحسين عطشاً». ثم أخذت في تصوير ما جرى عليهم من تفاصيل مؤلمة تثير العواطف والأحاسيس، كما في قوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾، وهو بيان صورة شدة حرارة النار التي أُضرمت

---

١ ـ المائدة: ٢٨ ـ ٣٠.

٢ ـ يوسف: ٧.

٣ ـ البروج: ١ ـ ٤.

لإحراقهم، وهذا يعكس قمة البشاعة والجريمة عند الظالمين.

ثم يتابع القرآن الكريم تفاصيل الحدث بقوله: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾، وهي صورة أخرى من الصور المؤلمة التي أعدّها الظالمون لإرهاب المؤمنين وممارسة الضغط عليهم، ولا يخفى ما في ذلك من بيانٍ لصلابة وشدة مقاومة المؤمنين مع ما يمارسونه تجاههم من عذاب.

رابعاً: قصة قتل الأنبياء، حيث استنكر القرآن الكريم وندّد بقتلهم في تسعة مواقع تقريباً، منها: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ ٱللّٰهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١]، وكذا في قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[٢]، وفي مواقع أُخرى كما في سورة آل عمران: ﴿...كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾[٣].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾[٤].

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾[٦].

وهكذا نجد القرآن الكريم يستنكر ويندّد بقتل روّاد الإصلاح الإلهي

---

١ ـ البقرة: ٩١.

٢ ـ البقرة: ٦١.

٣ ـ آل عمران: ١١٢.

٤ ـ المائدة: ٧٠.

٥ ـ المائدة: ٨١.

٦ ـ المائدة: ٨٣.

في البشرية: ﴿يَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١].

خامساً: ما في سورة التكوير ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[٢]، ففي هذا المقطع يتجسّد عمق وشدة الندبة القرآنية للمولودة المظلومة التي تقتل في زمن الجاهلية بنتيجة السنن الجاهلية الظالمة.

وينعكس هذا التصوير المؤلم للندبة والرثاء من خلال كيفية الجناية بدفن الوليدة وهي حيّة في التراب مع تلك الطفولة البريئة.

سادساً: تسلّي القرآن الكريم للشهداء في سبيل الله تعالى، كما في قوله: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَ تَشْعُرُونَ﴾[٣].

سابعاً: تصوير القرآن الكريم وندبه لضحايا ظلم واستكبار فرعون وهامان في الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾[٤] وكذا قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[٥].

ثامناً: رثاء القرآن الكريم لناقة صالح التي هي دابة وآية إلهية، حيث صور جريمة ثمود ومرتكب الجريمة الذي وصفه بالأشقى وبين حرمة الناقة باضافتها إلىذاته المقدسة، وصوّر عملية العقر التي قام بها المعتدي بأسلوب رثائي مؤلم، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ ٱنبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[٦].

---

١ ـ آل عمران: ٢١.

٢ ـ التكوير: ٨ ـ ٩.

٣ ـ البقرة: ١٥٤.

٤ ـ القصص: ٤.

٥ ـ البقرة: ٤٩؛ إبراهيم: ٦.

٦ ـ الشمس: ١١ ـ ١٥.

وفي ضوء ما سلف يتحصل أنّ القرآن الكريم عبر هذه القصص الهادفة يلفت النظر إلى وجود سنّة إلهية عامة، وهي تربية المسلمين والمؤمنين على التضامن مع المظلومين والنفرة والتنديد بالظالمين عبر التاريخ، ويربّيهم على عدم التقاعس واللامبالاة بذريعة أنّ هذه الأحداث والوقائع أصبحت تأريخاً بل يدعو إلى التضامن والوقوف في صف كل مظلوم من أول تاريخ البشرية إلى آخرها.

إذن هذه الآيات القرآنية تعكس المناخ الذي يهدف إليه القرآن الكريم من أجل اتخاذ الموقف المناسب إزاء كلّ ظالمٍ وطاغوت، وأن لا يكتفي المسلم بمجرد الأحاسيس والعواطف الباردة تجاه المظلومين، وإنّما يحثّها على النفور من الظالم والتنديد به وإن كان قد وقع في غابر التاريخ.

البكاء على الحسين حقيقة كونيه:

لقد وردت روايات متظافرة في كتب الفريقين بالنسبة إلى بكاء السماء والأرض على الإمام الحسين، حيث أشارت إلى مطر السماء دماً واحمرارها مدة مديدة ورؤية لون الدم على الجدران وتحت الصخور والاحجار في المدن والبلاد الإسلامية.

مضافاً إلى إطراء القرآن للمؤمنين الذين يبكون خوفاً وخشيةً من الله تعالى ورغبةً للقائه والتقرب إليه زلفى وكذلك مدحه للتأثر العاطفي كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾[1]. وغيرها من الآيات التي تشاركها في هذا المعنى وكذلك حث النبي المسلمين

---

١ ـ المائدة: ٨٣.

على البكاء على الإمام الحسين عليه السلام[١]، وقد احصى العلّامة الأميني في كتابه «سيرتنا وسنتنا» ما يقارب العشرين مأتماً أقامها النبي صلى الله عليه وآله على الإمام الحسين عليه السلام جاء بأسانيد عديدة من كتب صحاح وحديث أهل السنّة.

ولا نطيل في هذا المقام، لأنّه يُخرجنا عن بحثنا الأصلي، ولذا نكتفي بذكر بعض المصادر من كتب العامة[٢].

---

١ ـ راجع: المستدرك على الصحيحين: ٣٨١/١، سنن النسائي: ١٠/٤، مسند أحمد: ٣٣٣/٣، تذكرة الخواصّ: ٢٤٠، السيرة الحلبية: ٢٤٧/٣.

٢ ـ أ ـ مأتم الميلاد أخرجه البيهقي والخوارزمي ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى، وابن عساكر في ترجمة الحسين السبط عليه السلام في تاريخ دمشق.

ب ـ مأتم الرضوعة أخرجه الحاكم في المستدرك: ١٧٦/٣، والبيهقي في دلائل النبوة، وابن عساكر في تاريخه والخوارزمي ١٥٨/١، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ٧٦٠/٢ و ٧٦١، وابن حجر في الصواعق ص ١١٥.

ج ـ مأتم رأس السنة أخرجه الخوارزمي في مقتل الإمام السبط.

د ـ مأتم في بيت السيدة أُم سلمة أم المؤمنين بنعي جبرائيل، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والهيثمي في المجمع: ١٨٩/٩ وابن عساكر في تاريخه.

هـ ـ مأتم آخر في بيت أُم سلمة بنعي جبرئيل أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في ترجمة الإمام الحسين السبط، وابن عساكر في تاريخه، ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى.

و ـ مأتم آخر في بيت أم سلمة بنعي ملك المطر، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ٢٤٢/٣، والطبراني في ج ١ لدى ترجمة الحسين السبط.

ز ـ مأتم في بيت عائشة بنعي جبرئيل، أخرجه ابن البرقي والطبراني في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، والهيثمي في مجمع الزوائد، والسيوطي في الخصائص.

ح ـ مأتم في بيت أُم سلمة، أخرجه ابن عساكر في تاريخه، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ٧٦١/٢.

ط ـ مأتم في بيت السيدة زينب بنت جحش أُم المؤمنين أخرجه الحافظ أبو يعلي في مسنده والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٢٣/٦ وابن عساكر في تاريخه.

وهناك مآتم آخر، راجع مجمع الزوائد: ١٨٨/٩، كنز العمال: ٢٢٣/٦، والمستدرك: ٣٩٨/٤، والمصنف ومسند أحمد: ٢٩٤/٦، ونحوها.

ملاحظات لابدّ من التركيز عليها في عملية التبليغ:

أولاً: ربط مظلومية الإمام الحسين عليه السلام بهدف الإمام المهدي عليه السلام

من خلال عدة نقاط، منها:

١ ـ التأكيد على ربط قضية الإمام الحسين عليه السلام مع قيام الإمام المهدي عليه السلام، وأنّه صاحب الثأر لجدّه الحسين عليه السلام، والمحقق للهدف الإلهي وهدف الأنبياء، ومعايشة القضيتين معايشة حقيقية.

٢ ـ التأكيد على أنّ القضية الحسينية ذات طابع اجتماعي، وأنّ من أهم أهدافها هو الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدي محمدٍ صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المُنكر، وأسير بسيرة جدّي صلى الله عليه وآله»[1]، لأجل تنمية الروح التعاونية ودمج الفرد في مجتمعه، وتعميق الشعور بالمسؤولية لأنّه الشرط الأوّل والأساس من الشروط التي يجب أن تتوفّر في كلّ مسلم، وبمقدار قوّة هذا الشعور في نفس المؤمن يكون اضطلاعه بالمهمة.

٣ ـ التأكيد على أنّ الإمام المهدي عليه السلام هو مصدر البركات والخيرات، وأنّه يرانا ونراه، إلّا أنّنا لا نعرفه، ومطّلع علينا وعلى أعمالنا ونوايانا، وأنّ أعمالنا تُعرض عليه، وكذا التأكيد على أنّ غيبته بسبب الأُمّة، لأنّها رفضت الوصفة الإلهية المتمثّلة باتّباع أهل البيت عليهم السلام.

٤ ـ التعمّق في جوهر الرسالة المحمدية، وفهم حقائق الإسلام ومنهج

١ ـ مقتل الحسين للخوارزمي: ج ١ ص ٢٧٣، دار أنوار الهدى.

سلوك الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، لكي يترسّخ الارتباط بالله تعالى؛ لأنّه بالإحساس القوي العميق بعظمة الله وعظمة دينه يقوى الإيمان والاعتقاد ويتّسع في النفوس ويملأ آفاق النفوس ويسيطر على قواها، ومن ثمّ تزداد إرادة وعزم المؤمن، ويستصغر كل غاية دون رضاه تعالى.

٥ ـ التركيز على الشباب؛ لأنّ الشباب هم الطاقات القوية الفاعلة التي لا يسوغ إهمالها، ولا التغافل عنها، ولا التسامح في حقّها وفي توجيهها، فإنّ التسامح في مثل هذه الطاقات المهمة يعني التسامح في الإسلام ذاته.

٦ ـ بثّ روح الأمل والتفاؤل والثقة بالنفس؛ لأنّ التفاؤل بالمستقبل هو من أهم العوامل المؤثرة في الوصول إلى الأهداف وتحقيقها، ومن هنا نجد الرسول الأعظم ﷺ في أشدّ الحالات يبعث الأمل في قلوب أصحابه بوعده إيّاهم فتح بلاد كسرى وقيصر، كما كان في واقعة أُحد والأحزاب، ولذا نجد أعداء الإسلام كيف يحاولون إطفاء هذا النور في قلوب المسلمين باستشعارهم اليأس والقنوط داخل المسلمين.

٧ ـ دعوة الناس وحثّهم على إقامة الشعائر الحسينية والمُشاركة فيها؛ لأنّ المشاركة والحضور في مثل هذه التجمعات يدخل السرور على قلب الإمام صاحب الأمر والزمان عليه السلام.

٨ ـ بيان أنّ الدين كفيل بسعادة البشر في الدارين، وأنّه ليس مختصّاً بزمن دون آخر، وأنّ «حلال محمدٍ حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة»[1]؛ لكي يحصل للمؤمنين القدرة على إجابة الشبهات والتشكيكات التي يطلقها أعداء الإسلام بحجة أنّ أحكامه لا يمكن أن

---

١ ـ الكافي: ٢/١٧ ذيل ح ٢.

تطبّق في عصرنا هذا، وعلى ضوء ما سبق اتّضح الجواب على هذه التشكيكات، حيث أنّ عقولنا لا تدرك ما في الأحكام والتكاليف الإلهية من المصلحة، وعلى هذا الأساس يجب أن لا نخضع أمامها، وأنّه لو إجتمع كل العقلاء والناس والدول على أنّ الربا ـ مثلاً ـ شيءٌ ضروريٌّ في الحياة فلا نتنازل عن الحكم الإلهي ونبقى متمسكين به، وهكذا الأمر إلى باقي الأحكام الإلهية كالحجاب مثلاً.

٩ ـ تعزيز الشعور بالكرامة، والتخلّص من التبعية، والدعوة لاكتشاف عوامل الضعف والتخلّف لردعها، وتنمية عوامل القوّة والتوكّل على الله والاستناد إلى قوّته تعالى، التي لا يحتاج المؤمن معها إلى الاستناد إلى أي قوّة أخرى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[1].

١٠ ـ الدعوة لمعرفة الأسرار العلمية والتقنية ووسائل المعرفة، وتوسيع المعرفة بأحوال العالم.

١١ ـ محاولة البحث عن إيجاد الآليات والبرامج لتحويل الأفكار إلى واقع مُعاش؛ لأنّ مجرد دعوة الناس للاستقامة والتمسّك بأهداب الفضيلة ستكون محدودة الفائدة ما لم تتجّه الجهود لتهيئة الظروف المحيطة بالفرد المسلم لتطبيق الأفكار.

١٢ ـ التأكيد الشديد على موالاة أهل البيت عليهم السلام والتمسّك بهم، وضرورة الانضباط بالتعاليم والتكاليف الإلهية.

١٣ ـ الحثّ على طلب العلم والتعلّم، وتقوية أُسس الثقافة والعقيدة

---

١ ـ آل عمران: ١٧٣.

الإسلامية.

١٤ ـ الدعوة لتنمية المواهب والاعتناء بالكفاءات، وتهيئة الأجواء الصالحة لها ومدّها بالتربية الموجّهة لاستثمارها في بناء المجتمع.

١٥ ـ الحذر والتنبّه على أنّ دول البغي تسعى إلى تجفيف سائر الموارد التربوية والعقائدية والثقافية السارية من ينابيع هذا الدين إلى أفئدة وعقول الناس.

١٦ ـ إيقاظ الفطرة؛ لأنّ الفطرة السليمة هي التي تشدّ الإنسان إلى ربّه وتشعره بهيمنته وتدبيره، وضرورة التسامي عن كل المعوّقات والمواقف التي تحجّم المسلمين وتجزّئهم.

ثانياً: إنشاء المدارس والحوزات العلمية:

وهو من الوسائل المهمّة لنشر الوعي في المجتمع الإسلامي؛ ليكون مجتمعاً واعياً مثقّفاً، قادراً على مواجهة الأعداء وما يثيرونه من شبهات وضلال في مجتمعنا الإسلامي.

ويُعدّ التسلّح بالعلم من أبرز عناصر القوّة في المجتع، ويدخل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا ٱسۡتَطَعۡتُم مِن قُوَّةٍ﴾[1].

وعلى هذا الأساس جاء التأكيد على ضرورة طلب العلم بحيث أصبح واجباً شرعياً يتحمل الإنسان مسؤولية الإخلال به، ومن هذا المنطلق نفهم اهتمام أهل البيت عليهم السلام بتأسيس المدارس العلمية خصوصاً في زمن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

لذا ينبغي علينا الاهتمام بهذا الجانب، خصوصاً في هذا العصر المليئ

---

١ ـ الأنفال: ٦٠.

بالفتن والتشكيكات الموجهة ضد مجتمعنا الإسلامي، لأجل تكوين وبناء قاعدة إسلامية قويّة من حيث الوعي الفكري والصفاء الروحي والتوازن التربوي.

وقد ورد الكثير من النصوص الشريفة التي تحثّ على طلب العلم وبيان فضيلته، خصوصاً في زمن الغيبة، ذكرنا بعضاً منها في البحوث السابقة، فراجع.

ثالثاً: إصدار الكتب والصحف والمجلّات:

وهذه وسيلة مهمة أيضاً في مجال نشر الوعي في المجتمع، ونعني بهذه المجلّات والكتب ذات المحتوى الفكري والمعارف الصحيحة التي تقي الإنسان من التأرجح في جادّة الانحراف والخضوع للأفكار الشاذة.

وهذه المجلات والكتب متنوعة، سواء كانت يومية أو أُسبوعية أو شهرية ونحوها. أمّا مصادر الثقافة الغربية التي تأتي من مجلات وأشرطة وكتب وسينما وأفكار، وخاصّة ما يأتي منها وسط موكب حافل من الفكر يحتاج المثقف لبعضه أو للكثير منه، فلابدّ من وضع خُططٍ للحدّ من تأثيرها في مجتمعنا، ولعلّ أهم الخطط لمجابهة هذا الغزو هو تقديم ثقافة دينية وخلقية لأبناء مجتمعنا.

إذن يجب علينا أن نُحاصر الأفكار الفاسدة والمنحرفة ونُلجِئُها إلى أضيق السبل، وعدم إفساح المجال لها لتأخذ سبيلها إلى الحياة اليومية،

ومن هنا نفهم النصوص الواردة على ضرورة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعلّ أهم أهدافها هو بقاء الشارع الإسلامي نظيفاً من المخالفات؛ حتى لا تتحوّل المُنكرات الى ثقافة عامّة، وبذلك تصبح من النماذج التي تنشأ عليها الأجيال.

رابعاً: الدعاء:

يعتبر الدعاء من السبل المهمة في نشر الوعي الفكري والثقافي في المجتمع إضافةً إلى دوره في البعد الروحي أيضاً، فهو منهج حافل متكامل من المعارف والعلوم، لا يترك ناحية من نواحي النفس الإنسانية لا يوليها عنايته.

وقد مارس أهل البيت عليهم السلام هذا النوع من الأساليب في نشر الوعي والمعارف الإلهية، بحيث تحوّل إلى مدرسة متكاملة لثقافة أهل البيت عليهم السلام تدرس فيه العقائد والمفاهيم الإسلامية والاجتماعية، مضافاً إلى التزكية والتربية العالية.

ومن هنا نجد أنّ الإمام المهدي عليه السلام قد علّم عدداً من الأفراد جملةً من الأدعية ذات المضامين العالية، ومن أهمها: دعاء الفرج الذي يتضمن معاني عالية ذات أثر كبير على الفرد والمجتمع، وكذا بعض الأعمال والأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، كزيارة عاشوراء وزيارة الجامعة[1].

أثر الدعاء على حياة الفرد والمجتمع في عصر الغيبة:

لمّا كان الدعاء من أفضل الأساليب لإدخال المعاني إلى القلوب؛ لأنّه يخاطب القلوب ثمّ يسير إلى العقول، كذلك له دور كبير في مجالات مختلفة من حياة الفرد والمجتمع، منها:

١ ـ إنّ الدعاء يصنع للإنسان قاعدة معرفية تهدف إلى ربطه وشدّه إلى خالقه، اقرأ على سبيل المثال هذا الدعاء: «*اللهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهمّ عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني*

---

١ ـ البلد الأمين: ٤٤٩، دعاء الفرج.

رسولك لم أعرف حجّتك، اللهمّ عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرفني حجّتك ظللتُ عن ديني...»[1].

نجد أنّ هذا الدعاء يؤسّس لأمر مهمٍّ على صعيد العلاقة بين التوحيد والولاء والمعرفة للإمام، فيكشف عن وجود ترابط وثيق بين التوحيد وأهل البيت عليهم السلام، وهذا الأمر له دور كبير في عقيدة الإنسان وسلوكه، خصوصاً في هذا العصر الذي تكثر فيه التشكيكات والشبهات حول الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ إنّ الدعاء يولّد الإحساس القوي العميق بعظمة الله وقدرته، وإيجاد الثقة والشعور الحقيقي بأنّ النصر بيد الله تعالى، وإنّ أضخم الأشياء المادية من السماء والأرض والبحار وكذا أقوى الكيانات الظالمة كلّها واقعة تحت سلطان وقدرة الله تعالى، وهذا بدوره يولّد الاطمئنان والاستقرار النفسي لدى المؤمن، ففي الدعاء: *«الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكّانها، وترجف الأرض وعمّارها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها... الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجّي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين. والحمد لله قاصم الجبّارين مبير الظالمين مدرك الهاربين نكال الظالمين صريخ المستصرخين موضع حاجات الطالبين معتمد المؤمنين ...»*[2].

وهذا بنفسه يشكّل جانباً كبيراً من الوعي والمعرفة لدى الإنسان.

٣ ـ في بعض الأدعية نجد أنّها تعطي صورة واضحة للإنسان وتُحيله

---

١ ـ مصباح المتهجّد: ٢٩٤.

٢ ـ إقبال الأعمال: ١/ ١٣٨، دعاء الإفتتاح .

على اطّلاع كامل على واقعه السيّئ الذي يعيشه، وفي نفس الوقت يعطيه زخماً وقوّةَ اندفاعٍ نحو هدفه المرسوم والوعد الذي أوعده الله تعالى له وهو الفوز والنصر، وهذا ما يجعله راضياً بقضاء الله تعالى، صابراً على بلائه متوجّهاً دائماً صوب هدفه، منتظراً لمولاه.

وهذا المعنى نلاحظه في الدعاء الذي علّمه الإمام المهدي عليه السلام لأحد الأشخاص، وهو الدعاء المعروف بدعاء الفرج، إذ يقول عليه السلام: «*اللهمّ عظم البلاء، وبرح الخفاء، وانقطع الرجاء، وانكشف الغطاء، وضاقت الأرض ومُنعت السماء، واليك يا ربِّ المشتكى وعليك المعوّل في الشدّة والرخاء. اللهمّ فصلِّ على محمد وآل محمد، أُولي الأمر الذين فرضت علينا طاعتهم، فعرفتنا بذلك منزلتهم، ففرّج عنّا بحقّهم فرجاً عاجلاً قريباً كلمح البصر أو هو أقرب...*»[1].

٤ ـ يساهم الدعاء في تهيئة الفرد والمجتمع للقيام بمسؤوليات اليوم الموعود، واطّلاعهم على بعض ملامح ذلك اليوم الذي يسود فيه العدل والأمان، فيجعلُ الدعاءُ الإنسانَ في حالة توقّع وانتظار دائم، وحالة استعداد كبير إلى درجة أنّه يتوقّع أن يحول الموت بينه وبين إمامه، ومع ذلك فهو لشدّة استعداده يطلب من الله أن يرجعه مرّة أُخرى إلى الحياة عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام. ففي الدعاء: «*فلو تطاولت الدهور وتمادت الأعمار لم أزدد فيك إلّا يقيناً، ولك إلّا حباً، وعليك إلّا متّكلاً واعتماداً، ولظهورك إلّا متوقعاً، ولجهادي بين يديك مترقباً...*»[2].

«*اللهمّ فإنْ حَالَ بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً*

---

١ ـ جمال الاسبوع: ١٨١،عنه بحار الأنوار: ١٩٠/٨٨ ضمن ح ١١.

٢ ـ مصباح الزائر: ٢٢٧، عنه البحار: ٩٩/٩٩.

فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني، شاهراً سيفي، مجرّداً قناتي، ملبياً دعوة *الداعي في الحاضر والبادي*»[١].

إذن للدعاء دور كبير في نشر الوعي والمعرفة، فلا ينبغي التغافل عن هذا الجانب المهم، كأن تعقد الجمعيات والهيئات بمختلف أشكالها لاقامة مجالس الأدعية المأثورة عن أهل البيتعليهم السلام، وهذا لا يمنع من أن يقرأ الإنسان هذه الأدعية بنفسه ويتأمّل مضامينها العالية، خصوصاً الأدعية والزيارات الخاصّة بالإمام المهديعليه السلام وما أكّد عليه أهل البيتعليهم السلام، من قبيل: دعاء كميل والتوسّل وزيارة عاشوراء والجامعة...، وأدعية تعجيل الفرج، من قبيل دعاء الصلوات ودعاء القنوت ودعاء الندبة ودعاء الفرج ودعاء العشرات.

وممّا ينبغي الالتفات إليه هو أنّ عملية نشر الوعي والثقافة في المجتمع لا تتحقق بالشكل المطلوب من دون توحيد كلّ وسائل التثقيف الاجتماعي حيث يحاصر الفرد من قبل المسجد والمنهج الدراسي والصحيفة والإذاعة ـ إذا كانت في متناول يد المؤمنين ـ والشعارات المثبتة على الجدران والسيارات، وكذا من خلال عقد الندوات والمحاضرات، مضافاً إلى تشجيع الناس على نقد السلوكيات الخاطئة والتصرفات غير اللائقة.

ونستمر بهذا المنهج والعمل إلى أن نوصل المجتمع إلى مجتمع تتحول فيه المفاهيم القرآنية الإسلامية إلى عادات ومسلّمات يخضع لها الفرد دون أي نقاش.

---

١ ـ مصباح الكفعمي: ٧٠٢، وفي البحار: ٦١/٨٣ ضمن ح٦٩، عن الاختيار لابن الباقي (مخطوط).

إلّا أنّ النقطة الجديرة بالذكر هي أنّ عملية التوعية هذه تحتاج إلى جهاد مستمرٍّ لا يعرف الملل ولا الكلل؛ لأنّ الثقافة من أكثر الجوانب الاجتماعية تجريداً؛ لأنّها توجّه السلوك وبطريقة غير مرنة، لذا يجب علينا التكاتف والصبر، والتوكّل على الله تعالى في هذه المهمة الملقاة على عاتق الجميع، وكلٌّ حسب قدرته وطاقته، من أجل إيصال هذه الأمانة إلى الأجيال اللاحقة بأمانة عالية، ولكي نكون أمام الله تعالى، قد أدّينا تكليفنا وقمنا بواجبنا.

دور النخبة في عملية التثقيف ونشر الوعي:

المقصود بالنخبة: هم الأفراد الذين تجتمع فيهم مجموعة من الخصائص والسمات وتميّزهم عن الآخرين، فهم من ذوي الطاقات والكفاءات من أبناء المجتمع، بما فيهم من مثقفين وأطباء ومبلّغين وطلبة الحوزة العلمية، من دون المجتهدين والمراجع والفقهاء الذين يشكّلون المركز.

والنخبة يشكّلون حلقة الوصل بين المركز والمجتمع؛ لأنّهم دوماً على احتكاك واتصال مباشر بالأُمّة.

إذن النخبة هم الذين فهموا إسلامهم وفقهوا أسراره، لذا تُلقى على عاتقهم مسؤولية حمل النور الذي حملوه إلى إخوانهم ليشعلوا درب السائرين، فهم مفتاح الأجيال في نشر مفاهيم الإسلام، وتفهيم الحلول الصحيحة لمشكلات الحياة، وأفضل ما يُقال بحق النخبة بأنّهم مصداق لمقولة: «طبيب دوّار بطبه».

وقد كان لوجود النخبة في تاريخ الإسلام دور مهمّ في حفظ الدين والوقوف بوجه الإنحرافات الضالّة.

ويمكن إجمال أهم أدوار النخبة في هذا العصر بما يلي:

١ ـ أن تتحرك النخبة من مركزها ومن موقعها وكلٌّ حسب طاقته وما وسعه من العلم، مثلاً الطبيب يقول: إنّ الطب يفلسف شريعة الإسلام وأحكامها في حلالها وحرامها، وليعلن القانوني أنّ قانون الله أوفى ضماناً لتحقيق العدل وأعظم رعاية للحقوق، وأدقّ ملاحظة. ويبيّن الاجتماعي أنّ المجتمع في ظل الإسلام أمتن صلة وأثبت ركيزة، وأكثر سعةً وشمولاً. وليَزِن الفيلسوف كلّ نظرة من نظرات الإسلام وكلّ تشريع من تشريعاته وليكشف للعقول عللها وأسرارها... هذا ما يجب على تلك الطبقة الواعية، وليعلموا أنّ الله ضمن لنا الهداية والنصرة إن نحن أخلصنا في الجهاد في سبيله. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

٢ ـ أن تقوم النخبة بعملية ترسيخ الثوابت العامّة للشريعة في ذهنية الناس، وبذلك تنحصر الحركة العامة في داخل هذه الثوابت.

٣ ـ إعادة التفكير الديني والعثور على حلول من الإسلام والقرآن للقضايا المعقدّة التي يعاني منها البشر؛ لأنّ النظام الإسلامي نظام عقيدة كاملة وشاملة لكل أبعاد الحياة.

٤ ـ العودة إلى منهاج الشريعة من القرآن وأهل البيت عليهم السلام، ومكافحة التقليد الأعمى.

---

١ ـ العنكبوت: ٦٩.

٥ ـ تعريف الإسلام بأنّه دين العمل والحركة، وأنّ سبب التأخير هو فقدان الإسلام لحيويته.

أمّا دور الفرد العادي في نشر الوعي هو أن يركّز اهتمامه بالدرجة الأُولى على إصلاح نفسه؛ لأنّ إصلاح الذات هو الأساس لإصلاح المجتمع.

دور العلماء في نشر الوعي:

لا شكّ أنّ للعلماء الأبرار ـ رضوان الله عليهم ـ دوراً كبيراً في نشر الوعي في المجتمع، فهم ـ كما وصفتهم النصوص الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ـ الأُمناء على حلال الله وحرامه، وهم ورثة الأنبياء، ودعاة الحقّ، يهدون الناس إلى طاعته وطاعة رسوله، وهم نور الله، وهم نوّاب الإمام عليه السلام، كما ورد عن الإمام المهدي عليه السلام في التوقيع الشريف: «*وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة اللهِ عليهم*»[1].

فهم الذين يحافظون على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام، فهم القدوة، وإليهم المرجع، وهم حجة الله تعالى على الناس. وقد تظافرت النصوص الشريفة على التأكيد على دور العُلماء في نشر العلم والمعرفة بين الناس، ونكتفي بذكر بعضاً منها:

١ ـ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: «*قال علي بن أبي طالب عليه السلام: مَن كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا، فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى*

١ ـ إكمال الدين: ٢/٤٨٤/٤.

نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لجميع أهل العرصات، وحلّة لا تُقَوَّم لأقلّ سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثمّ ينادي منادٍ: ياعباد الله، هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد، ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبّث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزهة الجنان، فيخرج كلّ مَن كان علمه في الدنيا خيراً، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً، أو أوضح له عن شبهة»[1].

٢ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «العالم كمن معه شمعة تضيء للناس فكلّ مَن أبصر بشمعته دعا بخير، كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة، فكل مَن أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل، فهو من عتقائه من النار، والله يعوّضه عن ذلك بكلّ شعرة لمن أعتقه ماهو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار على الوجه الذي أمر الله عزّوجل به»[2].

٣ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلّط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممّن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة؛ لأنّه يدفع عن أديان محبّينا، وذلك يدفع عن أبدانهم»[3].

٤ ـ عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنّا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشدّ على إبليس من ألف

١ ـ الاحتجاج: ١/١٠ ح ٣، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٣٩، عنهما البحار: ٢/٢ ح ٢.
٢ ـ المصدر السابق: ١/١٢ ح ٦، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤٢، عنهما البحار: ٢/٤ ح ٧.
٣ ـ المصدر السابق: ١/١٣ ح ٧، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤٣، عنهما البحار: ٢/٥ ح ٨.

عابد؛ لأنّ العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته؛ فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد»[١].

٥ ـ عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «يُقال للعابد يوم القيامة: نِعمَ الرجل كنت، حمتك ذات نفسك وكفيت مؤنتك فادخل الجنّة، ألا إنّ الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم، ووفّر عليهم نعم جنان الله تعالى، وحصّل لهم رضوان الله تعالى، ويُقال للفقيه: يأأيها الكافل لأيتام آل محمد، الهادي لضعفاء محبّيهم ومواليهم قف حتى تشفع لكلّ مَن أخذ عنك أو تعلّم منك، فيقف فيدخل الجنّة معه فئاماً وفئاماً، وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمّن أخذ عنه وعمّن أخذ عنه إلى يوم القيامة، فانظروا كم صرف ما بين المنزلتين؟»[٢].

٦ ـ عن الإمام علي بن محمد عليه السلام قال: «لولا مَن يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شِباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة بسكانها اولئك هم الأفضلون عند الله عزّوجل»[٣].

٧ ـ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: «إنّ محبّي آل محمدٍ صلى الله عليه وآله مساكين، مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقراء، وهم الذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم من مقاتلة أعداء الله الذين يعيّرونهم بدينهم ويسفّهون

---

١ ـ المصدر السابق: ١/١٣ ح٨، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤٣، عنهما البحار: ٢/٥ ح٩.

٢ ـ الاحتجاج: ١/١٤ ح٩، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤٤، عنهما البحار: ٢/٥ ح١٠.

٣ ـ المصدر السابق: ١/١٥ ح١١، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤٤.

أحلامهم، ألا فمن قوّاهم بفقهه وعلمه حتى أزال مسكنتهم ثمّ يسلّطهم على الأعداء الظاهرين النواصب، وعلى الأعداء الباطنين إبليس ومردته حتى يهزموهم عن دين الله، يذودوهم عن أولياء آل رسول الله ﷺ حوّل الله تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم فأعجزهم عن إضلالهم، قضى الله تعالى بذلك قضاءً حقاً على لسان رسول الله ﷺ»[١].

النيابة لُغةً واصطلاحاً:

النيابة بالمعنى اللغوي: جاء في مجمع البحرين للطريحي: (ناب فلان عنّي: قام مقامي، وناب الوكيل عنّي في كذا ينوب نيابة: فهو نائب[٢]، ومثله جاء في تاج العروس. ومن هنا نجد أنّ الفقهاء عرفوّا الوكالة بالنيابة، أو الاستنابة.

والفرق بين النيابة والولاية هو: أنّ النيابة غالباً ما تستعمل في الموارد التي يكون فيها النائب عن المنوب عنه مقيدة ومحدودة، كما لو كان ينوب النائب عن المنوب عنه في شيء محدود ومعيّن، بخلاف الولاية التي يكون المورد فيها غير محدود وغير مقيّد، فيقال: ولّاه أو نصبه والياً.

النيابة الخاصة عن الإمام المهدي ؑ:

إنّ معنى النيابة الخاصة هو استنابة الإمام ؑ شخصاً بخصوصه لإيصال أقواله وأوامره إلى الشيعة، وأخذ الحقوق الشرعية كالخمس والزكاة، ومن هنا نجد إطلاق لفظ «السفير» على النواب الأربعة للإمام

---

١ ـ المصدر السابق: ١/١٧ ح ١٣، تفسير الإمام العسكري ؑ: ٣٤٦.

٢ ـ مجمع البحرين: ٢/١٧٨ (مادة نوب).

عجل الله فرجه ـ وهم عثمان بن سعيد العمري، ومحمّد بن عثمان العمري، والحسين بن روح النوبختي، وعليّ بن محمّد السَمَري ـ في الغيبة الصغرى؛ وذلك لأنّ عمل هؤلاء الأربعة هو كالوسيط بين الإمام‎ﷺ وشيعته، ولذا يطلق على هذا النحو من النيابة بالسفارة.

ومن الواضح أنّ هذه النيابة الخاصّة انقطت بعد انتهاء الغيبة الصغرى للإمام‎ﷺ وابتداء الغيبة الكبرى، إلّا أنّ انقطاع هذه النيابة الخاصة لا يعني بقاء الشيعة والمكلفين من دون أن ينصّب لهم الإمام ﷺ من يرجعون إليه عندما تنزل بهم الحوادث والوقائع، وفصل الخصومات واستيفاء الحقوق وتعليم الأحكام الشرعية وغيرها من الحاجات الدينيّة.

ومن هنا جاء دور النيابة العامة.

النيابة العامة عن الإمام‎ﷺ:

وهي استنابة الإمام ﷺ لكلّ من توفّرت فيه شرائط وخصوصيات معينة: من القدرة على استنباط الأحكام من الكتاب وروايات أهل البيت‎ﷺ، مضافاً إلى شرائط أُخرى كالعدالة والذكورة ونحوها.

أدلة النيابة العامة:

وفي هذا المقام نواجه مدّاً استدلالياً مكثّفاً من روايات أهل البيت‎ﷺ على النيابة العامة للإمام‎ﷺ.

فعن الإمام الصادق ﷺ أنّه قال: «من كان منكم ممّن روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فيرضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم

حاكماً»[1].

وعن الإمام المهدي عجل الله فرجه قوله: «فأمّا مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه ـ مطيعاً لأمر مولاه ـ فللعوامّ أن يقلّدوه وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا كلّهم، فإنّ من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة علماء العامة فلا يقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا كرامة»[2].

وهذا تنصيب للفقهاء العدول كمراجع دين للشيعة ومما يستفاد من ذلك أنّ النيابة الخاصّة قد انتهت بعد انتهاء وانقضاء الغيبة الصغرى. وبذلك يتّضح أنّ من ادّعى السفارة والنيابة الخاصة فهو كاذب، وقد وردت في ذلك روايات عديدة، منها:

ما ورد عن أبي محمّد الحسن بن محمّد المكتّب، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفّي فيها الشيخ علي بن محمّد السمري ﵀، فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس تواقيع نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا عليّ بن محمّد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيام، فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله عزّ وجلّ، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلب، وامتلاء الأرض جوراً، وسياتي لشيعتي مَن يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفترٍ، ولا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله العلي العظيم». ثم قال ـ أبو محمّد المكتّب ـ

---

١ ـ الاحتجاج: ٢/٢٦١ ضمن ح ٢٣٢، عنه البحار: ٢/١٠٦، وج ٢٦١/١٠١ ح ١، أُصول الكافي: ٦٧/١ ح ١٠ وج ٤١٢/٧ ح ٥، من لا يحضره الفقيه: ٨/٣ ح ٣٢٣٣، التهذيب ٢١٨/٦ ح ٦، وص ٣٠١ ح ٥٢.

٢ ـ الاحتجاج: ٥١١/٢ ضمن ح ٣٣٧، تفسير الإمام العسكري ﵇: ٣٠٠، عنهما البحار: ٨٨/٢ ضمن ح ١٢، مع اختلافٍ في اللفظ بجميعها.

نسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: مَن وصيّك من بعدك؟ فقال: (لله أمر هو بالغه)»[١].

ونحو هذه الروايات التي، تكشف عن انقطاع السفارة والنيابة الخاصّة للإمام عليه السلام مفصّلاً عن المشاهدة له.

* * *

١ ـ كمال الدين ٢/٥١٦/٤٤، غيبة الطوسي: ٣٩٥ ح ٣٦٥، عنهما البحار: ٥١/٣٦٠ ح ٧، وج ٥٢/١٥١ ح ١، وفي الخرائج والجرائح: ٣/١١٢٨، كشف الغمة: ٢/٥٣٠، الصراط المستقيم: ٢/٢٣٦، وأخرجه في تاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة): ١١٢ مرسلاً مثله.

الفصل الخامس

واجباتنا في الجانب الاجتماعي

لا شكّ أنّ الرسالة الإسلامية أولت عناية خاصّة للمجتمع، فقد وضعت له مجموعة من القوانين لضمان سعادته والوصول به إلى سعادة الدارين.

وبعبارة أُخرى: «إنّ أُصول الدين الخمسة التي تمثّل على الصعيد العقائدي جوهر الإسلام والمحتوى الأساسي للرسالة في نفس الوقت تمثّل ـ بأوجهها الاجتماعية على صعيد الثورة الاجتماعية التي قادها الأنبياء ـ الصورة المتكاملة لأُسس هذه الثورة»[1].

وهذه العناية بالتوحيد في المجتمع نلمسها في تأكيد أهل البيت عليهم السلام وعنايتهم بضرورة قيام المجتمع الموحّد.

وهذه الفكرة لخّصها المنطق العلوي، وأبان حلقاتها بالنص التالي: «أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به

---

١ ـ الإسلام يقود الحياة، تأليف السيد الشهيد محمد باقر الصدر: ص٣٨، طبعة وزارة الإرشاد.

توحيده»[١].

حيث يكشف النصّ أنّ الدين الذي يضمن السعادة للمجتمع ـ كما هو واضح ـ لا يمكن أن يتحقق من دون المعرفة المؤدية إلى التوحيد.

إذن التوحيد هو الأساس الذي يقوّم سعادة المجتمع، ويعتبر من أهم الحقوق الإنسانية، ولذا يحقّ لنا الدفاع عن هذا الحقّ، كما قال العلّامة الطباطبائي: «أثبت القرآن أنّ أهم حقوق الإنسانية هو التوحيد...، وأنّ الدفاع عن الحقوق الإنسانية حقّ مشروع مباح الاستيفاء للإنسان»[٢].

وحيث إنّ طبيعة الإنسان والاجتماع البشري في هذا العالم ـ عالم التزاحم ـ تتولّد فيه مجموعة من العراقيل توجب على المجتمع أن يبقى في حاجة دائمة للعلاج؛ لتصحيح اخطائه وتقويم مسيرته، وتتضاعف الحاجة إلى العلاج في هذا العصر، عصر الملاحم والفتن والابتلاء.

وفي ضوء ما تقدّم ـ مضافاً لما تفرضه عليها مسؤوليتنا في هذا العصر وهي بناء أنفسنا ومجتمعنا بالشكل الذي نكون قادرين ومؤهّلين للقيام بمسؤوليات اليوم الموعود الذي يسود فيه التوحيد والعدل ـ يجب علينا أن نصلح مجتمعنا، وأن نكون مجتمعين عقلاً ولُبّاً عقيدةً وعاطفةً لكي نكون بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقنا. ومما لا شكّ فيه أنّنا لا نكون بمستوى تحمّل هذه المسؤولية إلّا إذا كنّا مجتمعين عقلاً ولباً وسلوكاً على الوفاء بالعهد المأخوذ منّا من طاعة أوامر الإسلام ونواهيه؛

---

١ ـ نهج البلاغة: ١٣، الخطبة الأُولى.

٢ ـ الميزان في تفسير القرآن: ٢/٧١.

ذلك لأنّ الاجتماع على الطاعة يكون أوسع وأكثر انتاجاً من الطاعة الفردية بشكل غير قابل للمقايسة.

وعلى هذا الأساس تنبثق مجموعة من الواجبات في هذا المجال فنعرض ـ إجمالاً ـ لأهمّها:

أولاً: الحفاظ على الوحدة والأُلفة بين أبناء المجتمع الشيعي:

من الواضح أنّ الانسجام والوحدة بين أفراد المجتمع من أهم مقومات المجتمع الإنساني الصالح الموحّد، وهذه المسألة يمكن أن نجدها من خلال مجموعة من الإضاءات التي نلمسها من تركيز أهل البيت عليهم السلام على هذه المسألة، كما سيتّضح .

كما لا يخفى مقدار وحجم الآثار الإيجابية المترتبة على تحقيق هذا التلاحم والانسجام بين أفراد المجتمع، حيث نجد أنّ مسألة الوحدة بين أفراد المجتمع تُعدّ علاجاً ناجحاً لحالة تردّي وانهيار العلاقات الاجتماعية في هذا العصر، كما هو واضح لأدنى من تأمّل في هذا الجانب، حيث العلاقات الممزّقة الخاوية؛ لاسيّما تحت ظل الهجمة المعادية من قبل أعداء الإسلام، التي تهدف إلى طمس الروح الإسلامية في نفوسنا، وهذه الحالة هي عين ما أشارت إليه الروايات المتظافرة من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام التي تنبّأت بذلك.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديثه عن أهل هذا العصر قال: «تجتمع

الأجساد والقلوب مختلفة، ودين أحدهم لعقة على لسانه...»[١].

إلى غيرها من عشرات الروايات في هذا المضمون. إذن يجب علينا العمل والسعي للحفاظ على وحدة مجتمعنا الشيعي بهمة عالية وعزم مستمدٍّ من الله تعالى.

ومن أهمّ الأُمور التي ركّز عليها أهل البيتعليهم السلام في توجيه شيعتهم وأتباعهم لحفظ الانسجام والتلاحم بين أفراد المجتمع هي:

أ ـ بناء الأُسرة الصالحة:

حيث إنّ الأُسرة تحتلّ اللبنة الأُولى لبناء المجتمع، لذا نجد هذا الاهتمام الكبير في القرآن والسُنّة، حيث وضع أهل البيتعليهم السلام نظاماً دقيقاً محكماً شاملاً لكل تفاصيلها، ابتداءً من اختيار الزوجة، وكيفية المعاشرة، ومسألة الحقوق... وغيرها، كما مبيّن في محلّها .

وعلى هذا الأساس فإنّ للأُسرة الصالحة دوراً كبيراً في تربية أبناء صالحين، مستمدّين قوّتهم من إيمانهم بالله تعالى، متحمّلين للمسؤولية الملقاة على عاتقهم، كلّ ذلك ليساهم في بناء مجتمع صالح قائم على أساس الإيمان بالله تعالى.

أمّا لو كانت الأُسرة ممزّقة غير منضبطة بضوابط الإسلام فسوف تكون مِعولاً هادماً للمجتمع.

ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا: إنّ واحدةً من أهم أسباب الفساد

---

١ ـ تاريخ مدينة دمشق: ٣٩/٣٥٤، (صدره) إلّا أنه ذكر (متفرقة) بدل (مختلفة)، دراسات في نهج البلاغة: ٢٤٠، (ذيله).

والانحلال لأبنائنا في هذا العصر هو تمزّق العلاقة الأُسرية، وعدم رعايتها لتوصيات ومقررات الشارع في هذا الشأن.

إذن الأُسرة تمثّل القاعدة التحتية التي ينهض عليها بناء المجتمع الصالح، لذا ينبغي علينا الاهتمام بهذا الجانب وعدم التغافل عنه، والعمل وفق ما رسمه لنا أهل البيت عليهم السلام من مناهج في هذا الصدد.

ب ـ صلة الرحم:

وهي كذلك من الأُمور الأساسية لحفظ الوحدة الاجتماعية في المجتمع الشيعي، وقد أكّدت عليها الشريعة، وأولاها أهل البيت عليهم السلام عناية خاصّة. فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: *أُوصي الشاهد من أُمّتي والغائب منهم، ومَن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة: أن يصل الرحم وإن كان منه على مسيرة سنة؛ فإنّ ذلك من الدين*»[١].

انظر إلى التعبير «إنّ ذلك من الدين» وكلّ ما كان من الدين فهو يصبّ في مصلحة المجتمع الإسلامي.

ويقع في مقدمة الأرحام: الأبوان، فيجب إكرامهما والبرّ بهما، ويكون ذلك بالتزام الطاعة لهما، وامتثال أوامرهما ضمن الحدود الشرعية، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «*نَظَرُ الولد إلى والديه حبّاً لهما عبادة*»[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: *ثلاثة من الذنوب*

---

١ ـ الكافي: ٢/١٥١ ح ٥، عنه البحار: ٧١/١١٤ ح ٧٣، وص ١٠٥ ح ٦٨، عن عدة الداعي: ١١١.
٢ ـ الاسراء: ٢٣.
٣ ـ الجعفريات: ١٨٧، عنه المستدرك: ٩/١٥٢ ح ١.

تعجّل عقوبتها ولا تؤخَّر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان»[1].

أثر صلة الرحم في عصر الغيبة:

لا شكّ أنّ هذه الوظيفة ـ صلة الرحم ـ تعدّ علاجاً ناجحاً لما نراه من انهيار وتفكّك للعلاقة بين الأرحام في عصرنا الحاضر الذي تكثر فيه مثل هذه الظواهر، وخصوصاً عندما نلاحظ تشخيص هذا المرض من قبل أهل البيت عليهم السلام الذين أخبرونا بما يجري في هذا العصر من انتشار وتفشي لهذا المرض.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ـ وهو يبيّن لنا حال هذا العصر ومآل الناس فيه ـ : «.. إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المآثم، وسلّط الأشرار على الأخيار...»[2].

وفي حديثٍ آخر قال: «... ورأيت العقوق قد ظهر، واستخفّ بالوالدين»[3]. وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «يجفو الرجل والديه ويبرُّ صديقه»[4].

إلى غيرها من الروايات الكثيرة في هذا المجال.

إذن فالالتزام بصلة الرحم يعتبر علاجاً مهمّاً لهذه الظاهرة في هذا العصر، مضافاً إلى دورها الكبير في حفظ وحدة المجتمع وتماسكه وانسجامه.

---

١ ـ أمالي المفيد: ٢٣٧ ح ١، أمالي الطوسي: ١٤ ح ١٧، عنهما البحار: ٣٧٣/٧٠ ح ٧.

٢ ـ تفسير القمي: ٢٨١/٢، عنه البحار: ٣٠٨/٦ ضمن ح ٦، والوسائل: ٣٤٩/١٥ ضمن ح ٢٢.

٣ ـ الكافي: ٤١/٨ ضمن ح ٧، عنه البحار: ٢٥٩/٥٢ ضمن ١٤٧.

٤ ـ تفسير القمي: ٢٨٠/٢، عنه البحار: ٣٠٦/٦ ضمن ح ٦، والوسائل: ٣٤٨/١٥ ضمن ح ٢٢.

ولا يخفى ما في الاجتماع والوحدة من أثر في تعجيل ظهور الإمام، ففي التوقيع الصادر إلى الشيخ المفيد من الناحية المقدّسة: لو أنّ أشياعنا ـ وفّقهم الله لطاعته ـ على اجتماعٍ من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لَما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدقها»[١].

وممّا ينبغي الإشارة إليه أنّ وجوب صلة الرحم ـ التي أكّدت عليها الشريعة ـ يكون من أبرز مصاديقها صلة أهل البيت؛ لأنّ هذا المعنى هو الذي تسفر عن مضمونه النصوص المتظافرة بأنّ الإمام هو الوالد الشفيق لشيعته.

فعن رسول الله قال: «*أنا وعلي أبوا هذه الأمّة*»[٢].

وعن أبي عبدالله قال: «*إنّ الله خَلقنا من علّيين، وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من علّيين، وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم، وقلوبهم تحنُّ إلينا*»[٣].

وعن الإمام الرضا قال: «*الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق*»[٤].

وكذا ما ورد عن الإمام الرضا أنّه قال: «*إنّ رحم آل محمدٍ الأئمة لمعلّقة بالعرش تقول: اللهمّ صِلْ من وصلني، واقطع مَن قطعني، ثمّ هي جارية في أرحام المؤمنين*»، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

---

١ ـ الاحتجاج: ٢/٦٠٢ ضمن ح ٣٦٠، عنه، بحار الأنوار: ٥٣/١٧٧ ح ٨.

٢ ـ أمالي الصدوق: ٦٥ ذيل ح ٣٠، عنه البحار: ٣٨/٩١ ح ٤، مائة منقبة: ٤٦ منقبة: ٢٢.

٣ ـ الكافي: ١/٣٨٩/١.

٤ ـ الكافي: ١/١٩٨، عنه البحار: ٢٥/١٣١.

وَالْأَرْحَامَ﴾[١].

وفي ضوء ما سلف اتّضحت أهمية هذه الوظيفة في عصر الغيبة، وإنّها تساهم في حفظ وحدة المجتمع من ناحية، وترسيخ الولاية والصلة بأهل البيت عليهم السلام من ناحية أُخرى، ولا يخفى ما تترتّب على هذه الثمرات من آثار على الفرد والمجتمع.

ج ـ الحثّ على التراحم والتعاطف والتزاور:

تنبثق أهمية هذا السلوك نتيجة تركيز وتأكيد أهل البيت عليهم السلام على ضرورة التحلّي به، ولذا نجد حشداً واسعاً من رواياتهم عليهم السلام يحثّ شيعتهم ومواليهم على الالتزام به وجعله منهجاً في حركتهم وسلوكهم.

فعن جابر الجعفي قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ونحن جماعة بعد ما قضينا نسكنا، فودّعناه وقلنا له: أوصنا يابن رسول الله فقال عليه السلام: «*ليعن قويّكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا وما جاءكم عنّا...*»[٢].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*يحق على المسلمين الإجتهاد في التواصل والتعاون والتعاطف والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزّوجل رحماء بينهم متراحمين، مغتمين لما غاب عنهم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله*»[٣].

---

١ ـ الكافي: ٢/١٥١ ح٧، والآية: ١ في سورة النساء.

٢ ـ أمالي الطوسي: ٢٣٢ ح ٤١٠، عنه بحار الأنوار: ٥٢/١٢٢/٥.

٣ ـ الكافي: ٢/١٧٥ ح ٤، عنه الوسائل: ١٢/٢١٥ ح ٢، أبواب العشرة ب ١٢٤.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «*رحم الله امرءاً آلّف بين وليّين لنا، يامعشر المؤمنين، تآلّفوا وتعاطفوا*»[١].

ولهذه الوظيفة تركيز في حفظ وحدة المجتمع، خصوصاً في عصر الغيبة، ولعلّ من أهمها:

١ ـ إنّ تعاون وتراحم أبناء المجتمع فيما بينهم يساهم في تأمين حاجاتهم وتقوية شوكتهم؛ لأنّ ارتباط الطبقات بعضها ببعض في مصالحها وفي نموّها وتطوّرها، يؤمّن الحاجة لبعضها البعض، فالعلاقة بينهم علاقة تكامل وتعاون وليس علاقة صراع وتناحر، قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى مالك الأشتر: «*واعلم أنّ الرّعية طبقات لا يصلحُ بعضها إلّا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض*»[٢].

٢ ـ إنّ هذا السلوك يعتبر العلاج المستطاع لما نشاهده من العلاقات الاجتماعية الممزقة، والحدّ من توسعها وانتشارها.

مضافاً إلى ما لهذه الوظيفة من دور كبير في تهذيب النفوس وتربيتها لاكتساب الملكات الطيبة؛ ليكون الفرد مؤهْلاً لتحمل المسؤولية في اليوم الموعود.

٣ ـ إنّ تعاون المؤمن مع المؤمن من الأمور التي تُدخل السرور فيما بينهم، وهذا بنفسه يُعد إدخالاً للسرور على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، ففي الرواية عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*لا يرى أحدكم إذا أدخل*

---

١ ـ الكافي: ٢/١٧٥ ح٣، عنه الوسائل: ١٢/٢١٦ ح٥، أبواب العشرة ب ١٢٤.

٢ ـ تحف العقول : ١٣١.

على مؤمن سروراً أنّه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول‌الله صلى الله عليه وآله»[١]. وهذا مما يزيد صلة المؤمن بأهل البيت عليهم السلام وولايتهم وتمسكه بهم.

٤ ـ إنّ صلة المؤمن مع أخيه وتعاونه معهم يضطلع بأهمية عالية عند أهل البيت عليهم السلام ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مَن لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي شيعتنا يكتب له ثواب صلتنا، ومَن لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي موالينا يكتب له ثواب زيارتنا»[٢].

٥ ـ إنّ التهاون بهذه الوظيفة يعدّ استخفافاً بأهل البيت عليهم السلام. ففي الرواية عن أبي هارون، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال عليه السلام لنفرٍ عنده، وأنا حاضر: «ما لكم تستخفّون بنا؟»، قال: فقام إليه رجل من خراسان، فقال: معاذ لوجه الله أن نستخفّ بك، أو بشيء من أمرك، فقال عليه السلام: «بلى، إنّك أحد مَن استخفّ بي!»، فقال: معاذ لوجه الله أن استخفّ بك، فقال عليه السلام له: «ويحك! أو لم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قَدَرِ ميلٍ فقد والله أعييت، والله ما رفعت به رأساً، ولقد استخففت به، ومَن استخفّ بمؤمن فبنا استخفّ، وضيّع حرمة الله عزّوجل»[٣].

د ـ المبادرة لقضاء حوائج المؤمنين:

يعتبر هذا السلوك من العناصر الأساسية التي تشدّ أواصر العلاقة بين أبناء المجتمع، فهو من أهمّ العلاجات المجدية والمناهج القويمة لحالات

---

١ ـ الكافي: ٢/١٨٩/٦.

٢ ـ من لايحضره الفقيه: ٢/٧٣/١٧٦٧.

٣ ـ روضة الكافي: ٨/١٠٢/٧٣.

التفكّك والأوضاع القلقة التي يعيشها أبناء المجتمع الشيعي في عصر الغيبة، وهذا واضح لما نشاهده اليوم من حالات الجفاء التي يمكن أن تكون هي الحالة الغالبة على مجتمعنا.

وقد أشارت الروايات لوجود مثل هذه الحالات في عصرنا الراهن، ولو كان ما نلمسه بالوجدان كفاية في إثبات مثل هذا المرض الذي ينخر في جسم المجتمع الشيعي.

ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا: إنّ السبب الرئيسي في تأكيد أهل البيتعليهم السلام على ضرورة السعي في قضاء حوائج المؤمنين هو لشد أواصر العلاقة فيما بينهم، وإنّها من جملة حقوق المؤمن على المؤمن.

ولا يخفى ما في هذا العمل والسلوك من ثواب عظيم، فضلاً عن الآثار الوضعية الدنيوية التي يكون قضاء الحاجة سبباً في وجودها.

فعن أبي جعفرعليه السلام قال: «*إنّ المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتمّ بها قلبه، فيدخله الله بهمّه الجنة*»[1].

وعن أبي عبداللهعليه السلام قال: «*ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلّا ناداه الله تبارك وتعالى: عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة*»[2].

وعن أبي عبداللهعليه السلام قال: «*أي مؤمنٍ سأل أخاه حاجة وهو يقدر على قضائها فردّه عنها سلّط الله عليه شجاعاً في قبره ينهش من أصابعه*»[3].

عن أبي الحسنعليه السلام قال: «*مَن أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنّما هي*

---

١ ـ الكافي: ٢/١٩٦/١٤، عنه وسائل الشيعة : ٣٥٧/١٦، أبواب فعل المعروف، ب ٢٥، ح ٣.

٢ ـ الكافي: ٢/١٩٤/٧، عنه، وسائل الشيعة : ٣٥٨/١٦، أبواب فعل المعروف ب ٢٥ ح ٤.

٣ ـ الكافي: ٢/١٩٣/٥، عنه وسائل الشيعة ٣٥٨/١٦، أبواب فعل المعروف ب ٢٥، ح ٥.

رحمة من الله تعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلّط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له ومعذّباً، فإن عذره الطالب كان أسوأ حالاً»[١].

إذن لا ينبغي التغافل عن هذا السلوك المحبَّب لله ولرسوله ولأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّه من أهم الأُسس الكفيلة بإزالة الرواسب العالقة التي تطرأ على قلوب المؤمنين ـ لاسيّما في هذا العصر ـ وتسدّ منافذ الريب، وبالتالي تجعل من المؤمنين إخوة متحابّين متكاتفين، وهذا بدوره يشكّل عاملاً مهمّاً يؤهّلهم لأن يكونوا بمستوى المسؤولية، ومن ثمّ يساهم في تعجيل يوم الظهور.

هـ ـ الاهتمام بأُمور المسلمين والنصيحة لهم:

كذلك من الركائز الأساسية لحفظ وحدة المجتمع الشيعي والوصول به إلى المجتمع الإنساني الصالح هو الاهتمام بأُمور المسلمين والنصيحة لهم، وبمقدار ما يتّصف المؤمن بهذه الخصال يتعين مركز ذلك الفرد المؤمن في مجتمعه علوّاً وهبوطاً، واستطاعةً وانحرافاً، وهي سرّ نجاحه أو إخفاقه في الحياة، وهي أساس قبوله ورفضه لدى الآخرين. فهذا هو السلوك الذي نبلغ به الغاية إن شاء الله تعالى.

فلابدّ من بثّ روح الإحساس في المجتمع، وتعوّد أفراده على الاهتمام بأُمور المسلمين والنصيحة لهم؛ لأنّ دين الله هو النصيحة، كما

---

١ ـ الكافي: ٢/١٦٦ ح ١٣، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٣٦٠، أبواب فعل المعروف ب ٢٥ ح ٩.

قال رسول الله ﷺ: «*مَن لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم*»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «*الدين النصيحة*»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «*لله ولرسوله، ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين*»[٢].

فالنصيحة هي الإخلاص في التعامل مع المسلمين، وهي أثمن الأشياء؛ لأنّها تشخّص العيوب التي لا يلتفت لها نفس الشخص، فهي توقظ النفس وتُعدّها إعداداً ثابتاً مرناً.

ونشير هنا إلى بعضٍ ممّا حثّ وأكدّه عليه أهل البيت عليهم السلام لأجل الالتزام به:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*يجب للمؤمن على المؤمن أن يناصحه*»[٣].

وقال أبو جعفر عليه السلام لأبي العديس: «*يا صالح، اتَّبِعْ مَن يُبكيك وهو ناصح لك، ولا تتّبع مَن يُضحِكك وهو لك غاشّ، وستردون على الله جميعاً فتعلمون*»[٤].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*أحبُّ إخواني إليَّ مَن أهدى إليَّ عيوبي*»[٥].

وقال عليه السلام: «*لا يستغني المؤمن عن خصلة، وهي الحاجة إلى ثلاث خصال: توفيق من الله عزّوجلّ، وواعظ من نفسه، وقبول مَن ينصحه*»[٦].

ولا يخفى ما لهذه الوظيفة من دور كبير في حفظ وتقوية أواصر

---

١ ـ الكافي: ٢/١٦٤/٤.
٢ ـ أمالي الطوسي: ٨٤/١٢٥، عنه وسائل الشيعة ٣٨٢/١٦، أبواب فعل المعروف، ب ٢٥، ح ٧.
٣ ـ الكافي: ٢/٢٠٨/١، عنه وسائل الشيعة ٣٨١/١٦، أبواب فعل المعروف، ب ٢٥، ح ١.
٤ ـ الكافي: ٢/٦٣٨/٢، عنه وسائل الشيعة: ٢٤/١٢، أبواب أحكام العشرة، ب ١٢، ح ١.
٥ ـ الكافي: ٢/٦٣٩/٥، عنه وسائل الشيعة: ٢٥/١٢، أبواب أحكام العشرة، ب ١٢، ح ٢.
٦ ـ المحاسن: ٢/٤٤٠ ح ٢٥٢٧، عنه وسائل الشيعة: ٢٥/١٢، أبواب أحكام العشرة، ب ١٢، ح ٣.

المحبة والعلاقة بين أفراد المجتمع الشيعي ليكونوا على مستوى الشعور بالمسؤولية لنيل رضا الله عزّوجل ورسوله وأهل بيته الأطهار عليهم أفضل الصلاة والسلام.

و ـ تحجيم الخلافات، والسعي لإصلاح ذات البين:

من الأمور الأساسية في توطيد وتقوية أواصر العلاقة بين أبناء المجتمع الشيعي هو القيام بإصلاح ذات البين بينهم، وإزالة ما يطرأ على العلاقات فيما بينهم من عوائق ومشكلات.

ومن هنا نجد ذلك الزخم الكثير من الروايات في التأكيد على ضرورة إصلاح ذات البين بين شيعتهم وأتباعهم، بالشكل الذي وصلت عملية الإصلاح بين المؤمنين إلى درجة تكون أفضل من عامة الصلاة والصيام.

فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولديه الحسن والحسين عليهما السلام عندما ضربه ابن ملجم: «فإنّي سمعت جَدَّكما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: *صلاحُ ذاتِ البَينِ أفضل من عامّة الصلاة والصيام*»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «*صدقة يحبّها الله: إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقاربٌ بينهم إذا تباعدوا*»[2].

وممّا يكشف عن أهمية إصلاح ذات البين هو أنّ الشارع نفسه رخّص في ارتكاب الكذب إذا كان في مقام الإصلاح، وعدم جواز الصدق في مقام الإفساد بين المؤمنين؛ بالرغم من أنّ الكذب من أعظم

---

١ ـ نهج البلاغة: ٥٨١، القسم الثاني الرقم ٤٧.

٢ ـ الكافي: ٢/٢٠٩/١، عنه وسائل الشيعة: ١٨/٤٣٩، أبواب الصلح، ب ١ ح ٢.

المحرمات، إلّا أنه مع ذلك نجده جائزاً في مقام الإصلاح بين الناس وحلّ خلافاتهم.

فعن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن النبيّ: «*ثلاثة يحسن فيهنّ الكذب: المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك، والإصلاح بين الناس. وثلاثة يقبح فيهن الصدق: النميمة، وإخبارك الرجل عن أهله بما يكره، وتكذيبك الرجل عن الخبر...*»[1].

وعن أبي عبدالله قال: «*الكلام ثلاثة: صدق، وكذب، وإصلاح بين الناس*»، قال: فقيل له: جعلت فداك، ما الإصلاح بين الناس؟ قال: «*تسمع عن الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه، فتقول: سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا، خلاف ما سمعته منه*»[2].

ولا يخفى دور هذا السلوك في عصر الغيبة الذي تكثر فيه الفتن والابتلاءات التي من شأنها أن تُباعد بين الناس، وتقسو قلوبهم، وتمزّق أواصر العلاقة فيما بينهم، لذا ينبغي الالتفات لهذا الأمر جيداً وأن نضعه نصب أعيننا؛ لنكون متوكّلين على الله تعالى مستمدّين العزم من قوّته تعالى.

ولعلّ من أهم ثمرات هذا السلوك (إصلاح ذات البين) في عصر الغيبة: أنّه إذا عمل بهذه الوظيفة فقد تسود علاقات الودّ والمحبّة، ويكثر التزاور والتواصل بين المؤمنين، وهذا بنفسه هو إحياء لأمر أهل البيت

---

١ ـ الخصال: ١/١١٣/٢٠، عنه وسائل الشيعة: ١٢/٢٥٢، أبواب أحكام العشرة، ب١٤١، ح٢.

٢ ـ الكافي: ٢/٣٤١/١٦، عنه وسائل الشيعة: ١٢/٢٥٤، أبواب أحكام العشرة، ب١، ح٦.

وحفظ للدين الذي هو أمانة في أعناقنا.

فعن شعيب العقرقوفي قال: سمعت أبا عبدالله‏ يقول لأصحابه: «اتّقوا الله وكونوا إخوةً بررةً، متحابّين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[١].

ز ـ إحياء أمر أهل البيت من خلال تبادل الزيارات بين المؤمنين:

إنّ التزاور بين المؤمنين لَهوَ من الأُمور المهمة في بناء المجتمع الشيعي وحفظ وحدته؛ لكي يكونوا ذوي عقيدة راسخة لا تتزعزع، مهما واجهوا من المآزق والمضائق في عصر الحيرة والابتلاء هو: التزاور بين المؤمنين.

ومن هنا نجد تأكيد أهل البيت على هذا البعد؛ لما يتضمن من إحياءٍ لأمر أهل البيت وتدارس أُمور الدين والدنيا، فضلاً عمّا له من الآثارالأُخرى دينية وروحية وأخلاقية وكونها من الأسباب المقربة لله تعالى.

عن أبي عبدالله قال: «تزاوروا فإنّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم، وذكراً لأحاديثنا. وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»[٢].

وعن أبي عبدالله قال: «أيّما ثلاثة مؤمنين اجتمعوا عند أخٍ لهم، يأمنون بوائقه ولا يخافون غوائله، ويرجون ما عنده، إن دَعَوا الله أجابهم، وإن سألوه

---

١ ـ الكافي: ٢/١٧٥/١، عنه وسائل الشيعة: ١٢/٢١٥، أبواب أحكام العشرة، ب ١٢٤، ح ١.

٢ ـ الكافي: ٢/١٨٦/٢، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٣٤٦، أبواب فعل المعروف، ب ٢٣، ح ٣.

أعطاهم وإن استزادوا، زادهم وإن سكتوا ابتدأهم»[١].

وعن ميسر، عن أبي جعفر﵇ قال: قال لي «أتخلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم؟»، فقلت: إنّا نخلو ونتحدّث ونقول ما شئنا، فقال: «أما والله لوددت أني معكم في بعض تلك المواطن، أما والله إنّي لأُحبّ ريحكم وأرواحكم، وإنّكم على دين الله ودين ملائكته، فاعينوا بورع واجتهاد»[٢].

وعن معتب مولى أبي عبدالله﵇ قال: سمعته يقول لداود سرحان: «ياداود، أبلغ مواليّ عنّي السلام، وإنّي أقول: رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكروا أمرنا، فإنّ ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلّا باهى الله تعالى بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءَنا، وخير الناس بعدنا مَن ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا»[٣].

وعن خيثمة، عن أبي عبدالله﵇ قال: «أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم أن يعود غنيّهم على فقيرهم، وقويّهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميّتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا»، ثمّ قال: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا»[٤].

إذن من خلال التزاور بين المؤمنين يحصل إحياء لأمر أهل البيت﵈، وهو من أهم مقومات بناء المجتمع الشيعي وحفظ وحدته، مضافاً إلى ما يترتب على التزاور واحياء الأمر من نشر للمعرفة، بل إنّ

---

١ ـ الكافي: ٢/١٧٨/١٤.

٢ ـ الكافي: ٢/١٨٧/٥، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٣٤٧، أبواب فعل المعروف ب٢٣ ح٥.

٣ ـ أمالي الطوسي: ٢٢٤/٣٩٠، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٣٤٨، أبواب فعل المعروف ب٢٣ ح١٠.

٤ ـ الكافي: ٢/١٧٥/٢.

نفس احياء أمرهم عليهم السلام إنّما يتمّ ويتحقّق من خلال نشر علومهم عليهم السلام.

فعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا»، فقال الراوي: وكيف يُحيي أمركم؟ قال: «يتعلّم علومنا وينشرها بين الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا»[1].

ح ـ الامتثال لأوامر المرجعية:

تتمتع العلاقة بين أبناء المجتمع الشيعي مع العلماء والمراجع بأهمية خاصّة، على صعيد حفظ الوحدة الاجتماعية للمجتمع الشيعي، فممّا لاريب فيه أنّ العلاقة بين أبناء المجتمع الشيعي مع المراجع العظام تتصف بصفة الوجوب، ولها ضوابط وحدود تتعلق بالتكاليف الشرعية لكلٍّ من المرجع والإنسان المؤمن، ولا تقتصر على شكلها التقليدي المتمثّل بأخذ الحكم الشرعي فقط، بل نجدها تتمتّع بحالة من الودّ والحبّ والتقديس والاحترام والتعظيم، وهذا ما نلمسه في كلّ تاريخ علمائنا ومراجعنا ـ رضوان الله عليهم ـ مع أبناء المجتمع الشيعي.

وهذا النوع من العلاقة بين أبناء المجتمع الشيعي مع العلماء المراجع لا نجده مع غير عالم الدين، ولعلّ من أهم الأسباب التي تقف وراء تنظيم مثل هذه العلاقة الحميمة هو ما يتّصف به هؤلاء العلماء من حالة الولاء لأهل البيت عليهم السلام، والتضحية من أجل حفظ الدين واستمراره.

إلّا أنّ ممّا يؤسف عليه في عصرنا الحاضر هو وجود حالة من الجفاء والبرود والركود في هذه العلاقة بين أبناء المجتمع والمراجع العظام؛ نتيجة

---

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٢٧٥، ح ٦٩.

لمحاولات الأعداء عزل الأمّة عن قادتها وعلمائها.

وفي غضون هذا الوضع يتحتم علينا لأجل المحافظة على وحدتنا وانسجامنا، ولإجهاض مخطّطات الأعداء الالتفاف حول علمائنا ومراجعنا الصالحين، لأنّهم امتداد لخطّ الإمامة وخطّ أهل البيت عليهم السلام، فهم نوّاب الإمام، كما ورد عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام في التوقيع المعروف: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»[١].

فيجب طاعتهم، حيث إنّ طاعتهم طاعة للإمام صاحب الزمان عليه السلام، وإنّ الردّ عليهم يعتبر ردّاً على الإمام، والرادّ على الإمام رادّ على الله تعالى[٢].

إذن لابدّ علينا من الالتفاف حول علمائنا الصالحين لأجل حفظ وحدتنا وهويتنا، وإلّا فسوف تمزّقنا مخطّطات الأعداء ونكون فريسةً سهلةً لكلّ الدعوات الضالّة.

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «*قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تصلح الإمامة إلّا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك فيه غضبه، وحسن الولاية على مَن يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم*»[٣].

أمّا مَن هم العلماء الذين يجب الالتفاف حولهم، فهذا ما تكفّلت به

---

١ ـ كمال الدين: ٤٨٤/٤، عنه وسائل الشيعة: ٢٧/ ١٤٠، أبواب صفات القاضي، ب ١١، ح ٩.

٢ ـ الكافي: ١/٦٧/ ١٠، وج٧/٤١٢ ح٥، من لا يحضره الفقيه: ٣/٨ ح ٣٢٣٣، التهذيب: ٦/٢١٨ ح٦، وص ٣٠١ ح ٥٢، الاحتجاج: ٢/٢٦١، عنه البحار: ٢/١٠٦.

٣ ـ الكافي: ١/٤٠٧، ح٨.

الكتب الفقهية من الشروط والمواصفات والمسؤوليات.

هذه أهمّ الأُمور التي يجب الاهتمام بها لحفظ وحدة المجتمع الشيعي. وهنالك جملة أُخرى من الوظائف لا تقلّ أهميةً عمّا ذكر تساهم في حفظ وحدة المجتمع الشيعي، منها:

١ ـ حُسن الخلق والتودد إلى الناس:

فلابدّ للمؤمن أن يكون حسن الأخلاق، ليّن الطبع، كما جاء في الحديث: «صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة، ويدخلان الجنّة. والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله، ويدخلان النار»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: صلى الله عليه وآله رجل فقال: يارسول الله *أوصني*، فكان فيما *أوصاه أن قال :ألقِ أخاك بوجه منبسط*»[2].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*البِرّ وحسن الخلق يُعمران الديار، ويَزيدان في الأعمار*»[3].

٢ ـ الإحسان للمؤمنين:

وهو أيضاً من السبل التي تساهم في حفظ وحدة المجتمع وتقوية أواصر العلاقة بين أبنائه وتجعلهم إخوة أشقّاء تجمعهم عقيدة واحدة. وقد كانت حياة أهل البيت عليهم السلام مليئة بالمفردات والشواهد التي تؤكّد اهتمامهم بالإحسان للمؤمنين والتعاطي معهم بالمعروف.

وكذا وردت نصوص كثيرة تحثّ المؤمنين على المبادرة للإحسان

---

١ ـ الكافي: ٢/١٠٣/٥.

٢ ـ الكافي: ٢/١٠٣/٤.

٣ ـ الكافي: ٢/١٠٠/٨.

للمؤمنين وتعاملهم بالمعروف، فعن رسول الله ﷺ قال: «كلّ معروف صدقة»[١].

وعن أبي بصير قال: ذكرنا عند أبي عبدالله عليه السلام الأغنياء من الشيعة فكأنّه كره ما سمع منّا فيهم، فقال: «يا أبا محمد: إذا كان المؤمن غنياً وصولاً رحيماً له معروف إلى أصحابه، أعطاه الله أجر ما ينفق في البرّ مرّتين ضعفين؛ لأنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾»[٢].

وعنه عليه السلام قال: «أيّما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصل ذلك إلى رسول الله ﷺ»[٣].

وتدخل تحت مفهوم الإحسان عدّة مفردات يمكن عدّها مصاديق له، منها:

١ ـ البرّ بالمؤمنين وإدخال السرور عليهم. فعن رسول الله ﷺ قال: «مَن سرّ مؤمناً فقد سرّني ومن سرّني، فقد سرّ الله عزّوجل»[٤].

٢ ـ إقراض المؤمنين، لأجل سدّ حاجاتهم ولحفظ ماء وجه المؤمن، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قال: «الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر

---

١ ـ الكافي: ٤/٢٦/١، عنه وسائل الشيعة: ٢٨٥/١٦ أبواب فعل المعروف، ب١ ح ٢.

٢ ـ علل الشرائع: ٢/٣٠/٧٣، عنه وسائل الشيعة: ٢٨٩/١٦، أبواب فعل المعروف، ب ١، ح ١٣.

٣ ـ ثواب الأعمال: ٢٠٤، عنه وسائل الشيعة: ٢٩٠/١٦، أبواب فعل المعروف، ب١، ح١٥.

٤ ـ الكافي: ١٨٨/٢/١، عنه وسائل الشيعة٣٤٩/١٦، أبواب فعل المعروف، ب ٢٤، ح ١.

وصلة، الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين»[١].

٣ ـ ردّ الإساءة بالإحسان، وهذه لها شواهد كثيرة في حياة أهل البيت عليهم السلام جرّاء تعرّضهم لبعض المضايقات من قبل بعض الجهلة، وهو من أعلى درجات الإحسان، وقد أشار القرآن الكريم إلى مستوى ودرجة هذا الإحسان في وصف بعض المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[٢].

وقد ورد عنهم عليهم السلام روايات عديدة تؤكّد على ضرورة الالتزام بهذا الخلق، فعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأوّلين والآخرين على صعيد واحد، ثمّ ينادي منادٍ: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فتتلقّاهم الملائكة، فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نَصِل مَن قطعنا ونعطي من حَرمنا، ونعفو عمّن ظلمنا، قال: فيُقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة»[٣].

٤ ـ إطعام الطعام وبذله ودعوة الناس إليه، وقد وردت روايات عديدة عن أهل البيت عليهم السلام في فضل هذا العمل وأهميته.

فعن أبي عبدالله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الرزق أسرع إلى مَن يطعم الطعام من السكّين في السنام»[٤].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من المنجيات: إطعام الطعام، وإفشاء السلام،

---

١ ـ الكافي: ٤/١٠/٣، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٣١٩، أبواب فعل المعروف، ب ١١، ح ٥.

٢ ـ الرعد: ٢١.

٣ ـ الكافي: ٢/١٠٨/٤، عنه وسائل الشيعة: ١٢/١٧٣، أبواب أحكام العشرة، ب ١١٣، ح ٢.

٤ ـ الكافي: ٤/٥١/١٠، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٣٢١، أبواب فعل المعروف، ب ١٦، ح ٨.

والصلاة بالليل والناس نيام»[١].

٥ ـ التنازل عن الحقوق المستحقّة، من قبيل: العفو والصفح والمغفرة للمسيء؛ خصوصاً عند القدرة على العقاب وأخذ الحق، وقبول عذر المعتذر، وتحليل الميّت والحي من الدين، وانتظار المعسر وإبرأه، وقد ورد حثّ من قبل القرآن الكريم على التحلّي بهذا الخلق، مضافاً إلى ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام أيضاً.

قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: *«عليكم بالعفو فإنّ العفو لا يزيد العبد إلّا عزّاً، فتعافوا يعزّكم الله»*[٣].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لولده محمد بن الحنفية، قال: *«لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، لعلّ له عذراً وأنت تلوم به، اقبَل من متنصلٍ عذراً، صادقاً كان أو كاذباً فتنالك الشفاعة»*[٤].

وعن الحسن بن خنيس قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ لعبدالرحمن بن سيابة ديناً على رجل قد مات، وكلّمناه أن يحلّله فأبى، فقال: *«ويحه! أما يعلم أنّ له بكل درهم عشرة إذا حلّله، فإذا لم يحلّله فإنّما له درهم بدل*

١ ـ الكافي: ٥/٥١/٤، عنه وسائل الشيعة: ٣٣٠/١٦، أبواب فعل المعروف، ب١٦، ح٥.

٢ ـ الشورى: ٤٠.

٣ ـ الكافي: ٥/١٠٨/٢، عنه وسائل الشيعة: ١٧٠/١٢، أبواب أحكام العشرة، ب١١٢، ح٢.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ٥٨٣٤/٣٩١/٤، عنه وسائل الشيعة: ٢١٧/١٢، أبواب أحكام العشرة، ب١٢٥، ح٢.

درهم»[١].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيُّها الناس، ليبلّغ الشاهد منكم الغائب، ألا ومَن أنظر معسراً كان له على الله عزّوجلّ في كلّ يوم صدقة بمثل ما له حتى يستوفيه»، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، إنّه معسر فتصدّقوا عليه بما لكم عليه فهو خير لكم»[٣].

ولا يخفى أنّ انعكاسات ومعطيات هذه الأُمور ودورها في الحياة الاجتماعية أكثر إشباعاً لكلّ الطموحات التي اتّجهت نحو تحقيق هذا الهدف، وهو وحدة المجتمع الإسلامي الشيعي.

وفي هذا المسار جاءت بيانات أهل البيت عليهم السلام مشفوعة بتحديد وبيان معالم هذه الوظائف الاجتماعية بصورة تفصيلية دقيقة، مما يؤكّد أهمية هذه الوظائف وضرورة التحلي بها، لا سيّما في هذا العصر الذي نحن بأمسّ الحاجة فيه للاتصاف بمثل هذه الأخلاق الفاضلة التي رسمها لنا أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

هذا العصر الذي عُطّلت فيه الحدود وذلّ فيه المؤمنون وأمر بالمنكر ونُهي عن المعروف، وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابّوا على الكذب، وغار الصِدق، وفاض الكذب، واستعملت المودّة باللسان، وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً،

---

١ ـ الكافي: ٤/٣٦/١، عنه وسائل الشيعة ١٦/٣٢١، أبواب فعل المعروف، ب ١٣، ح ١.

٢ ـ البقرة: ٢٨٠.

٣ ـ الكافي: ٤/٣٥/٤، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٣٢٠، أبواب فعل المعروف، ب ١٢، ح ٤.

ولبس الإسلام لبس الفر ومقلوباً...»[١].

إذن ينبغي علينا أن نتكاتف فيما بيننا لإصلاح مجتمعنا والحفاظ على وحدته؛ لكي نكون قادرين على الصمود مواجهة الأعداء. فما علينا إلّا أن نعدّ القوّة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَااَستَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ...﴾[٢] وما هو السبيل لذلك إلّا بالالتزام بما أمرنا به ديننا وأهل بيت النبوّة الذين شخّصوا لنا هذا العلاج المجدي؛ لكي نكون مرضِيِّين عند ربّنا وعند إمام زماننا، وأن نكون في مستوى تحمّل المسؤولية، وعلى أُهبة الاستعداد لليوم الذي أوعدنا به الله عزّوجل بظهور إمامنا لنشر العدل وقمع الظلم والظالمين.

وممّا ينبغي الإشارة الى وجود وظائف أُخرى مهمة لها دور أيضاً في حفظ الإلفة والوحدة الاجتماعية للشيعة، نكتفي بالإشارة المفهمة السريعة لها، وعدم التعرّض إلى تفاصيلها؛ مراعاةً للإختصار، من قبيل: الالتزام بأداء الواجبات والابتعاد عن المحرّمات والإرتباط بالله تعالى، والتوكّل عليه عزّوجلّ، وحسن الظنّ به، والخوف والرجاء منه تعالى.

فعن أبي جعفر قال: «وَجَدنا في كتاب عليٍّ أنّ رسول الله قال على منبره: *«والذي لا إله إلّا هو ما أُعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله، ورجائه له، وحسن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمنين. والذي لا إله إلّا هو لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلّا بسوء ظنّه بالله وتقصير من رجائه له، وسوء خلقه، واغتياب المؤمنين. والذي لا إله إلّا هو لا يحسن ظنّ*

---

١ ـ شرح نهج البلاغة: ٧/ ١٣٠.

٢ ـ الانفال: ٦٠.

عبدٍ مؤمن بالله إلّا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن؛ لأنّ الله كريم بيده الخير يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ ثمّ يخلف ظنّه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه»(١).

وعن الإمام الصادقؑ قال: «كان فيما أوصى به لقمان لابنه أن قال: يابُنيَّ، خِفِ الله خوفاً لو جئته ببرّ الثقلين خِفت أن يعذبك الله، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر الله لك»(٢).

وكذلك من الصفات والمميزات التي لها دور في حفظ الإلفة والمحبّة والوحدة الاجتماعية لأبناء المجتمع الشيعي: أن يكونوا على درجة عالية من التواضع والعفّة والحلم والعفو والرفق وكظم الغيظ والصبر والزهد والقناعة والورع عن المحارم والحياء والصدق وأداء الأمانة والاستقامة، إلى غيرها من الصفات التي لها آثار مهمة وكبيرة على المجتمع وحفظ إلفته ووحدته.

فعن الإمام الصادقؑ قال: «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكّون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كلّ محرّم»(٣).

---

١ ـ الكافي: ٢/٧٢/٢، عنه وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٢٠، أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ب١٦، ح٣.

٢ ـ أمالي الصدوق: ٧٦٦/ ١٠٣١، عنه وسائل الشيعة: ١٥/ ٢١٧، أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ب١٣، ح٦.

٣ ـ صفات الشيعة: ١٦٣، عنه، بحار الأنوار: ٦٥/ ١٦٧/ ٢٣.

الإجراءات الوقائية لحفظ الالفة والوحدة الاجتماعية:

هنالك مجموعة من الإجراءات والتدابير الوقائية ينبغي الالتفات إليها؛ لأنّها لو تركت سوف تمزّق الإلفة والمحبة والوحدة الاجتماعية للمجتمع، لاسيّما في عصر الغيبة الذي تتضاعف فيه المشكلات والفتن؛ لأنّه عصر التمحيص والبلاء؛ ولذا لابدّ من الوقوف بوجه هذه المخاطر واستقبالها بوجه مشرق وبروح مطمئنّة هادئة وفق المنهج القويم الذي رسمه لنا أهل البيت عليهم السلام؛ لعلاج هذه الأمراض التي تفتك بالمجتمع، لذا لابدّ من الابتعاد عنها والحدّ من تأثيراتها، وسوف نشير إلى جملةٍ منها بنحو الاختصار مُراعاةً لعدم الإطالة:

١ ـ الغيبة والبهت: قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مَن روى على مؤمن رواية يريد بها شَينه وهدم مروءته، ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله عزّوجل من ولايته إلى ولاية الشيطان»[٢].

ولا يخفى أثرها على المجتمع، لأنّها تفكك العلاقات بين أبناء المجتمع، وتبذر سموم الفِرقة والبغض في صفوف المؤمنين، وتعكّر جوّ المحبّة؛ لأنّه باغتياب المؤمن يعني أنّ المُغتاب يريد عزل هذا المؤمن من

---

١ ـ الحجرات: ١٢.

٢ ـ الكافي: ٢/٣٥٨/١، عنه بحار الأنوار: ٧٢/١٦٨/٤٠.

المجتمع وابتعاده عنه، هذا مضافاً إلى ما لها من الآثار والمساوئ الروحية والوضعية.

٢ ـ السباب: عن رسول الله ﷺ قال: «*لا تسبّوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم*»[1].

٣ ـ خُلف الوعد: عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «*عِدَة المؤمن أخاهُ نَذْرٌ لا كفارة له، فمن أخلف فبخُلف الله بدأ، ولمِقته تعرّض، وذلك قوله تعالى:* ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[2]»[3].

٤ ـ الكذب: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[4]، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله عزّوجل جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب»[5].

٥ ـ الحسد: وهو من أبشع الرذائل، وأسوأ الانحرافات الخلقية، ويكفي فيه أنّ الله تعالى أمر بالاستعاذة من الحاسد بعد الاستعاذة من شرّ ما خلق، حيث قال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[6].

وقال رسول الله ﷺ ذات يومٍ لأصحابه: «*ألا إنه قد دبَّ إليكم داء*

---

١ ـ الكافي: ٢/٣٦٠/٣.

٢ ـ الصف: ٢ ـ ٣.

٣ ـ الكافي: ٢/٣٦٣/١.

٤ ـ النحل: ١٠٥.

٥ ـ الكافي: ٢/٣٣٨/٣.

٦ ـ الفلق: ٥.

الأُمم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر، لكنّه حالق الدين»[١].

٦ ـ الحَمية والعصبية: حيث نهى الشارع ـ في العلاقات الاجتماعية ـ عن التأثّر بالعصبية لغير الحقّ.

فعن الإمام الصادق عليه السلام، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «*مَن تعصّب أو تُعصِّبَ له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه*»[٢].

٧ ـ المِراء والخصومة ومعاداة الرجال: فقد نهى الشارع عنها؛ لأنّها تُثير الشحناء والتباغض، وتُفسد العلاقات الاجتماعية.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «*ما كاد جبرائيل يأتيني إلّا قال: يامحمد اتّقِ شحناء الرجال وعداواتهم*»[٣].

٨ ـ الغضب: كذلك حذّر الشارع المقدّس وأهل البيت عليهم السلام من الغضب؛ وما يترتّب عليه من آثار سيئة على العلاقات الاجتماعية.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «*الحِدّة ضرب من الجنون؛ لأنّ صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم*»[٤].

٩ ـ حبّ الرئاسة: كما حذّر أهل البيت عليهم السلام من هذا الاتجاه؛ لأنّه يمثّل انعكاساً لهوى الإنسان وأحاسيسه، لما لها من آثار سلبية على المجتمع، لا سيّما مع عدم الوثوق بالعدل بين الناس.

وعن عبدالله بن مسكان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «*إيّاكم*

---

١ ـ أمالي المفيد: ٣٤٤ ح٨، وأمالي الطوسي: ١١٧ ح١٨٢، عنهما البحار: ٧٠/٢٥٣ ح٢٠.

٢ ـ الكافي: ٢/٣٠٨ ح٢.

٣ ـ الكافي: ٢/٣٠١/٥، عنه وسائل الشيعة: ١٢/٢٣٨، أبواب أحكام العشرة، ب١٣٦، ح١.

٤ ـ نهج البلاغة: ٧٠٥ ح٢٥٥، عنه البحار: ٧٠/٢٦٦ ح٢٠.

وهؤلاء *الرؤساء الذين* يترأّسون، فوالله ما خفقت *النعال* خلف *الرجل إلّا* هلك وأهلك»[١].

١٠ ـ المكر والخديعة والغدر: كما حذّر أهل البيت عليهم السلام من المكر والخديعة والغدر بين المسلمين؛ لما له الأثر السيّئ في تفكّك العلاقات الاجتماعية وإثارة الشحناء والبغضاء بينهم.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب على المنبر بالكوفة: «*ياأيّها الناس، لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس، ألا إنّ لكل غدرةٍ فجرةً، ولكلّ فجرةٍ كَفرةً، ألا وإنّ الغدر والفجور والخيانة في النار*»[٢].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*قال رسول الله* صلى الله عليه وآله: *ليس منّا مَن ماكر مسلماً*»[٣].

١١ ـ الطمع والكسل والسفه: كذلك حذّر أهل البيت عليهم السلام من الطمع والكسل والسفه؛ لما فيه من الآثار السيّئة على المجتمع، لأنّه يضيّع حقوق الآخرين، أو يوقع الإنسان المؤمن ذليلاً في المجتمع، وهذا بدوره يساهم في عزله عن المجتمع وإفساد علاقة الجميع به.

فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «*بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذلّه*»[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «*رأيت الخير كلّه قد اجتمع في قَطع الطمع*

---

١ ـ الكافي: ٢/١٩٧ ح ٢، عنه وسائل الشيعة: ١٥/٣٥١، أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ب ٥٠، ح ٥.

٢ ـ الكافي: ٢/٣٣٨/٦، باب المكر والغدر والخديعة.

٣ ـ الكافي: ٢/٣٣٧/٣.

٤ ـ الكافي: ٢/٣٢٠/٢، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٢٤، أبواب جهاد النفس، ب ٦٧، ح ٢.

عمّا في *أيدي الناس*»(١).

وفي ذمّ الكسل، فقد ورد عن النبيﷺ في وصيته لعليﷺ: «*وإن كسلت لم تؤدِّ حقاً*»(٢).

وكذا قولهﷺ: «*لأنّه إذا كسل فقد ضيّع الحقوق*»(٣).

وقد ورد عن الإمام الصادقﷺ ـ في ذمّه للسفه ـ قوله: «*إنّ السفه خلق لئيم، يستطيل على مَن هو دونه، ويخضع لمن هو فوقه*»(٤).

وكذا ورد عنهﷺ قوله: «*إنّ أبغض خلق الله عبدٌ اتّقى الناس لسانه*».

وكذا قولهﷺ: «*مَن كافأ السفيه بالسفه فقد رضي بما أتى إليه، حيث احتذى مثاله*»(٥).

مضافاً إلى وجود صفات أُخرى ينبغي الاجتناب عنها، كسوء الظنّ، وسوء الخلق وغيرها.

ولا يخفى أثر ودور هذه الإجراءات الوقائية للتخلّص من هذه الأمراض التي تؤدي إلى فصم الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع، وتبعثر طاقاته، وتفرّق شملهم، وتوهن أواصر الإخاء بينهم، فيصبحوا بالتالي مثالاً للتخلّف والهوان والعنف.

ولا يخفى أيضاً أنّ أهمية التجنب عن هذه الأمراض ـ التي تُثير

---

١ ـ الكافي: ٢/١٤٨/٣، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٢٤، أبواب جهاد النفس، ب٦٧، ح٣.
٢ ـ الكافي: ٢/٨٥/٥، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٢٢، أبواب جهاد النفس، ب٦٦، ح٢.
٣ ـ علل الشرائع: ٢/٢١١/١، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٢٣ أبواب جهاد النفس، ب٦٦، ح٣.
٤ ـ الكافي: ٢/٣٢٢/١.
٥ ـ الكافي: ٢/٣٢٢/٢.

الأحقاد والضغائن بين المؤمنين ـ تكون مضاعفة في هذا العصر الذي نرى ما نرى فيه من المصائب والويلات التي حلّت في ديار الإسلام؛ من جفاء الإخوان، وعقوق الوالدين، وهجر الدين، وكثرة التباغض بين المؤمنين.

وينبغي أن يعلم أن التمحيص والبلاء من حكمة الله تعالى، لأنّه من خلال ذلك سيظهر المخلصون الذين ينصرون إمامنا صاحب الزمان ﷺ، وعليه فينبغي علينا أن نتكاتف ونتعاون على بناء مجتمعنا وإصلاحه بعد إصلاح أنفسنا؛ لكي نكون أقوياء الإرادة والعزم على مواجهة كلّ المخاطر، ونكون مؤهّلين لنصرة إمامنا صاحب الأمر ﷺ.

ثانياً ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تعتبر وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمّ التكاليف الإلهية، التي لها تداعيات وآثار اجتماعية عظيمة، [وقد عدّها الله سبحانه من مشخصات هذا الدين وأسسه التي بُني عليها، ﴿قُلْ هذِهِ سَبِيلي أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[1]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ﴾[2]... فعلى المؤمن أن يدعو الله على بصيرة وأن يأمر بالمعرف وينهى عن المنكر على سبيل أداء الفرائض الإلهية....

وعلى هذا الأساس نجد أنّ أهل البيت ﷺ قد أكّدوا على هذه الوظيفة العظيمة من خلال توجيه شيعتهم وأتباعهم، وضرورة الالتزام بها.

---

١ ـ يوسف: ١٠٨.

٢ ـ آل عمران: ١١٠.

ولذا نجد أنّ أهم شعار من شعارات ثورة الإمام الحسينعليه السلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قالعليه السلام في خروجه متوجّهاً الى العراق: «*إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي محمد*صلى الله عليه وآله، *أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...*»[١].

وقد ذكر الفقهاء ـ رضوان الله عليهم ـ شروطاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أهمّها: معرفة المعروف والمنكر، واحتمال التأثير، وأن لايكون الفاعل مصرّاً على ترك المعروف، وارتكاب المنكر، وأن لا يلزم العزّ في النفس والمال وفي العرض على الآمر وعلى غيره من المسلمين[٢].

إذن فوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي، ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية.

دور وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عصر الغيبة:

لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دور أساسي في عصر الغيبة، الذي تكثر فيه الفتن وادّعاءات الضلال والفساد في المجتمع، وعلى هذا الأساس تنبثق أهمية هذه الوظيفة باعتبارها علاجاً مجدياً لتلك الأمراض المتفشية في المجتمع، ويمكن الإشارة إلى أهم آثار هذه

---

١ ـ البحار: ٣٢٩/٤٤، وعوالم العلوم: ١٧٩/١٧، المجالس السنيّة: ٥٧/١.

٢ ـ راجع منهاج الصالحين للسيد الخوئيقدس سره: ٣٥١/١.

الوظيفة من خلال النقاط التالية:

١ ـ من خلال وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمكن حفظ المجتمع من الإنحراف والسقوط في الظلال، أما إذا تركت هذه الوظيفة فيبدأ المجتمع بالانحدار حتى ينتهي حال يُغزى وهو في عقر داره ويكون فريسة سهلة لكلّ طامع وغاصب، كما ورد عنه الإمام الرضاؑ أنّه قال: «*لَتَأمُرنّ بالمعروف ولَتَنهُنَّ عن المنكر، أو ليستعلمنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم*»[1].

٢ ـ من خلال وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكتمل النفوس وتهذيبها؛ لأنّه من خلال ممارسة هذه الوظيفة تتزيّن النفس بالفضائل والكمالات، وتكون ملكة راسخة في شخصية ونفس المؤمن وهذا بدوره ساهم في حصول درجات أعلى من الإخلاص من خلال التجارب والثبات والصبر على الابتلاء وبذلك يكون المؤمن والمجتمع مهيئاً للمشاركة في مسؤوليات اليوم الموعود، فضلاً عن مساهمته في تعجيل الظهور.

٣ ـ تساهم هذه الوظيفة العظيمة على تقوية أواصر العلاقة بين أفراد المجتمع الشيعي.

٤ ـ إنّ الإخلال بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُخلّ النظام في المجتمع ويصل إلى درجة أنّه يُرى المعروف منكراً والمُنكر معروفاً.

---

١ ـ الكافي: ٥/٥٦/٣، عنه وسائل الشيعة: ١٦/١١٨، أبواب الأمر والنهي، ب ١، ح ٤.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ قال: «*كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟!*»، فقيل له: ويكون ذلك يارسول الله؟ قال ﷺ: «*نعم، فقال: كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟*»، فقيل له: يارسول الله ويكون ذلك؟ فقال: «*نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً*»[١].

٥ ـ بالعمل بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُنال الثواب العظيم والرضوان الإلهي، ويتحقق رضا رسوله الكريم ﷺ وأهل بيته ﷺ.

٦ ـ من خلال العمل بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتّضح ملامح الظلم بشكل أوسع، ومن ثمّ يتم تناقله بين أفراد المجتمع، ومِن ثمّ يحصل اليقين والقطع لدى كلّ أبناء المجتمع بزيفِ مُدّعِ العدل وكفّ فضائحهم، ويحصل اعتقاد لدى المجتمع بأنّ العدل لا يتحقق إلّا بقيادة الإمام المهدي ﷺ.

إذن فوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم وأهم الواجبات الاجتماعية في عصر الغيبة، ولا غرابة في ذلك بعد اتّضاح كونها من وظائف الأنبياء والصالحين.

فعن الإمام الباقر ﷺ قال: «*إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض، وتؤمّن المذاهب، وتُحلّ المكاسب، وتُرد المظالم، وتعمّر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم*

---

١ ـ تحف العقول: ٤٩، عنه بحار الأنوار: ٧٤/١٥٣ ح ١٢١.

الأمر»[١].

فلا ينبغي لنا ترك هذه الوظيفة في الوقت الذي نحن فيه بأمسّ الحاجة لذلك، فلنتعاون ونتعاضد ونبدأ من إصلاح أنفسنا، ثمّ عوائلنا وأبنائنا الذين هم أمانة في أعناقنا، فلا نتغافل عنهم ليقعوا لقمة سائغة بيد أُولئك الظالمين الذين يتربّصون بنا الدوائر.

ولا يخفى أنّ هذه الوظيفة لا يمكن أن تتحقق في المجتمع وتؤتي ثمارها من دون تعاون وتعاضد، ولعلّه من هنا أمر القرآن الكريم بأن تكون أُمة قائمة بهذا العمل، وحيث إنّ الأُمّة معناها الجماعة لذا لا يمكن ترك المتصدّي وحده وسط هذه الغابة من المصاعب والمفاسد.

فليضع أحدنا يده بيد الآخر لبناء مجتمعنا والمحافظة عليه من شياطين الجنّ والإنس؛ لنكون مؤدّين لمسؤوليتنا ووظيفتنا أمام الله سبحانه وتعالى، مناصرين وعاملين على خطّ إمامنا صاحب الأمر والزمان الذي يطّلع علينا في كلّ شاردة وواردة قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[٢].

* * *

١ ـ الكافي: ٥/٥٥ ضمن ح ١، عنه وسائل الشيعة: ١٦/١١٩، أبواب الأمر والنهي، ب ١، ح ٦.
٢ ـ الأنعام: ١٥٣.

الفصل السادس

واجباتنا في الجانب السياسي

لا يخفى أنّ الإسلام نظام متكامل شامل لكلّ مناحي الحياة، وأولى عناية كبيرة بشؤون الفرد والمجتمع في شتى المجالات كالاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها.

وعلى هذا الأساس تنبثق مجموعة من الواجبات والوظائف تقع على عاتق الفرد المؤمن.

وتتجلّى أهمية هذه الوظائف والواجبات في عصر الغيبة؛ لما يكتنفه من أنواع الفتن والمصاعب، ونشير إلى أهم هذه الوظائف من خلال ما يلي:

١ ـ الوعي السياسي:

إنّ البلاد الإسلامية كانت ولا تزال هدفاً أساسياً من قبل الأعداء، حيث نجدهم يستخدمون أحدث الأجهزة وأعقدها، لأجل خلق الأجواء الفكرية والسياسية المناسبة لهم لأجل نفث سموم الفرقة بين أبناء مجتمعنا وتفتيت وحدته، وانتهاك حرمته، وسلب الثقة من نفوس أبنائه.

وعلى هذا الأساس يتضح دور وأهمية الوعي السياسي لأبناء

مجتمعنا والوقوف على مخططات الأعداء؛ لكي نتمكّن من تطويق محاولاته الرامية للقضاء علىمعتقداتنا وهويتنا. فلابدّ من العمل لاشاعة ونشر الوعي في صفوف أُمتنا.

أهمّية الوعي السياسي في عصر الغيبة:

١ ـ يساهم الوعي السياسي في المحافظة على الدين الإسلامي والوحدة الاجتماعية لأبنائه، من خلال دحض مخططات الأعداء بعد معرفتها.

٢ ـ من خلال الوعي السياسي يطّلع المؤمن على حجم الظلم والدمار الذي يرتكبه أعداء الإسلام ومدّعو الديمقراطية، وهذا بدوره يساهم في حصول اليأس من كل الأُطروحات المزيّفة لإقامة العدل، وبذلك يحصل اليقين بعدم حصول العدل إلّا على يد الإمام صاحب الزمان عليه السلام، وهذا ما يساهم في تعجيل يوم الظهور.

٣ ـ من خلال الوعي السياسي وفهم مخططات الأعداء الرامية إلى تدجين المسلمين وسلب حقوقهم، وكذا الاطّلاع على حجم الدمار والظلم للمستضعفين في العالم، كل هذا يساهم في تأجيج الروح الثورية لدى المؤمنين للثأر للمظلومين، وهذا بدوره أيضاً يساهم في إعداد المؤمنين وتهيئتهم للمشاركة في تحمّل مسؤوليات اليوم الموعود.

فإنّ مخالب الاستعمار امتدّت طويلاً في هذه الأيام، لتصل إلى أعماق البلاد الإسلامية، وعَبّأ فيها جميع قواه وإمكاناته، بهدف خلق التفرقة والفتنة في صفوف المسلمين... فالاستعمار يسعى بكافة الوسائل لديه من أجل الحيلولة دون التمسك بالعمل والتعاليم الإسلامية وإبعاد الثقافة القرآنية عن الواقع الحياتي للمجتمع الإسلامي؛ وذلك عن طريق رفع الشعارات المزيّفة البراقة.

وما أروع ما يرشدنا إلى ضرورة دراسة حالات العدوّ وخصائصه

النفسية، وكذا ضرورة أن تكون لدينا القدرة على التنبّؤ بما يمكن أن يخطّط له العدوّ؛ حتى لا تتحول إلى مفاجأة يُتعامل معها من موقع العفوية والارتجال، هو قول أمير المؤمنين عليه السلام: «*إنّي رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً فكمنت له، وقلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل فيطلب منّا غرّةً*»(١).

٢ ـ رفض موالاة الأعداء:

إنّ رفض موالاة الظالمين ورفض التعاون معهم من الأُمور التي شدّد علىحرمتها القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، حيث أكدوا عليهم السلام على أنّ الدخول في ولاية الظالم يمثّل لوناً من ألوان الركون إليه، فيكون مشمولاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾(٢). وعلى هذا الأساس حرّم فقهاؤنا ـ رضوان الله عليهم ـ ولاية الظالم والتعاون معه؛ لأنّ ذلك يعني الركون إليهم والاطمئنان إليهم، والاستسلام لحكمهم وطريقة تحقيق أهدافهم.

وربّما نجد في أحاديث وروايات أهل البيت عليهم السلام رفض الارتباط بالظالم حتى في الأُمور الغير محرمة.

فقد ورد: عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «*إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين أعوان الظلمة، ومَن لاق لهم دواة، أو ربط لهم كيساً، أو مدّ لهم مدّة قلمٍ فاحشروه معهم*»(٣).

وربّما يستفاد من ذلك أنّ المطلوب شرعاً مقاطعة الظالم والوقوف منه موقفاً سلبياً؛ لأن أيّ موقف إيجابي يمثّل لوناً من ألوان تقوية كيانه وتأكيده، بخلاف مقاطعته فإنه يفقد بها الأعوان مما يؤدي إلى سقوطه في

---

١ ـ ارشاد المفيد: ١/٩٣، عنه البحار: ٢٠/١٧٢ ح٦.

٢ ـ هود: ١١٣.

٣ ـ عقاب الأعمال: ٣٠٧، عنه وسائل الشيعة: ١٧/١٨١، أبواب ما يكتسب به، ب ٤٢، ح ١١.

النهاية، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «*لولا بني أُمية وجدوا لهم مَن يكتب، ويجبي لهم الفيء، ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم لَما سلبونا حقّنا*»[١].

بل قد نجد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما قد يستفاد منه أنّ المطلوب أيضاً الرفض النفسي الداخلي، كما في رواية صفوان الجمال، قوله: «دخلت على أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام فقال لي: «*ياصفوان، كلّ شيءٍ منك حسن جميل، ما خلا شيئاً واحداً*»، فقلت: جعلت فداك، وأيّ شيءٍ؟ قال: «*إكرائك جمالك من هذا الرجل*»، يعني هارون الرشيد، قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيدٍ ولا لهو، ولكن أكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكة ـ ولا أتولّاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني، فقال لي: «*ياصفوان، أيقع كراؤك عليهم؟*»، قلت: نعم، جعلت فداك، قال: «*أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟*»، قلت: نعم، قال: «*مَن أحبَّ بقاءهم فهو منهم، ومَن كان منهم كان وروده إلى النار*»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «... *وذلك أنّ في ولاية الوالي الجائر دروس الحقّ كلّه، وإحياء الباطل كلّه، وإظهار الظلم والجور والفساد وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم المساجد، وتبديل سنّة الله وشرائعه، فلذلك حُرِّم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم إلّا بجهة الضرورة*»[٣].

* * *

١ ـ الكافي: ٥/١٠٦/٤، عنه وسائل الشيعة: ١٧/١٩٩، أبواب ما يكتسب به، ب ٤٧، ح ١.
٢ ـ رجال الكشّي: ٤٩٨/٨٢٨، عنه وسائل الشيعة: ١٧/١٨٢، أبواب ما يكتسب به ب ٤٢، ح ١٧.
٣ ـ تحف العقول: ٣٣٢.

الفصل السابع

واجباتنا في المجال الأمني

وفي مجال أمن المجتمع الشيعي والمحافظة عليه توجد عدّة آليات وإجراءات أمنية، تكون كفيلة بحفظ الأمن للمجتمع الشيعي واستمراره. وفي هذا المجال نتعرّض ـ اجمالاً ـ لأهمّ الإجراءات التي وضعتها الشريعة الإسلامية والتي ركّز عليها أهل البيت‌عليهم السلام، التي لها دور كبير في حفظ المجتمع الشيعي لا سيما في عصر الغيبة، منها:

١ ـ الجهاد:

الجهاد في سبيل الله تعالى من أهم الواجبات والعبادات، حيث تحدّث عنها القرآن الكريم في مواضع متعدّدة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ

خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١]، وقوله: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ۞ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيماً﴾[٢]. وغيرها من الآيات الأُخرى[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «*أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصّة أوليائه ـ إلى أن قال ـ: هو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلّ وشمله البلاء...*»[٤].

وفي رواية أُخرى عن منصور بن حازم قال: ـ قلت لأبي عبدالله عليه السلام ـ أي الأعمال أفضل؟ قال: «*الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله*»[٥]. إلى غيرها من الروايات المتظافرة الواردة في فضل الجهاد والحثّ عليه.

والجهاد له مفهوم واسع في القرآن الكريم، حيث إنّه مأخوذ من الجُهد وهو الوسع والطاعة، فيكون الجهاد هو بذل الوسع والطاقة في سبيل نشر الإسلام والدفاع عنه، فإنّ كلّ ما يتحمّله الإنسان من عناءٍ وتعبٍ وينويه خالصاً في سبيل الله يكون جهاداً، سواء كان ذلك نفسياً أو بدنياً، أو في التبليغ للإسلام، أو بذل المال، وطلب العلم أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوها، فضلاً عن بذل النفس والقتال في سبيل الله.

---

١ ـ الصفّ: ١٠ ـ ١١.

٢ ـ النساء: ٩٥ ـ ٩٦.

٣ ـ راجع سور: الحج: ٧٨، البقرة: ٢١٦، النساء: ٧٥، الحج: ٣٩ ـ ٤٠، البقرة: ١٩٠، ١٩٤، ٢١٤، التوبة: ٢١ ـ ٢٢، ١٢٠ ـ ١٢١ وغيرها.

٤ ـ الكافي: ٥/٤/٦، عنه وسائل الشيعة: ١٥/١٤، أبواب جهاد العدو وما يناسبه، ب١، ح١٣.

٥ ـ المحاسن: ١/٤٥٥/٤٥١، عنه وسائل الشيعة: ١٥/١٩، أبواب جهاد العدو وما يناسبه، ب١، ح٢٨.

إلّا أنّ الجهاد في الاصطلاح الفقهي يطلق على خصوص القتال في سبيل الله، من خلال استخدام السلاح والتعرّض إلى القتل، وله أحكام خاصة عرضها لها الفقهاء في كتبهم الفقهية، لا يسعنا التعرّض لذكرها في المقام.

إلّا أنّ ما نتوخّاه في المقام هو الإشارة إلى أنّ هذه الوظيفة الربّانية المهمة لها الأثر والدور الكبير في حفظ المجتمع الشيعي في عصر الغيبة؛ لأنّ من موارد الجهاد المهمة ـ كما ذكرها الفقهاء رضوان الله عليهم ـ هي الدفاع عن الدين وبيضة الإسلام حال تعرضهما للخطر، سواء من قبل الكفّار، أو المرتدّين من أبناء الإسلام.

وهذا المورد من الجهاد حقّ من الحقوق الإنسانية، كما قاله العلّامة الطباطبائي في تفسيره «الميزان» في مقام حفظ الدين: (فإقامته ـ أي الدين ـ والتحفّظ عليه من أهم الحقوق الإنسانية المشروعة، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]، فسمّى الجهاد والقتال الذي يُدعى إليه المؤمنون مُحيياً لهم... سواء كان الدفاع عن المسلمين، أو عن بيضة الإسلام، أو كان قتالاً ابتدائياً، كلّ ذلك هو في الحقيقة دفاع عن حق الإنسانية في حياتها)[3].

---

١ ـ الشورى: ١٣.

٢ ـ الأنفال: ٢٤.

٣ ـ الميزان في تفسير القرآن: ٢/٦٦.

أهمية دور الجهاد في عصر الغيبة:

لا شكّ أن للجهاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين لا سيما في عصر الغيبة دوراً وأثراً كبيراً في حياة الفرد والمجتمع، ولعلّ أهم آثار الجهاد في هذا العصر هي:

١ ـ من خلال الجهاد والدفاع عن بيضة الإسلام يتمكن المجتمع من المحافظة على هذه الأمانة المتمثّلة بالدين الإسلامي؛ لأجل إيصالها للأجيال اللاحقة، وبذلك يمكن حفظ المجتمع من الانحدار في هاوية الضلالة.

٢ ـ يساهم الجهاد في إخراج الصفات الكامنة في نفوس الناس وإخراجها من القوة إلى الفعل، فيتميّز المخلص من غيره، ومن ثم يزداد المخلص إخلاصاً لدينه وإمامه، ومن خلال ذلك يتوفّر العدد الكافي من المخلصين للنهوض بأعباء ومسؤوليات اليوم الموعود، وهذا بدوره يشكّل عاملاً مهمّاً من عوامل تعجيل ظهور الإمامعليه السلام.

٣ ـ من خلال الجهاد يطّلع الفرد المؤمن على حجم الظلم والدمار الذي يعمّ العالم، وخصوصاً المسلمين وغيرهم، وبذلك يزداد المؤمن عقيدةً وإيماناً بأنّ الدين الإسلامي هو الأُسلوب الوحيد الذي يتكفّل بإقامة العدل بين الناس.

وهذا بدوره يسهم في زيادة اعتقاد الناس بضرورة قيام الدولة العالمية الإسلامية بقيادة الإمام صاحب الزمانعليه السلام. وهو بنفسه أيضاً يمثّل كاشفاً حقيقياً عن فشل كلّ الأُطروحات التي تدّعي لنفسها القابلية لقيادة العالم

وإصلاحه، وبالتالي يتولّد لدى جميع الناس في العالم من خلال افتضاح زيف مدّعياتهم القناعة التامة بفشل هذه الأُطروحات، وهذا سيكون عاملاً مهماً من عوامل الظهور، ففي الرواية، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «*ما يكون هذا الأمر -يعني دولة المهدي عليه السلام- حتى لا يبقى صنف من الناس إلّا وقد ولوا من الناس -يعني أقاموا الحكم فيهم- حتى لا يقول قائل: إنّا لو ولّينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحق والعدل*»[١].

٤ ـ باطّلاع المؤمن على الظلم المحدق في جميع أرجاء الأرض نتيجة قيامه بوظيفة الجهاد، تحصل له حالة من النفرة والكراهية للظلم، وبذلك تحصل له العبرة للابتعاد والتجنّب عن الظلم.

٥ ـ يساهم الجهاد في بُعده التثقيفي على نشر الوعي والثقافة الإسلامية في أوساط المجتمع الإسلامي.

٦ ـ إنّ المجاهد في سبيل الله تعالى، المدافع عن الإسلام في عصر الغيبة هو في الحقيقة يُعدّ من جند الإمام صاحب الأمر والزمان عليه السلام؛ لأنّه يمهّد ويهيّئ السبيل لظهور إمامه عليه السلام، فضلاً عمّا يحصل عليه من الثواب الجزيل، بل عدّه كالذي يُقتل في فسطاط المهدي عليه السلام[٢].

٢ ـ التقية:

وهي من الإجراءات الأمنية لحفظ المجتمع الشيعي في عصر الغيبة، والتي أكّد أهل البيت عليهم السلام على ضرورة الالتزام بها.

---

١ ـ الغيبة للنعماني: ٢٨٢/٥٣.

٢ ـ الكافي: ١/٣٧٢ ح٦.

عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «*لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، وإنّ أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية*»، قيل: يابن رسول الله، إلى متى؟ قال: «*إلى قيام القائم، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منّا*»[١].

وعن معمّر بن خلّاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولاة؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «*التقية ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له*»[٢].

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «*كان أبي يقول: وأي شيءٍ أقرّ لعيني من التقية؟ إن التقية جنّة المؤمن*»[٣].

وعن المفضّل قال: سألت الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[٤] قال: «*التقية، فما استطاعوا أن يظهروه، وما استطاعوا له نقباً*»، قال: «*إذا عملت بالتقية لم يقدروا لك على حيلة، وهو الحصن الحصين، وصار بينك وبين أعداء الله سدّ لا يستطيعون له نقباً*»، قال: وسألته عن قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾[٥]، قال: «*رفع التقية عند الكشف، فأنتقم من أعداء الله*»[٦].

وهذا يعني أنّ التقية عند ظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام ترفع.

إلى غير ذلك من الأخبار المتظافرة التي تصل إلى حد الاستفاضة إن لم تصل إلى حدّ التواتر.

---

١ ـ إكمال الدين: ٣٧١ ح ٥، عنه الوسائل: ١٦/٢١١ ح ٢٦.
٢ ـ الكافي: ٢/٢١٩/١٢، الوسائل: ١٦/٢٠٤، أبواب الأمر والنهي، ب ٢٤، ح ٤.
٣ ـ الكافي: ٢/٢٢٠/١٤، المحاسن: ١/٤٠١ ح ٩٠٥، عنهما الوسائل: ١٦/٢٠٤ ح ٥.
٤ ـ الكهف: ٩٥.
٥ ـ الكهف: ٩٨.
٦ ـ تفسير العياشي: ٢/٣٧٧ ح ٨٦، عنه البرهان: ٥/٧٨ ح ٣٢.

وللتقية أبعاد وجوانب مختلفة، بعضها يرتبط بالأدلة عليها من القرآن والسنّة، وبعضها يرتبط بالأحكام والتكاليف الشرعية المتعلّقة بالتقية؛ من الوجوب والحرمة والاستحباب وآثارها الوضعية، وبعضها يرتبط بالجانب الأمني منها، ولا نريد الخوض في هذه الأبحاث حيث ذكرت في محلها.

إلّا أن الشيء الذي نتوخّاه في هذا المقام هو الإشارة إلى أهمية ودور التقية في حفظ المجتمع الشيعي في عصر الغيبة، باعتبارها واحدةً من أهم الأمور التّي ركّز عليها أهل البيت في هذا العصر، المعبّر عنه بالروايات بعصر الهدنة.

ففي روايةٍ، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب على الأمة جميعاً؟ فقال: «لا»، فقيل له: ولِمَ؟ قال: «إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر...» ـ إلى أن قال ـ: «وليس على مَن يعلم ذلك في الهدنة من حرجٍ إذا كان لا قوة له ولا عدد ولا طاعة»[١].

وعنه عليه السلام قال: «لا والله، ما على وجه الأرض شيء أحبّ إليّ من التقية...» إلى أن قال: «إنّ الناس إنّما هم في هدنة»[٢].

أهمية التقية في عصر الغيبة:

تتمتّع التقية بأهمية كبيرة على الفرد والمجتمع، لا سيما في عصر الغيبة، ذلك العصر الذي تضاعف فيه الظلم من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام على شيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، وهذا مما لا يخفى. ويمكن الإشارة

---

١ ـ الكافي: ٥/٥٩/١٦، عنه وسائل الشيعة: ١٦/١٢٦، أبواب الأمر والنهي، ب ٢، ح ١.

٢ ـ الكافي: ٢/٢١٧/٤، عنه وسائل الشيعة: ١٦/٢٠٦، أبواب الأمر والنهي ب ٢٤، ح ٩.

لأهمية التقية في هذا العصر من خلال النقاط التالية:

١ ـ من خلال التقية يتمكن المؤمنون من حماية الإسلام من أخطار الخارج، فالتقية ليست وسيلة تخريبية للإسلام، وليست هي حالة استسلام وكسل واسترخاء، وإنّما هي وسيلة لحفظ الدين، ولذا ورد عن الإمام عليه السلام: «إنّ التقية ديني ودين آبائي»[١] و «مَن لا تقيةَ له لا إيمانَ له»[٢]، وهذا يعني أنّ الدين يحفظ من خلال التقية، ومَن لا تقية له لا يتمكن من حفظ دينه.

٢ ـ حفظ نفوس المؤمنين من الأضرار التي لا يوجد مبرّر شرعيّ لتحمّلها، سواء كان الضرر هو القتل أو ما دونه.

وهذا بدوره يساهم في الحفاظ على جماعة المؤمنين، والحدّ من نقصان عددهم.

ففي الرواية: «التقية جنّة المؤمن»[٣]، وكذا «التقية ترس الله بينه وبين خلقه»[٤] أو أنّها الحصن كما عُبّر عنها في بعض الروايات[٥].

٣ ـ التقية وسيلة لتحويل التحرك والعمل من دائرة الضوء إلى دائرة غائمة لا توحي بشيء من التحرك في الداخل.. وعلى هذا الأساس استطاع الأئمة عليهم السلام أن يسندوا الثورات في عصرهم من دون أن يتمكن الأعداء من الاطّلاع عليهم، وإلّا ـ أي بدون العمل بالتقية ـ لتمكّن الأعداء من استئصال المؤمنين والحيلولة دون قيامهم بالتحرّك الثوري.

١ ـ الكافي: ٢/ ٢١٩ ح ١٢، عنه الوسائل: ١٦/ ٢٠٤، ح ٤.

٢ ـ الكافي: ٢/ ٢١٩ ذيل ح ١٢، عنه الوسائل: ١٦/ ٢٠٤ ذيل ح ٤.

٣ ـ الكافي: ٢/ ٢٢٠/ ١٤، عنه الوسائل: ١٦/ ٢٠٤/ ٥، وص: ٢١١ ح ٢٥.

٤ ـ الكافي: ٢/ ٢٢٠/ ١٩، عنه الوسائل: ١٦/ ٢٠٧/ ١٣.

٥ ـ الكافي: ٢/ ٢٢١ ضمن ح ٢٣، عنه الوسائل: ١٦/ ٢٠٥/ ٧.

٤ ـ من خلال التقية يتمكن المؤمنون من القيام بمسؤولياتهم، من قبيل حفظ سلامة الكيان الإسلامي والأمّة الإسلامية، والتأثير في نفوس الناس من خلال القدوة الحسنة بينهم والقيام بالمواقف الشجاعة، ومن الواضح أنّه لا يتمكن المؤمنون من القيام بهذه المسؤوليات إلّا من خلال التعايش مع المسلمين، كما سنشير بعد ذلك إن شاء الله.

٥ ـ نفس العمل بالتقية يمثل إطاعةً وامتثالاً للتكليف الإلهي، وهو موجب للثواب الجزيل من الله تعالى.

فقد ورد في الخبر أنّ رجلاً سأل الإمام أبا عبدالله ﷺ قال: «أيّما أفضل نحن أم أصحاب القائم ﷺ؟ قال: فقال لي: *«أنتم أفضل من أصحاب القائم، وذلك أنّكم تُمسون وتُصبحون خائفين على إمامكم وعلى أنفسكم من أئمة الجور، إن صلّيتم فصلاتكم في تقية، وإن صمتم فصيامكم في تقية، وإن حججتم فحجُّكم في تقية، وإن شهدتم لم تقبل شهادتكم، وعدّد أشياءً من نحو هذا، فقلت: فما نتمنّى القائم ﷺ إذا كان على هذا؟ قال: فقال لي: «سبحان الله، أما تحبّ أن يظهر العدل ويَأمن السبل ويُنصف المظلوم؟!»*[1].

هل التقية تنافي الجهاد:

إنّ التقية في عصر الغيبة لا تنافي الجهاد؛ لأنّ لكلٍّ منهما شروطهما الخاصة وموارِدهما الخاصة، إذا تحققت شروط الجهاد وجب كما هو الحال في الدفاع عن بيضة الإسلام، ففي مثل هذه الحالة لا تقية.

وهكذا الحال في التقية إذا تحققت شرائطها وجبت، وهذا تابع لطبيعة الظروف والمرحلة التي يمرّ بها المؤمنون، وإلى نوعية المورد.

---

١ ـ الاختصاص: ٢٠، عنه بحار الأنوار: ٥٢/١٤٤/٦٢.

التقية بين المؤيد والمعارض

إنّ الجانب التطبيقي للتقية قد تختلف فيه الاجتهادات تبعاً لاختلاف النظرة إلى المصلحة الإسلامية، وهذا الأمر تابع لتشخيص الظروف والمرحلة التي يمرّ بها المؤمنون، وهو يعود إلى تشخيص الفقهاء في عصر الغيبة، حيث نجد أنّ فقيهاً لا يرى للتقية في مرحلة معينة دوراً، بل لابدّ من التحدّي والمواجهة، بينما نجد فقيهاً آخر يرى أنّ التقية في تلك المرحلة واجبة وضرورة، وهذا الأمر تابع لنوعية الأدلة والمستندات التي يرتكزون عليها في استنباط الحكم الشرعي وتشخيص الواقع.

والأمر الذي نتوخّى الإشارة إليه هو: أنّ هذا الاختلاف لا يعني الاختلاف في المبدأ، وإنّما هو اختلاف بالتفاصيل التي تحدّدها طبيعة الظروف في تلك المرحلة.

وهذا الأمر ـ اختلاف الظروف في كلّ مرحلةٍ ـ نجده واضحاً في حياة الأئمة عليهم السلام، فقد نجد في مرحلة معينة أنّ التقية واجب وضرورة لحفظ الدين والمؤمنين، كما هو الحال الفترة التي عاش فيها الإمام الحسن عليه السلام في مدة إمامته، بينما نجد الإمام الحسين عليه السلام لم يعمل بالتقية؛ لتشخيصه أنّ تلك المرحلة ليست مرحلة تقية.

وهنالك تفاصيل أُخرى من قبيل حدود التقية وشرائطها عرضها الفقهاء ـ رضوان الله عليهم ـ في كتبهم الفقهية، لا يسع المجال لبحثها والتطرّق إليها.

كيفية التعايش مع الآخرين:

من خلال التأمّل في بيانات وتوجيهات أهل البيت عليهم السلام نجد انهم قد

رسموا لشيعتهم وأتباعهم الخطوط العامة في كيفية التحرك والمعايشة مع باقي المذاهب والأديان الأُخرى.

وممّا لا ريب فيه أنّ الغرض الذي يستهدفه أهل البيت عليهم السلام من هذه السياسات هو دعم حالة الأمن لشيعتهم وأتباعهم، وإمكانية تحرّكهم في داخل المجتمع الإسلامي، ممّا يساهم في زيادة التأثير في نفوس الآخرين.

التعايش مع المذاهب الأُخرى:

لعلّ أهم ما نستوحيه من إرشادات وتوصيات أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم في مجال التعايش مع بقية مذاهب المسلمين يمثّل بعداً مهمّاً من أبعاد التقية، حيث نلاحظ تركيزهم عليهم السلام على ضرورة بناء علاقات قوية صحيحة مع معتنقي المذاهب الأُخرى، وهذا ما نلمسه من خلال ما يلي:

١ ـ الطلب من شيعتهم الصلاة في مساجدهم والمشاركة معهم في مناسباتهم ومراسيمهم التي أولاها الإسلام عناية خاصة كصلاة الجمعة.

فإنّه على الرغم من عدم توفّر الشرائط في إمام الجماعة كالعدالة ـ لأنّ أكثر أئمة الصلاة هم من ولاة الجور ـ لكن مع ذلك نجد الحثّ الشديد من أهل البيت عليهم السلام على الحضور والمشاركة.

عن عبدالله بن مناف قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «*أُوصيكم بتقوى الله عزّوجلّ، ولا تحملوا الناس على أكتافكم فتذلّوا، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه:* ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[1]، ثم قال: «*عُودوا مرضاهم، واشهدوا*

١ ـ البقرة: ٨٣.

جنائزهم، واشهدوا لهم، وصلّوا معهم في مساجدهم..»[١].

وعن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «مَن صلّى معهم في الصفّ الأول كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

٢ ـ التركيز والاهتمام على ضرورة تجسيد القدوة الصالحة في المجتمع الإسلامي بحيث يكون محوراً وعنصراً مهماً، من: الاعتماد والثقة به، وردّ الأمانة، والوفاء بالعهد، وحلّ المشكلات...

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «...واللهِ لحدّثني أبي عليه السلام أنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: مَن فلان، إنّه آدانا للأمانة، وأصدقنا للحديث»[٣].

٣ ـ توصية شيعتهم على ضرورة الالتزام بالعلاقات الاجتماعية العامة، من قبيل: صلة الرحم، وحضور مراسيم الزواج، أو عيادة المرضى، أو حضور الجنائز...

فعن معاوية بن وهب قال: قلت له [للإمام الصادق عليه السلام]: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممّن ليسوا على أمرنا؟ فقال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم، فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنّهم يعودون مرضاهم، ويشهدون ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم»[٤].

---

١ ـ المحاسن: ١/٨٣/٥١، عنه وسائل الشيعة: ٨/٣٠١، أبواب صلاة الجماعة، ب ٥، ح ٨.

٢ ـ الكافي: ٣/٣٨٠ ح ٦، عنه وسائل الشيعة: ٨/٣٠٠، أبواب صلاة الجماعة، ب ٥، ح ٤.

٣ ـ الكافي: ٢/٦٣٦/٥، عنه وسائل الشيعة: ١٢/٦، أبواب أحكام العشرة، ب ٢، ح ٢.

٤ ـ الكافي: ٢/٦٣٦/٤، عنه وسائل الشيعة: ١٢/٦، أبواب أحكام العشرة، ب ١، ح ٣.

وعن أبي عبدالله عليه السلام في وصيّته لكثير بن علقمة قال: «كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، حبّبونا إلى الناس ولا تبغّضونا إليهم، فجرّوا إلينا كلّ مودّةٍ وادفعوا عنّا كلّ شرّ...»[1].

ضرورة الدفاع عن المجتمع الإسلامي ووحدته:

لعل من خلال التأمل في حركة أهل البيت عليهم السلام وكيفية تعاملهم مع أصحاب المذاهب الأُخرى نستطيع أن نستوحي مسؤوليتنا تجاه المجتمع الإسلامي.

حيث نلاحظ أنّ الأئمة عليهم السلام على الرغم من إقصائهم عن الحكم كانوا يهتمون بحفظ الرسالة الإسلامية من الاندراس والضياع، فكانوا يتخذون التدابير والإجراءات اللازمة لذلك عندما يرون عجز الحكومة الظالمة عن العلاج.

وهذا ما نلمسه واضحاً في مواقف أمير المؤمنين عليه السلام، حيث نجد أنّه عليه السلام كان مشيراً ومعلّماً ومعاوناً وناقداً وناصحاً، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وهكذا الأمر بالنسبة للإمام زين العابدين عليه السلام عندما حفظ للأمة الإسلامية كرامتها وهيبتها، عندما أجاب على كتاب ملك الروم الذي عجزت عن جوابه الزعامة المنحرفة.

وكذا الأمر بالنسبة للإمام الباقر عليه السلام عندما أنقذ الأُمة الإسلامية من تحدٍّ سافرٍ يهدّد سيادتها.. وهذا الأمر في غاية الوضوح لمن لديه أدنى

---

١ ـ السرائر: ٣/٦٥٠ (المستطرفات، مستطرف كتاب العيون)، عنه وسائل الشيعة: ١٢/٨، أبواب أحكام العشرة، ب١، ح٨.

اطّلاعٍ في التاريخ.

كذلك نلمس هذا الأمر واضحاً من خلال توجيهات الأئمة عليهم السلام لشيعتهم وأتباعهم في مواجهة حركات الإلحاد والزندقة، وموجات التفسّخ الأخلاقي التي عمّت العالم الإسلامي آنذاك.

وفي ضوء ما سلف تتّضح مسؤوليتنا تجاه المجتمع الإسلامي من ضرورة الدفاع عنه والدعوة لوحدة المسلمين.

ولابدّ أن يتركّز خطابنا في الساحة الإسلامية على ضرورة الالتزام والتمسّك بتعاليم الإسلام، وعلى ضرورة المبادرة إلى الإحسان ونفع الناس والتحلّي بالإيجابية.

* * *

الفَصْلُ الثّامِنُ

أوضاع العالم قبيل الظهور

من خلال إلقاء نظرةٍ على الروايات التي تتنبّأ بأوضاع وأحوال العالم قبل ظهور الإمام ـ عجل الله تعالى فرجه ـ نجد أنّها تكشف عن شدّة المحنة والابتلاء والاضطراب، والهرج والمرج والدمار، وعدم الأمن والظلم والقتل، بالشكل الذي تمتلئ الأرض بالظلم والجور.

فمن جانب نجد أنّ الروايات تؤكّد على انتشار الحروب الدموية بين شعوب العالم وكثرة القتلى ظلماً وجوراً.

ومن جانب آخر يُفقد الأمن على الأموال والأنفس بين الناس، ويسيطر الخوف والفزع على الناس، بحيث تصل إلى درجة لا يأمن منها المسافر في طريقه.

ومن جانبٍ ثالثٍ يكثر موت الفجأة، وقتل الأطفال الأبرياء بأبشع أنواع القتل.

ومن ناحيةٍ تنتشر الأمراض الفتّاكة والمُميتة.

ومن ناحيةٍ أُخرى تمنع السماء والأرض بركاتها، ويعمّ القحط وينقطع المطر...

ولأجل إضاءة المسألة في هذا المقام سوف نتناول أوضاع العالم قبل الظهور من خلال تقسيمه إلى ما يلي:

أوّلاً: أخلاق الناس قبيل الظهور:

فقد تظافرت الروايات لبيان الحالة الأخلاقية لدى الناس، ويمكن تقسيمها إلى:

١ ـ انعدام الرحمة والعطف:

فعن رسول الله ﷺ قال: «*إنّ الساعة لا تقوم حتى يدخل الرجل على ذي رحمه يسأله برحمه فلا يعطيه، والجار عن جاره يسأله بجواره فلا يعطيه*».

وعنه ﷺ أنّه قال: «*فلا الكبير يرحم الصغير، ولا القوي يرحم الضعيف، فحينئذٍ يأذن الله له بالخروج*»[١].

٢ ـ كثرة إنحراف الناس:

حيث يسقط الكثير من الناس في مهوى الرذيلة والانحراف، حيث يشيع الانحراف وينتشر بشكل لا مثيل له، ولا ريب أنّ الفساد الأخلاقي الذي أخذ يلتهم العالم بمختلف الوسائل والأساليب يعدّ خير مثال؛ لما تكشفه الروايات الواردة في هذا المقام.

فعن رسول الله ﷺ قال: «*لا تقوم الساعة حتى تؤخذ المرأة نهاراً جهاراً في وسط الطريق [و] لا ينكر ذلك أحد، ولا يغيّره، فيكون أمثلهم يومئذٍ الذي*

---

١ ـ بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٨٠/ ١٨٩، عن كفاية الأثر.

يقول: *لو نحّيتها عن الطريق قليلاً*»[١].

وفي رواية أُخرى يقول ﷺ: «*يتهارجون في الطريق تهارج البهائم، ثم يقوم أحدهم بأمه واخته وابنته فينكحها في وسط الطريق، يقوم واحد عنها، وينزو عليها آخر، ولا يُنكر ولا يُغيّر فافضلهم يومئذٍ من يقول: لو تنحّيتم عن الطريق كان حسناً*»[٢].

تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال:

فعن محمّد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: يابن رسول الله، متى يخرج قائمكم؟ قال: «*إذا تشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء*»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام «*يتمشّط الرجل كما تتمشّط المرأة لزوجها، ويعطي الرجال الأموال على فروجهم، ويُتنافس في الرجل ويُغار عليه من الرجال، ويُبذل في سبيله النفس والمال*»[٤].

وعن النبي ﷺ قال: «*كأنّ بالدنيا لم تكن إذا ضيّعت أُمّتي الصلاة، واتّبعت الشهوات، وغلت الأسعار، وكثر اللواط*»[٥].

ثانياً: الوضع الديني قبيل الظهور:

وعند التأمل في الروايات الواردة في هذا المقام نجد العجب العُجاب،

---

١ ـ مستدرك الحاكم: ٥/٤٠١ ح ٨٦٩٢، وذكر فيه (توجد) بدل (تؤخذ).

٢ ـ الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٠١.

٣ ـ إكمال الدين: ١/٣٣١/١٦.

٤ ـ الكافي: ٨/٣٨/٧، عنه بحار الأنوار: ٥٢/٢٥٧/١٤٧.

٥ ـ الزام الناصب: ١٨١.

نتيجة لما تكشفه من وضع الناس تجاه دينهم وعقيدتهم، بحيث لا يبقى من القرآن إلّا رسمه، ومن الإسلام إلّا اسمه، كما قال ﷺ: «سيأتي زمان على أُمّتي: لا يبقى من القرآن إلّا رسمه، ولا من الإسلام إلّا اسمه، يسمّون به وهم أبعد الناس»[١].

خلاء المساجد من المؤمنين

حيث لا تعود المساجد إلّا أماكن خالية من المؤمنين بعد ما كانت منطلق الهداية والإرشاد. فعن النبيّ ﷺ قال: «سيأتي زمان على أُمّتي... مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى...»[٢].

بيع الدين بالدنيا:

فقد نجد الناس في آخر الزمان يقدمون على بيع دينهم بثمنٍ بخسٍ من شهوات الدنيا وملذّاتها.

فعن رسول الله ﷺ قال: «ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب، فِتَناً كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمناً عند الصباح، ويمسي كافراً، يبيع قوم دينهم بعرضٍ من الدنيا قليل، المتمسّك يومئذٍ بدينه كالقابض على الجمرة...»[٣].

خروج الناس عن الدين:

من العلائم المهمة لآخر الزمان: هي خروج الناس عن دينهم وعقيدتهم، وهذا ما يكشف النقاب عنه الحديث الوارد عن الإمام الحسين عليه السلام، عن علي بن أبي طالب عليه السلام وعنده جلساؤه، فقال: «هذا سيّدكم،

---

١ ـ ثواب الاعمال: ٢٩٩ صدر ح ٤، عنه بحار الأنوار: ٥٢/١٩٠ ح ٢٠، جامع الأخبار: ٣٥٥ ح ٢.

٢ ـ ثواب الاعمال: ٢٩٩ ذيل ح ٤، عنه بحار الأنوار: ٢٥/١٩٠/٢١.

٣ ـ سنن الترمذي: ٤/٤٨٧ ح ٢١٩٥ (نحوه)، جامع الأخبار: ٣٥٦ ح ٩٩٦ (قطعة)، عنه بحار الأنوار: ٢٢/٤٥٤ ضمن ح ١١.

سمّاه رسول الله ﷺ سيّداً، ويخرجن رجل من صلبه شبهي شبهه في الخُلق، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، قيل له: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: «هيهات! إذ اخرجتم من دينكم»[١].

ثالثاً: الوضع الأمني:

ففي آخر الزمان سوف تسود العالم اضطرابات كثيرة في الوضع الأمني، تفقد معظم الحكومات القدرة على حفظ الأمن، كلّ هذا نتيجة ما تقترفه القوى الكبرى في العالم من جرائم واعتداء على حقوق الشعوب الأخرى، وهذا ما يصوّره لنا رسول الله ﷺ بقوله: «يوشك أن تُداعى عليكم الأُمم، كما تُداعى القوم إلى قصعتهم، قال: قيل: من قلّة؟ قال: لا، ولكنّه غشاء كغشاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوّكم بحبكم الدنيا وكراهتكم الموت»[٢].

فقد بيّن ﷺ أنّ سبب ذلك هو حب الدنيا وكراهة الموت.

وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: «وذلك عندما تصير الدنيا حرجاً ومرجاً، ويغار بعضكم على بعض، فلا الكبير يرحم الصغير، ولا القوي يرحم الضعيف، فحينئذٍ يأذن الله بالخروج»[٣].

كثرة الجرائم وفضاعتها:

وفي آخر الزمان تزداد وتكثر الجرائم بشكل لا نظير له من الوحشية

---

١ ـ الملاحم لابن طاووس: ١٤٤.

٢ ـ سنن أبي داود: ٤/١٠٨/٤٢٩٧، المعجم الكبير: ٢/١٠١.

٣ ـ بحار الأنوار: ٣٦/٣٣٥/١٩٥، عن كفاية الأثر.

والقسوة، وهذا ما يلخّصه لنا أمير المؤمنين ﷺ بقوله: «.... ثم يُبثّ ـ أي السفياني ـ فيجمع الأطفال ويقلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان آباؤنا عصوك فما ذنبنا، فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسناً وحسيناً فيصلبهما، ثم يسير إلى الكوفة فيفعل بهم كما فعل بالأطفال. ويصلب على باب مسجدها طفلين اسماهما: حسن وحسين، ويخرج السفياني وبيده حربة، فيأخذ امرأةً حاملاً فيدفعها إلى بعض أصحابه ويقول: أفجر بها في وسط الطريق فيفعل ذلك، ويبقر بطنها فيسقط الجنين من بطن أمّه، فلا يقدر أحد أن يغيّر ذلك»[١].

تمنّي الناس للموت:

تصل الحالة في آخر الزمان إلى درجة أنّ الناس يتمنّون موتهمْ لِمَا يعانونه من شدة الظلم والدمار.

فعن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لاتذهب الدنيا حتى يُمرّعلى القبر رجُل فيمرّغ عليه ويقول: يا ليتني كنت مكان هذا القبر وليس به الدين إلّا البلاء»[٢].

ظلم ومطاردة المؤمن:

فعن النبي ﷺ قال: «ينزل بأُمّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لا يجد المؤمن ملجأً يلتجئ إليه من الظلم»[٣].

وفي حديث آخر عنه ﷺ فإنّ فيه: «لتأتينّكم بعدي أربع فتن: الأُولى يُستحلّ فيها الدماء، والثانية يُستحل فيها الدماء والأموال، والثالثة يستحلّ فيها

---

١ ـ عقد الدرر: ٩٤.

٢ ـ صحيح مسلم: ٢٢٣١/٤ ح ٥٤.

٣ ـ مصابيح السنة: ١٣٤/٢، التذكرة: ٦١٥، مشكاة المصابيح: ٢٤/٣، عنها إحقاق الحق: ١٥١/١٣.

الدماء والاموال والفروج، والرابعة صمّاء وعمياء مطبقة تمور مور السفينة في البحر حتى لا يجد أحد من الناس منها ملجأ. تطير بالشام، وتغشى العراق، وتخبط الجزيرة يدها ورجلها. يعرك الأنام فيها البلاء عرك الأديم، لا يستطيع من الناس يقول: مه مه لا ترفعونها من ناحيةٍ إلّا انفتقت من ناحيةٍ أُخرى»[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «قدّام هذا الأمر قتل بيوح، قلت: وما البيوح؟ قال: دائم لا يفتر»[٢].

موت وقتل ثلثي الناس:

فعن محمّد بن مسلم وأبي بصير قالا: سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس، فقلنا له: فإذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟ فقال: أما ترضون ان تكونوا في الثلث الباقي؟»[٣].

رابعاً: الوضع الاقتصادي قبيل الظهور:

وقد استفاضت الروايات في تسليط الضوء على الوضع الاقتصادي قبيل الظهور، منها:

١ ـ غلاء الأسعار وانتشار الجوع

فعن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ قدّام القائم علامات تكون من الله عزّ وجلّ للمؤمنين»، قلت: وما هي جعلني الله فداك؟ قال: «ذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿ولنبلونّكم﴾ يعني المؤمنين قبل خروج القائم عليه السلام:

---

١ ـ الملاحم لابن طاووس: ٢١، كمال الدين: ٢/٣٧١.

٢ ـ الملاحم لابن طاووس: ٥٨.

٣ ـ إثبات الهداة: ٣/٥١٠/٣٣٢، كمال الدين: ٢/٦٥٥/٢٩.

﴿بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ﴾[١]. قال: يبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم، «ونقصٍ من الأموال» قال: كساد التجارات وقلة الفضل «والأنفس قال: وموت ذريع «والثمرات» قال: قلة ريع ما يزرع «وبشر الصابرين» عند ذلك بتعجيل خروج القائم عجل الله فرجه»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «وعن خروج السفياني، ويقلّ الطعام، ويقحط الناس، ويقلّ المطر»[٣].

٢ ـ قلّة المطر ونزوله في غير أوانه:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يأتي على الناس زمان... فعند ذلك يحرمهم الله قطر السماء في أوانه، وينزله في غير أوانه»[٤].

وعن أمير المؤمنين قال: «... ويكون المطر قيظاً»[٥].

---

١ ـ البقرة: ١٥٥.

٢ ـ كمال الدين: ٢/٦٥٠/٣، الغيبة للنعماني: ٢٥٩/٦، إرشاد المفيد: ٢/٣٧٧.

٣ ـ جامع الأخبار: ٣٥٥ ح ١، عنه مستدرك الوسائل: ١١/٢٧٥ ضمن ح ١٦.

٤ ـ جامع الاخبار: ٣٥٥ ح ١، عنه المستدرك: ١١/٢٧٥ ضمن ح ١٦.

٥ ـ تفسير القمّي: ٢/٢٨٠، عن (رسول الله صلى الله عليه وآله)، عنه بحار الأنوار: ٦/٣٠٦ ضمن ح ٦، والبرهان: ٧/٢١١ ضمن ح ٢، وفي المستدرك: ١١/٣٧٧ ضمن ح ٢١، وفيه (وصار مطرهم)، عن المجموع الرائق.

تساؤلات وشبهات

س ١: كيف يمكن العمل لأجل الإصلاح الفردي والاجتماعي مع ما نلاحظه من استحكام وانتشار الضلال والفساد، وبعد أن أصبحت الحياة مسرحاً للجرائم والآثام وفقدان الأمن؟

الجواب: نستطيع القول ــ من دون الدخول في طائلة التنظيرات ــ:

١ ــ إنّ انتشار الضلال والفساد لا يبرّر لنا ترك العمل بواجباتنا ووظائفنا، والتحرّك والعمل لأجل رضا الله ورسوله وإمامنا، ومن الواضح أنّ رضا الله ورسوله وإمامنا لا يمكن إحرازه إلّا من خلال العمل بالتكاليف الشرعية، سواء كانت فرديةً أم إجتماعية، وهذا ما يوجب تركيز الجهد لامتثال هذه التكاليف لإصلاح الفرد والمجتمع، ومكافحة الفساد من أجل تكوين قاعدة قوية من حيث الوعي والصفاء الروحي.

٢ ــ مَن قال: إنّ العمل الإصلاحي في المجتمع غير مجدٍ ولا قيمة له؟ بل إنّ هذا من إيحاء النفوس اليائسة المتعلقة بأهداب الحياة الرخيصة، بل إنّ الإنسان إذا كان عامراً بالطاقة المعنوية والروحية سوف يكون قادراً على إصلاح الكثير من الناس، إذن لا داعي لليأس والقنوط؛ لأنّه: ﴿لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾[1].

---

١ ــ يوسف: ٧.

س ٢: وردت أخبار بأنّ الأرض تُملأ ظلماً وجوراً كالخبر الوارد عن النبي ﷺ: إنّ المهدي ﷺ: «يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً». والسؤال هو: ما قيمة العمل والإصلاح إذا كانت الأرض ستُملأ بهذا الظلم كما أخبرنا نبيّنا ﷺ؟

الجواب: يتّضح من خلال ملاحظة ما يلي:

١ ـ إنّ الله تعالى لا يجبر فرداً من الناس على الظلم، وهذا واضح بلا ريب.

٢ ـ إنّ وجود وكثرة الظلم إنّما هو لأجل الاختبار والتمحيص، لا سيما في عصر الغيبة الذي قلنا: إنّ التمحيص والابتلاء الذي يلازم الظلم إنّما هو لأجل توفير قوة الإرادة في الأمّة وإيجاد عدد من المخلصين الذين يمارسون القيام بمسؤوليات اليوم الموعود.

وعلى هذا الضوء نفهم أنّ امتلاء الأرض بالظلم إنّما هو بانصراف أغلب الناس إلى الدنيا، وتعلّقهم بأهداب الحياة الرخيصة. وهو لا ينافي توفّر نسبة ضئيلة عدداً وضخمة أهميةً وإرادةً واعتقاداً، وعلى هذا الأساس يكون تكليفنا الشرعي منحصراً في تصعيد درجة إخلاصنا وتقوية إرادتنا عن طريق مكافحة الظلم والفساد، وكلّ ذلك يقع باختيار الفرد وإرادته.

ومن هنا يتّضح الجواب عن تساؤل آخر، مفاده: أنّ الأرض بعد امتلائها ظلماً وجوراً، هل يعني عدم وجود المخلصين الذي يُعتَبرون النتيجة والغاية من الابتلاء والتمحيص؟

والجواب: بات واضحاً مما سلف وهو أنّ امتلاء الأرض بالظلم

والجور لا يعني عدم وجود ثلّةٍ قليلةٍ من ذوي الإخلاص والإيمان الذين أفرزتهم ظروف الظلم والفساد بصمودهم وتقواهم وثباتهم في ساحة المواجهة؛ لإيمانهم القويّ بالله تعالى وعظمة مبدئهم، وقوة إرادتهم وعزمهم على الصبر والثبات.

س ٣: وهذه الشبهة مرتبطة بالتمحيص، ومفادها: أنّه إذا كان التمحيص شرطاً أساسياً لظهور الإمام ﷺ فهو غير متحق بالوجدان؛ لوجود عدد كبير من الناس غير ممحَّصِين؟

الجواب : أنّ المراد من التمحيص ليس تمحيص الأفراد بصورة مباشرة لكلّ فردٍ فرد، وإنّما هو تمحيص للبشرية جمعاء وعلى مدى عمرها بالشكل الذي ينتج تمحيص الأفراد، وذلك من خلال استفادة كل جيل من ثقافة وأفكار وتجارب الجيل السابق، ولازم ذلك أن تظهر مجموعة من الأفراد المخلصين متحمّلين للمسؤولية في اليوم الموعود.

س ٤ : هنالك أخبار كثيرة تفيد وجوب العزلة والابتعاد عن المجتمع، فهل هذا ينافي العمل والإصلاح للمجتمع؟

الجواب : يمكن توجيه هذه الأخبار بما يلي:

١ ـ أن يكون المراد بالعزلة في هذه الروايات: العزلة عن الجهلة والحمقى والمفسدين ونحوهم، وهذا لا ينافي العمل الاجتماعي وتوجيه الأفراد الذين يتمتّعون بالاستعداد والقابلية لتلقّي المعارف الإلهية التي تصلح نفوسهم ومجتمعهم.

٢ ـ على فرض أنّ هذه الأخبار توجب العزلة والسلبية إلّا أنّه يمكن تقيّدها في حالة عدم وجوب العمل الإصلاحي في المجتمع أو حرمته، كما في حال عدم تحقق شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحوه.

وعلى هذا الأساس إذا كان العمل واجباً فتكون العزلة حراماً، وإلّا فقد تكون العزلة واجبة كما إذا كان العمل حراماً، وقد تكون جائزة إذا كان العمل جائزاً.

س ٥ : نجد بالوجدان أنّنا مهما عملنا لأجل إصلاح المجتمع فلانتمكّن من إصلاحه بالشكل الذي يعطي ثماره وتغييره إلى مجتمع صالح، لا سيّما بعد ملاحظة انتشار الفساد وتكالب قوى الشرّ علينا بأحدث الأجهزة المتطورة وبمختلف الوسائل والأساليب فكيف السبيل؟

الجواب: أولاً : أنّ انتشار الفساد واستحكامه في مجتمعنا لا يبرّر ترك الواجبات والتكاليف الإلهية المفروضة علينا.

ثانياً : أنّ الثمرة بالعمل والإصلاح سوف تتحقق؛ لأنّ الثمرة من العمل والإصلاح ليس بالضرورة الوصول إلى المجتمع الصالح الخالي من كلّ ألوان الظلم والفساد، بل الثمرة المطلوبة هو إنتاج عددٍ كافٍ من المخلصين لتحقق شرط الظهور وقيامهم بالمسؤولية في اليوم الموعود، وإيصال الأمة إلى حالةٍ من الوعي لتحصل لها القابلية والاستعداد لتطبيق العدل في اليوم الموعود، وهذا ممكن الحصول بلا ريب.

س ٦: وهو مرتبط بالانتظار والمنتظرين، ومفادها: أنّ هنالك روايات تدلّ على أفضلية المنتظرين عمّن سبقوهم، وهذا يعني أن المنتظرين أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله!؟

الجواب: تقدم في مطاوي البحث، أنّ التمحيص يكون أشد وأصعبّ في عصر الغيبة، ولا شك أنّه كلّما كان التمحيص أشد وآكد كان فضل الثابتين على عقيدتهم وإيمانهم أكبر.

وحيث إنّنا نجد من البلاء والمظالم في عصر الغيبة أكبر بكثير ممّا هو في غيره من العصور، ممّا يعني أنّه لا غرابة من كون المنتظرين الثابتين في عصر الغيبة أفضل من غيرهم، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ كلّ فرد من المنتظرين أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أو أصحاب الأئمة عليهم السلام وإنّما هو على الأعمّ الأغلب.

وعلى هذا الأساس نفهم من الروايات فضل المنتظرين في عصر الغيبة، وفضل مَن يموت في عصر الغيبة وهو منتظر لإمامه.

وهذا المعنى واضح من جواب الإمام الصادق عليه السلام للسائل الذي يسأله عن سبب أفضلية المنتظرين من أصحاب الإمام القائم عليه السلام؟ يقول عليه السلام: «*إنّكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزّوجلّ، وإلى الصلاة والصوم والحجّ، وإلى كلّ خيرٍ وفقّه، وإلى عبادة الله عزّ ذكره سرّاً من عدوّكم مع إمامكم المستتر، مطيعين معه، صابرين معه، منتظرين لدولة الحق، خائفين على إمامكم، من الملوك الظلمة... مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم، والخوف من عدوكم، فبذلك ضاعف الله عزّوجلّ الأعمال فهنيئاً لكم...*»[1].

---

١ ـ شرح أُصول الكافي للمازندراني: ٦/ ٢٤٠.

وكذا ما ورد عن النبي ﷺ قوله: «سيأتي قوم بعدكم *الرجل الواحد* منهم *له أجر* خمسين منكم». قالوا: يارسول الله، نحن معك ببدرٍ وأُحدٍ وحـنين، وأُنزل فينا القرآن، فقال: «إنّكم *لو* تحملون *لما* حملوا *لم* تصبروا صبرهم»[1].

إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ كلّ مَن عاش في عصر الغيبة فهو أفضل، وإنّما الأفضلية لأُولئك الذين ثبتوا على دينهم، وأثبتوا جـدارتـهم وصـمودهم بوجه الظلم والانحراف.

س ٧: وهذه الشبهة مرتبطة ببحث الانتظار أيضاً، ومفادها أنّ الأمر بالانتظار هو بمثابة الدعوة إلى ترك العمل والتقاعس والكسل؟

الجواب: أوّلاً: أنّ الفرد المؤمن المعتقد بأن إمامه المهدي٧ مطّلع عليه في كل حركة وسكون، يستوجب عـليه التـحرك لأجـل الفـوز بـرضا إمــامه ﷺ، ســواء كـان عـلى المسـتوى الشـخصي أم عـلى المسـتوى الاجتماعي، ومن الواضـح أنّـه لا يكـون كـذلك إلّا مـن طـريق العـمل بالتكاليف الشرعية الفردية والاجتماعية؛ لأن الاقتصار على أحدهما يعتبر عصياناً للآخر، وهذا ما لا يرضاه الله ولا رسوله ولا إمامه المهدي ﷺ، إذن لابدّ من العمل وفق تكليفه الشرعي.

وثانياً: بغضّ النظر عن الوجه الأول وفرض أنّ الاعتقاد بوجود الإمام المهدي لا يكون دافعاً نحو العمل، فإنّ نفس وجود التكاليف والأحكـام الشرعية في الكتاب والسنّة ـ سواء على المستوى الفردي أم الاجتماعي ـ كفيل يدفع الفرد وحثّه نحو العمل، وبذل الجهد على المستويين الفـردي

---

١ ـ الغيبة للطوسي: ٤٥٦/٤٦٧.

والاجتماعي، مضافاً إلى أنّ نفس رواية الانتظار ليس فيها دلالة على ترك العمل والتفاعل، بل دلالتها على وجوب العمل وبذل الجهد نحو اصلاح الفرد لنفسه ولمجتمعه واضحة؛ لأنّ الفرد المؤمن لا يكون بمستوى المنتظر الحقيقي إلّا إذا كان متوفّراً على شرائط وخصائص متعدّدة، من قبيل: الإخلاص والتقوى والإيمان ونحوها، ومن الواضح أنّه لا يمكن التحلّي بمثل هذه الخصائص إلّا إذا عمل الفرد بمقتضى تكاليفه وواجباته الشرعية الفردية والاجتماعية.

س ٨: إن إناطة الظهور بعلاماتٍ معيّنةٍ ـ كما هو واضح ـ، ينافي الأمر بالانتظار الفوري كما تقدم؟

الجواب:

١ ـ أمّا فيما يخصّ العلامات فلا يعني ذلك أنّ الظهور الذي تسبقه تلك العلامات يتأخر عن وقوع العلامات بزمانٍ طويل، بل من المحتمل أن يتبعها الظهور بوقتٍ قصير.

٢ ـ وكذلك الأمر بالنسبة للشرائط، فيحتمل تحقّقها في أي وقت، وهذان الاحتمالان كافيان في إيجاد المناخ المناسب لنفسية الفرد للانتظار الفوري.

❋ ❋ ❋

الخاتمة

وفيها ذِكرٌ لبعض الوظائف التي ينبغي للمؤمن القيام بها تجاه إمامه صاحب العصر والزمان عليه السلام، مستوحاة من نصوص الروايات، نذكرها إتماماً للفائدة:

١ ـ الاغتمام لفراقه ومظلوميته عليه السلام[١].

٢ ـ البكاء لفراقه ومصيبته عليه السلام[٢].

٣ ـ أن نصله بأموالنا[٣] (أي تُصرَف في موارد رضاه عليه السلام، كالإنفاق على المؤمنين الصالحين).

٤ ـ التصدّق عنه بقصد سلامته عليه السلام.

٥ ـ طلب معرفته من الله[٤].

٦ ـ المداومة على قراءة هذا الدعاء: «ياالله يارحمن يارحيم ثبّت قلبي على دينك»[٥].

٧ ـ إعطاء القرابين نيابةً عنه عليه السلام بقدر الاستطاعة[٦].

٨ ـ القيام عند ذكر اسمه عليه السلام[٧].

---

١ ـ الكافي: ٢/٢٢٦/١٦.

٢ ـ كمال الدين: ٢/٣٤٧/٣٥.

٣ ـ الخصال: ٥١٧ ح ٤، عنه الوسائل: ٩/٣٩٧ ح٨.

٤ ـ الكافي: ١/٢٧٢/٥ .

٥ ـ كمال الدين: ٢/٣٥٢/٤٩.

٦ ـ الكافي: ٤/٤٩١ ح ١٤، عنه الوسائل: ١٤/٩٦ ح ٤.

٧ ـ النجم الثاقب: ٤٤٤.

٩ ـ التوسّل والاستغاثة به[١].

١٠ ـ الشوق لرؤية وجهه المبارك[٢].

١١ ـ الدعاء لتعجيل ظهوره وطلب النصر له[٣].

١٢ ـ التوسّل بالله أن يجعلنا من أنصاره[٤].

١٣ ـ الطواف والحجّ نيابةً عنه[٥].

١٤ ـ تجديد العهد والبيعة له في كلّ يومٍ وفي كلّ وقتٍ ممكن[٦].

١٥ ـ تكذيب مدّعي النيابة الخاصّة[٧].

١٦ ـ التوبة الحقيقية من الذنوب[٨].

١٧ ـ قراءة دعاء الندبة في الجمعة وعيد الغدير وعيد الفطر وعيد الأضحى[٩].

١٨ ـ لعن أعدائه[١٠].

١٩ ـ ذكر فضائله ومناقبه عليه السلام[١١].

٢٠ ـ تحبيبه إلى الناس[١٢].

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٩/٩١.

٢ ـ غيبة الطوسي: ٢٤٦ ح٢١٦، عنه البحار: ٥٢/٥٠ ح٣٥.

٣ ـ الاحتجاج: ٢/٥٩٥.

٤ ـ مفاتيح الجنان: ٧٤٢.

٥ ـ الكافي: ٤/٣١٤، باب الطواف والحجّ عن الأئمة عليهم السلام ح ٢.

٦ ـ المزار الكبير: ٥٧١.

٧ ـ كمال الدين: ٢/٥١٦ ح ٤٤.

٨ ـ بحار الأنوار: ٥٣/١٧٧.

٩ ـ مصباح الزائر: ٤٤٦.

١٠ ـ الاحتجاج: ٢/٣١٦.

١١ ـ الكافي: ٢/١٨٧/٤.

١٢ ـ روضة الكافي: ٨/٢٢٩/٢٩٣.

٢١ ـ زيارته ﷺ[١].

٢٢ ـ النصيحة له ﷺ[٢].

٢٣ ـ دعوة الناس إليه ﷺ ودلالتهم عليه[٣].

وأخيراً: وبعد هذه الإطلالة المتواضعة على وظائفنا وواجباتنا في هذا العصر نجد إن مسؤوليتنا كبيرةً جداً ولا مناص منها، فلابدّ لنا من العمل الجادّ والإخلاص في حمل هذه الأمانة الكبيرة الملقاة على عواتقنا، وأن نؤدّي واجباتنا ووظائفنا وتطبيق مناهج ديننا..

ونسأله تعالى أن يثبّتنا على الحقّ، ويجعَلَنا من دُعاته ورُعاته، ويوفّقنا لأداء أمانته التي طوّق بها عنق كلّ مسلم، وأن نكون من الدعاة إلى الله، والأدلّاء على دينه، والمرشدين إلى منهجه، وأن لا نألوا جهداً في ابتغاء الخير للناس، والسعي لنجاتهم، ودلالتهم إلى مشارق النور ومصادر الهدى، وأن يعجّل لنا فرج مولانا صاحب الأمر والزمان ﷺ، وأن يحقّق به وعده الذي لا يُخلَف، إنّه أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

* * *

---

١ ـ مصباح الزائر: ٢٣٤، عنه البحار: ٩٩/١١٠، المزار الكبير: ٦٦٢.

٢ ـ الكافي: ٢/١٨٩/٥.

٣ ـ الكافي: ٢/٢١١/١.




الفهارس الفنيّة




فهرس الآيات الكريمة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ أئمتنا: محمد علي دخيل.
٣ ـ إثبات الهداة: محمّد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ ق).
٤ ـ الاحتجاج: أحمد بن علي الطبرسي (ت القرن السادس)، دار الاسوة قم، ط الخامسة ١٤٢٤هـ. ق.
٥ ـ الاحتجاج بالأثر من أنكر المهدي المنتظر:
٦ ـ احقاق الحق: السيّد نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت ١٠١٩هـ ق)، منشورات مكتبة المرعشي النجفي قم.
٧ ـ الاختصاص: محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ ق)، مؤسسة النشر الإسلامي قم، ط السابعة ١٤٢٥هـ ق.
٨ ـ الارشاد: الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ ق)، مؤسسة آل البيت ، قم، ط الاولى ١٤١٣هـ ق.
٩ ـ ارشاد القلوب: الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي ١٣٧٥هـ. ش، (ت القرن الثامن) ، دار الأُسوة للطباعة والنشر، إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ . ق.
١٠ ـ الاسلام يقود الحياة: السيد الشهيد محمد باقر الصدر، (ت ١٩٨٠م)، طبعة وزارة الإرشاد.
١١ ـ أسنى المطالب: أبو عبدالله محمد بن درويش الحوت البيروتي،، (ت ١٢٧٦ هـ . ق).
١٢ ـ إعلام الورى: الفضل بن الحسن الطوسي (ت القرن السادس الهجري)، مؤسسة آل البيت:
١٣ ـ الاقبال: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ ق)، مركز النشر، مكتب الاعلام الإسلامي قم، ط الثانية ١٤١٨هـ ق.
١٤ ـ الزام الناصب: الشيخ علي اليزدي الحائري (ت ١٣٣٣هـ ق)، دار أنوار الهدى قم، ط الأُولى ١٤٢٦هـ ق.
١٥ ـ الامالي: الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ ق)، مؤسسة النشر الاسلامي قم، ط الخامسة ١٤٢٥هـ ق.
١٦ ـ أمالي للصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت

٣٨١هـ. ق)، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٧ هـ. ق.
١٧ ـ الإمامة والتبصرة: ابن بابويه القمي، (ت٣٢٩ هـ. ق).
١٨ ـ أمالي الطوسي: ابن جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ. ق).
١٩ ـ بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، (ت ١١١١ هـ. ق)، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ. ق.
٢٠ ـ بحث حول المهدي: الشهيد السيد محمد باقر الصدر، (ت ١٩٨٠م).
٢١ ـ البداية والنهاية: لابن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ. ق)، دار الكتب العملية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ. ق.
٢٢ ـ البرهان في تفسير القرآن: السيّد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ ق)، مؤسسة الأعلمي بيروت، ط الاولى ١٤١٩هـ ق.
٢٣ ـ بصائر الدرجات: محمّد بن الحسن بن فروخ (الصفار) (ت ٢٩٠هـ ق)، منشورات الأعلمي طهران، ط الثانية ١٣٧٤هـ ش.
٢٤ ـ البلد الأمين: الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي، (ت ٩٠٠ هـ. ق) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.
٢٥ ـ البيان: محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨هـ ق)، دار إحياء تراث أهل البيت: طهران، ط الثالثة ١٤٠٤هـ ق.
٢٦ ـ تاريخ بغداد: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت ٤٦٣ هـ .ق)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٩هـ. ق.
٢٧ ـ تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي المعروف بـ(ابن عساكر)، (ت ٥٧١ هـ. ق).
٢٨ ـ تأويل الآيات: السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي، (ت القرن العاشر)، مدرسة الإمام المهدي (ع)، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧هـ ق .
٢٩ ـ تحف العقول: الحسن بن علي بن الحسن بن شعبة الحراني (ت القرن الرابع)، مؤسسة النشر الإسلامي قم، ط السابعة ١٤٢٥هـ ق.
٣٠ ـ تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي، (ت ٧٤٨ هـ. ق)، دار احياء التراث العربي.
٣١ ـ تذكرة الخواص: العلّامة سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ ق).
٣٢ ـ تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي، (ت٧٢٦هـ. ق)، مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٩ هـ. ق.
٣٣ ـ تفسير الإمام العسكري: المنسوب إلى الإمام العسكري (ع)، (ت ٢٦٠ هـ. ق).

٣٤ ـ تفسير روح المعاني: شهاب الدين محمود الالوسي (ت ١٢٧٠هـ.ق)، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى، ١٤٢٢هـ ق.
٣٥ ـ تفسير الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت ١٢٥٥هـ ق).
٣٦ ـ تفسير العياشي: محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي العياشي (ت) مؤسسة الأعلمي بيروت، ط الاولى ١٤١١هـ ق.
٣٧ ـ تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط الثانية، ١٤٢٢هـ ق.
٣٨ ـ تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ ق)، دار الكتاب قم، ط الثالثة ١٤٠٤هـ ق.
٣٩ ـ التفسير الكبير: الفخر الرازي، (ت ٦٠٦ هـ. ق)، دار احياء التراث العربي / بيروت.
٤٠ ـ تفسير الميزان: السيّد محمّد حسين الطباطبائي (ت ١٩٨١م)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت، ط الثالثة ١٣٩٣هـ ق.
٤١ ـ تفسير مواهب الرحمن: السيّد السبزواري، بيروت.
٤٢ ـ تقريب المعارف: الحلبي
٤٣ ـ تقريب المعارف في العقائد والأحكام: تقي الدين بن نجم الدين (أبـو صـلاح الحـلبي)، (ت ٤٤٧ هـ.ق).
٤٤ ـ التوحيد: محمّد بن علي بن الحسين بن بـابويه القـمي (ت ٣٨١هـ ق)، مـؤسسة النشـر الاسلامي قم، ط الأولى ١٤٢٢هـ ق.
٤٥ ـ التهذيب: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (٤٦٠هـ. ق)، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ ش.
٤٦ ـ تهذيب التهذيب: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٥٢٨ هـ. ق)، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٤٧ ـ تهذيب الكمال: جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، (ت ٧٤٢ هـ. ق).
٤٨ ـ ثواب الأعمال: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١هـ ق)، منشورات الشريف الرضي قم، ط١٤١٨هـ ق.
٤٩ ـ الجامع الصحيح: محمّد بن عيسى بن سورة (٢٩٧هـ ق) دار احياء التراث العربي بيروت.
٥٠ ـ الجعفريات: محمد بن الاشعث الكوفي، (ت القرن الرابع).
٥١ ـ جواهر الكلام: الشيخ محمد حسن النجفي، (ت١٢٦٦هـ. ق).
٥٢ ـ جهاد النفس: السيد الإمام الخمينيﷺ، (ت ١٣٦٨ هـ. ق).
٥٣ ـ الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي، (ت ٥٧٣ هـ. ق)، مؤسسة الإمام المهدي (ع)، قم،

الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ. ق.
٥٤ ـ الخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي، (ت ٩١١هـ ق).
٥٥ ـ الخصال: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ ق)، مؤسسة النشر الإسلامي قم، ط السادسة ١٣٢٤هـ ق.
٥٦ ـ دلائل الإمامة: لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، (ت القرن الرابع)، مؤسسة الأعلمي، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ. ق (١٩٨٨م).
٥٧ ـ دلائل النبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت ٤٥٨ هـ. ق).
٥٨ ـ ذخائر العقبى: محب الدين الطبري، (ت ٦٩٤ هـ. ق)، دار المعرفة، بيروت.
٥٩ ـ رجال الكشي: محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ ق).
٦٠ ـ الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: سديد الدين شاذان بن جبرئيل القمي ابن شاذان، (٦٦٠ هـ. ق).
٦١ ـ سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي، (ت ٣٠٣ هـ. ق).
٦٢ ـ سنن أبي داود: سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي (٢٧٥هـ ق)، دار الحديث القاهرة.
٦٣ ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت ٧٤٨ هـ. ق)، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ. ق.
٦٤ ـ السيرة الحلبية: علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي، (ت ١٠٤٤ هـ. ق)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.ق.
٦٥ ـ شرح أُصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني، (ت ١٠٨١ هـ. ق).
٦٦ ـ شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور: الحاج الميرزا أبي الفضل الطهراني (معاصر).
٦٧ ـ شواهد التنزيل: للحافظ الحسكاني الحنفي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٦٨ ـ صحيح البخاري: محمّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ ق)، دار المعرفة، بيروت.
٦٩ ـ صحيح مسلم: مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ ق) دار الفكر بيروت، ط الاولى ١٤١٩هـ ق.
٧٠ ـ الصراط المستقيم: علي بن يونس النباطي البياضي، (ت ٨٧٧ هـ. ق).
٧١ ـ صفات الشيعة: الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ١٣٨١هـ ق)، كانون انتشارات عابدي طهران.
٧٢ ـ الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيثمي المكي (ت ٩٧٤هـ ق)، مكتبة القاهرة.
٧٣ ـ عدّة الداعي: أحمد بن فهد الحلي، (٨٤١ هـ. ق).
٧٤ ـ عقد الدرر: يوسف بن يحيى بن عبدالعزيز المقدسي الشافعي.

٧٥ ـ علل الشرايع: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ ق)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط الاولى ١٤١٨هـ ق.
٧٦ ـ عوالم العلوم: عبدالله البحراني الإصفهاني، (من أعلان القرن الثاني عشر) ، مؤسسة الإمام المهدي، قم ، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ . ق.
٧٧ ـ عون المعبود: العظيم آبادي، (ت ١٣٢٩ هـ . ق).
٧٨ ـ عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، (ت القرن السادس)، دار الحديث، الطبعة الأُولى.
٧٩ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: محمّد بن علي بن حسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ ق)، منشورات الشريف الرضي قم، ط الأُولى ١٣٧٨هـ ش.
٨٠ ـ غاية المرام: هاشم بن سليمان الحسيني الكتكتاني البحراني، (ت ١١٠٧ هـ . ق).
٨١ ـ غرر الحكم: عبدالواحد الآمدي (ت ٥١٠هـ ق)، انتشارات إمام العصر قم، ط الثانية ١٣٨٢هـ
٨٢ ـ الغيبة: الشيخ محمّد بن إبراهيم الكاتب النعماني (ت ٣٦٠هـ ق)، انتشارات مدين قم، ط الاولى ١٤٢٦هـ ق.
٨٣ ـ الغيبة: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ . ق)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ . ق.
٨٤ ـ فتح الباري: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ . ق).
٨٥ ـ فرائد الأُصول: مرتضى الأنصاري، (ت ١٢٨١ هـ . ق).
٨٦ ـ فرائد السمطين: إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبدالله الجويني الحمويني، (ت ٧٢٢ أو ٧٣٠ هـ . ق) مؤسسة المحمودي، بيروت، ١٣٩٨هـ . ق.
٨٧ ـ الفصول المهمة: علي بن محمّد بن أحمد المالكي (ابن الصباغ) (ت ٨٥٥هـ ق)، دار الحديث قم، ط الأُولى ١٤٢٢هـ ق.
٨٨ ـ فضائل ابن شاذان: سديد الدين شاذان بن جبرئيل القمي ابن شاذان، (ت ٦٦٠ هـ . ق).
٨٩ ـ فضائل الشيعة: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت ٣٨١ هـ . ق)، كانون انتشارات عابدي، طهران.
٩٠ ـ فلاح السائل: السيد ابن طاووس، (ت ٦٦٤ هـ . ق) ، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ . ق.
٩١ ـ قصص الأنبياء: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، (ت ٥٧٣ هـ . ق).
٩٢ ـ الكافي: محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ ق)، دار الكتب الاسلامية، طهران

السادسة ١٣٧٥هـ.ش.

٩٣ ـ كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي: ابي جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن أدريس الحلي، (ت ٥٩٨ هـ. ق) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ،قم ، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ. ق.

٩٤ ـ كتاب السنة لابن عاصم: عمرو بن أبي عاصم، (ت ٢٨٧ هـ. ق).

٩٥ ـ كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار:

٩٦ ـ كشف الغمة: علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٢هـ ق)، انتشارات الشريف الرضي، قم، ط الأولى ١٤٢١هـ ق.

٩٧ ـ كفاية الأثر: ابن الخزاز الرازي، (ت ٤٠٠ هـ. ق)، طبع ايران.

٩٨ ـ كمال الدين وتمام النعمة: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ ق)، دار الكتب الاسلامية طهران، ط الثانية ١٣٩٥هـ ق.

٩٩ ـ كنز العمال: علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ. ق)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الاولى، ١٤١٩هـ ق.

لاحياء التراث قم، ط الأولى ١٤١٧هـ.ق .

١٠٠ ـ لسان العرب: ابن منظور، (ت ٧١١ هـ. ق)، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ. ق.

١٠١ ـ مائة منقبة: أبي الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي المعروف بابن شاذان، (من أعلان القرن الخامس) ، مؤسسة الإمام المهدي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ. ق.

١٠٢ ـ المجالس السنية: السيّد محسن الامين (ت ١٣٧١هـ ق)، انتشارات المكتبة الحيدرية قم، ط الأولى ١٤٢٥هـ ق.

١٠٣ ـ مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ ق)، انتشارات المرتضوية طهران، ط الثالثة ١٣٧٥هـ ش.

١٠٤ ـ مجمع البيان: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ت ٥٤٨هـ.ق)، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ١٤٢١هـ.ق.

١٠٥ ـ مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت ٨٠٧ هـ. ق) ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ. ق.

١٠٦ ـ المحاسن: أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت ٢٨٠هـ ق)، المجمع العالمي لأهل البيت، قم، ط الثانية ١٤١٦هـ ق.

١٠٧ ـ مختصر البصائر: الشيخ عزالدين الحسن بن سلمان الحلي، (ت القرن الثامن الهجري)،، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. ق.

١٠٨ ـ مرآة العقول: المولى محمّد باقر المجلسي: (ت ١١١١هـ ق)، دار الكتب الإسلامية طهران، ١٣٧٩هـ ش.
١٠٩ ـ المزار الكبير: الشيخ محمّد بن جعفر المشهدي، نشر القيوم قم، ط الأُولى ١٤١٩هـ ق.
١١٠ ـ المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله النيسابوري المعروف بالحاكم، (ت ٤٠٥هـ. ق) ، دار الكتب العملية، بيروت، الطبعة الأُولى.
١١١ ـ مسند أحمد: أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١ هـ . ق)، دار الفكر، بيروت.
١١٢ ـ مشكاة الأنوار: أبو الفضل علي بن الحسن الطبرسي، (ت القرن السابع)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ . ق.
١١٣ ـ مشكاة المصابيح: ولي الدين الخطيب العمري.
١١٤ ـ مصابيح الجنان: السيّد الكاشاني، طبع إيران.
١١٥ ـ مصابيح السنّة: البغوي الشافعي.
١١٦ ـ مصباح الزائر: السيّد علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ ق)، مؤسسة آل البيت:، قم ط الاولى ١٤١٧هـ ق.
١١٧ ـ مصباح الكفعمي: الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي، (ت ٩٠٠ هـ . ق)، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ . ق.
١١٨ ـ مصباح المتهجد: محمّد بن الحسن الطوسي: (ت ٤٦٠هـ ق)، مؤسسة الاعلمي بيروت، ط الاولى ١٤١٨هـ ق.
١١٩ ـ معادن الحكمة: محمد علم الهدى.
١٢٠ ـ معاني الأخبار: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت ٣٨١ هـ . ق)، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ . ق.
١٢١ ـ المعجم الكبير: سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني، (ت ٣٦٠ هـ . ق).
١٢٢ ـ معجم أحاديث المهدي: مؤسسة المعارف الإسلامية، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ . ق.
١٢٣ ـ مفاتيح الجنان : الشيخ عباس القمي.
١٢٤ ـ مقتضب الأثر: أحمد بن عياش الجوهري، (ت ٤٠١ هـ . ق)، مكتبة الطباطبائي، قم.
١٢٥ ـ مقتل الحسين عليه السلام : أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم، (ت ٥٦٨ هـ . ق)، انتشارات أنوار الهدى، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ . ق.
١٢٦ ـ مكيال المكارم: ميرزا محمد تقي الإصفهاني، (ت ١٣٤٨هـ ش).
١٢٧ ـ الملاحم والفتن: ابن طاووس، طبع إيران.

١٢٨ ـ منتخب الأثر: لطف الله الصافي الگلبايگاني: (معاصر)، الناشر مكتبة المؤلف، قم ط الأولى ١٤٢٢هـ ق.

١٢٩ ـ منتخب الأنوار المضيئة: بهاء الدين علي بن عبدالكريم بن عبدالحميد النيلي، (ت ٨٠٣هـ. ق).

١٣٠ ـ منتهى المطلب: العلامة الحلي، (ت٧٢٦ هـ. ق)

١٣١ ـ من لا يحضره الفقيه: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ ق) مؤسسة النشر الإسلامي قم، ط الثالثة ١٤١٤هـ ق.

١٣٢ ـ منهاج الصالحين: السيّد أبو القاسم الخوئي (ت ١٩٩٢م)، نشر مدينة العلم قم، ط الثامنة والعشرون ١٤١٠هـ ق.

١٣٣ ـ نور الأبصار: مؤمن الشبلنجي، (ت القرن الثالث الهجري)، منشورات الشريف الرضي.

١٣٤ ـ نهج البلاغة: تحقيق الدكتور صبحي الصالح، دار الأسوة ، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ . ق.

١٣٥ ـ وسائل الشيعة: الشيخ محمّد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ ق)، مؤسسة آل البيت: قم، ط الثالثة ١٤١٦هـ ق.

١٣٦ ـ ينابيع المودة: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ. ق)، دار الاسوة، قم ط الثانية، ١٤٢٢هـ ق.

١٣٧ ـ اليواقيت والجواهر: عبدالوهاب الشعراني.

فهرس المحتويات

الباب الأول (١٧ ـ ٦٨)

الفصل الأول:
الأدلة على وجود الإمام المهدي (ع) (١٩ ـ ٤٤)

الفصل الثاني (٤٥ ـ ٦٨)

الباب الثاني
واجباتنا ووظائفنا في عصر الغيبة (٦٩ ـ ٢٣٤)

الفصل الأوّل:
واجباتنا في الجانب العقيدي (٦٩ ـ ٨٠)

الفصل الثاني:
واجباتنا في الجانب المعنوي (٨١ ـ ١٠٢)

الفصل الثالث:
الإعداد النفسي (١٠٣ ـ ١٣٢)

الفصل الرابع:
واجباتنا في الجانب الثقافي (١٣٣ ـ ١٧٢)

الفصل الخامس:
واجباتنا في الجانب الاجتماعي (١٧٣ ـ ٢٠٨)

الفصل السادس:
واجباتنا في الجانب السياسي (٢٠٩ ـ ٢١٢)

الفصل السابع:
واجباتنا في المجال الأمني (٢١٣ ـ ٢٣٤)

الفصل الثامن:
أوضاع العالم قبيل الظهور (٢٢٧ ـ ٢٣٤)

الاصدارات العلمية
لمؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية

١ ـ فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام: تأليف العلّامة محمّد جواد مغنية رحمه الله، الطبعة الثانية محققة (في ست مجلّدات).
٢ ـ قصص القرآن الكريم دلالياً و جمالياً: تأليف الاستاذ الدكتور محمود البستاني (في مجلّدين).
٣ ـ محاضرات الإمام الخوئي رحمه الله في المواريث: بقلم السيّد محمّد علي الخرسان.
٤ ـ المولىٰ في الغدير، نظرة جديدة في كتاب الغدير للعلّامة الأميني: تأليف لجنة البحوث والدراسات.
٥ ـ أدب الشريعة الاسلامية: تأليف الاستاذ الدكتور محمود البستاني.
٦ ـ عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليهما السلام الملقبة بسكينة: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.
٧ ـ أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.
٨ ـ التحريف والمحرّفون: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.
٩ ـ الحسن بن علي عليهما السلام (رجل الحرب والسلام): تأليف السيّد محمّد علي الحلو.
١٠ ـ بضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله: تأليف السيد المرتضىٰ الرضوي، تحقيق وتنظيم مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية، يشتمل علىٰ حياة فاطمة عليها السلام من الولادة وإلىٰ شهادتها عليها السلام.
١١ ـ الحتميّات من علائم الظهور: تأليف السيّد فاروق البياتي الموسوي، تحقيق و تنظيم مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية.
١٢ ـ معالم العقيدة الإسلامية: لجنة التأليف والبحوث العلمية.
١٣ ـ هويّة التشيّع: للدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله، تحقيق مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية.
١٤ ـ نحن الشّيعة الإماميّة وهذه عقائدنا: تأليف السيد محمد الرضي الرضوي.

١٥ ـ لماذا اخترنا مذهب الشيعة الإماميّة: تأليف السيد محمد الرضي الرضوي.
١٦ ـ المثل الأعلىٰ: تأليف السيد محمد الرضي الرضوي.
١٧ ـ الشيعه و فنون الإسلام: تأليف آيت الله السيد حسن صدر.
١٨ ـ هدية الزائرين وبهجة الناظرين (فارسي): تأليف ثقة المحدثين الشيخ عبّاس القمّي، تحقيق مؤسسة السبطين العالمية.
١٩ ـ قطره‌ای از دريای غدير (فارسي): لجنة التأليف والبحوث العلميّة ـ القسم الفارسي.
٢٠ ـ مهربانترين نامه (شرح خطبه ٣١ لنهج البلاغة) (فارسي): تأليف السيّد علاء الدين الموسوي الإصفهاني.
٢١ ـ پرسش‌ها و پاسخ‌های اعتقادی (فارسي): لجنة التأليف والبحوث العلميّة ـ القسم الفارسي.
٢٢ ـ روزشمار تاريخ اسلام (فارسي): لجنة التأليف والبحوث العلميّة ـ القسم الفارسي.
٢٣ ـ غربت ياس (فارسي): لجنة التأليف والبحوث العلميّة ـ القسم الفارسي.
٢٤ ـ شهادة فاطمة الزهراء حقيقة تاريخية (أُردو): قسم الترجمة.
٢٥ ـ قطره‌ای از دريای غدير (أُردو): قسم الترجمة.
٢٦ ـ مشفقانه وصيت‌نامه (شرح خطبه ٣١ لنهج البلاغة) (أُردو): قسم الترجمة.
٢٧ ـ عقيلة قريش آمنة بنت الحسين الملقبة بسكينة (انجليزي): قسم الترجمة.
٢٨ ـ شهادة فاطمة الزهراء حقيقة تاريخية (انجليزي): قسم الترجمة.
٢٩ ـ بحوث حول الإمامة (انجليزي): قسم الترجمة.
٣٠ ـ بحوث حول النبوة (انجليزي): قسم الترجمة.
٣١ ـ بحوث عقائدية في ضوء مدرسة أهل البيت: تأليف الإمام السيّد الخوئي.
٣٢ ـ عصر الغيبة، الوظائف والواجبات.
٣٣ ـ العروة الوثقى وتعليقاتها (الجزء الأوّل ـ الإجتهاد والتقليد) تأليف السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، ويشمل (٤١ تعليقة).